

بشرى سارة

هذه هي الطبعة الرابعة لكتاب «زغل الدعوة والدعاة»

التي طال انتظار القراء الكرام لها، خرجت -ولله الحمد والمنة- في أجمل حلة، فيها زيادات نفيسة، ونقولات رائعة. وقد حرصتُ على مراجعة الكتاب مراجعةً دقيقةً شملت تصحيح بعض العبارات وتعديل ما يلزم وفق ما ظهر لي من ملاحظات العلماء وطلبة العلم الناصحين -فجزاهم الله عني وعن المسلمين خير الجزاء.

تنبيه: حقوق الطبع مباحة لكل مسلم بشرط عدم التغيير



مركز بيت محمد (الله) (بأبوظبي)

اللاذلي (الحدائق) ووكيل السكراني للمؤسسة الشرعية
الحدائق

he1.me/MQpsi



زَعَالُ الدَّعْوَةِ وَالِدَعَاةِ



□ حقوق الطبع مباحة لكل مسلم بشرط عدم التغيير

◆————◆
الطبعة الرابعة

طبعة جديدة منقحة ومزينة

٢٠٢٦م / ١٤٤٧هـ

◆————◆

زَعَالَةُ الدَّعْوَةِ وَالِدَعَاةِ

كتبه:

العبد الفقير إلى مولاه الغني القدير

(أبو عمَّار محمد بن عبد الله (بالمؤسّي))

القائم على دار الحديث ومركز السلام العلمي للعلوم الشرعية
اليمن - الحديدة

عَفَرَ اللَّهُ وَلَوْ الدِّيَةَ وَلِشَايِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

(قرأ الكتاب جمع كبير من علماء ومشايخ
الدعوة السلفية وأثنوا عليه)

تقريظ

فضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن سعد السجيمي

فضيلة الشيخ الدكتور: وصي الله بن محمد عباس

فضيلة الشيخ: عبد الله بن محمد بن عثمان الذماري

فضيلة الشيخ: محمد بن صالح بن علي الصوملي

فضيلة الشيخ: محمد بن عبد الله الإمام

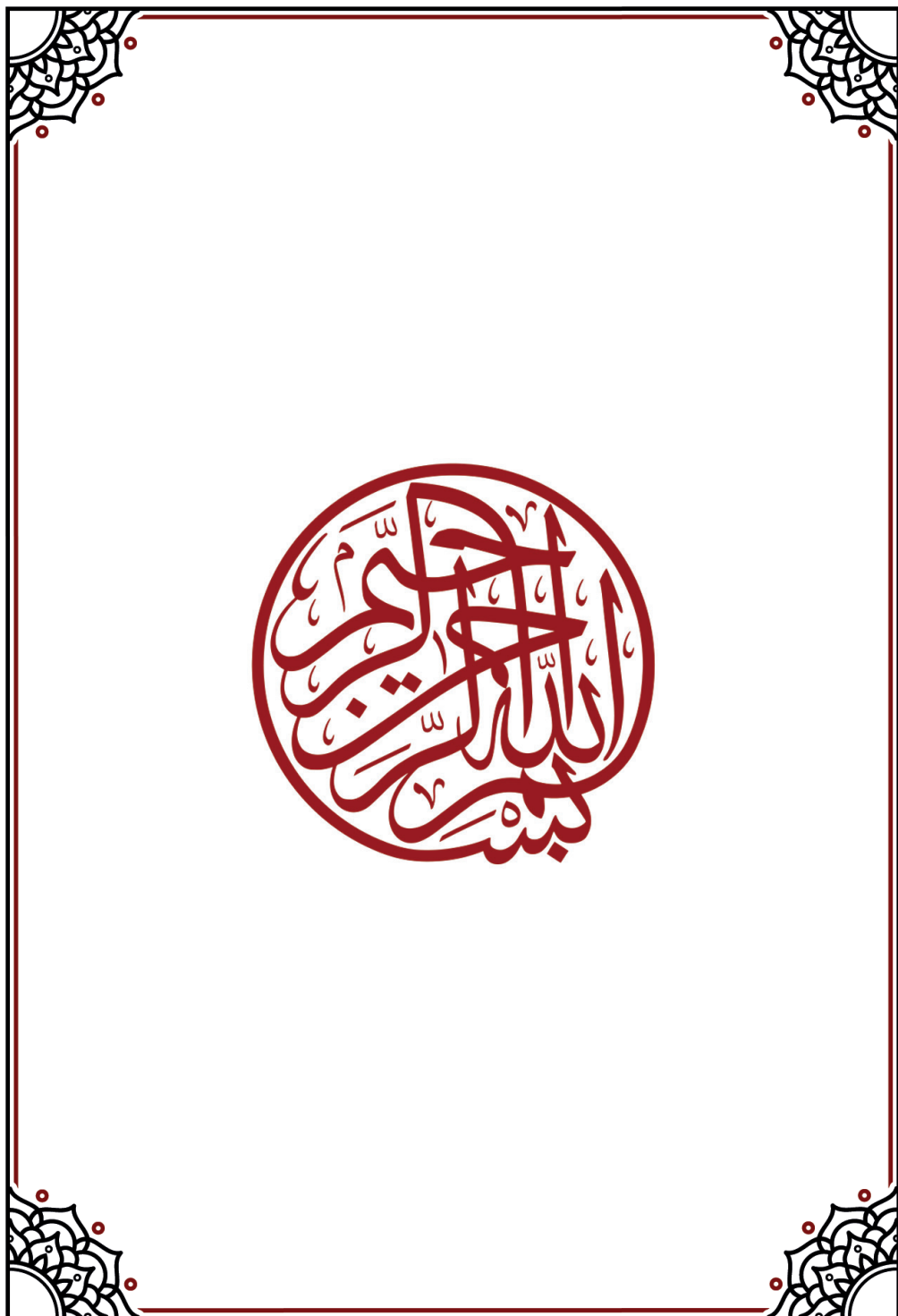
فضيلة الشيخ: عبد العزيز بن يحيى البرعي

فضيلة الشيخ: عثمان بن عبد الله السامي

فضيلة الشيخ: نعمان بن عبد الكريم الوتر

الطبعة الرابعة

طبعة جديدة منقحة ومزودة



تقريظ فضيلة الشيخ: محمد بن عبد الله الإمام حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فقد أرسل إلي أخونا الشيخ النابغة محمد باموسى حفظه الله، بكتابه: (زغل الدعوة والدعاة) للنظر فيه والمراجعة،

فقرأت الكتاب من الغلاف إلى الغلاف؛ فوجدته كتابًا:

- قد احتوى على ذكر الدواء لكثير من الأدوية،
- والشفاء من كثير من الأمراض،
- والعافية من كثير من الآفات التي ابتلي بها من ابتلي ممن له مشاركة تقل أو تكثر في نشر دعوة الله ورسوله ﷺ، ودعوة أهل السنة والجماعة.

فهذا الكتاب يشبه الكتاب العظيم لابن القيم «الداء والدواء»، مع الفارق أن كتاب ابن القيم في عموم المعاصي، وكتاب باموسى في أمور دعوية، وذكرني سيّر المؤلف حفظه الله، في كتابه المذكور آنفًا بقول ابن القيم أيضًا:

وَالْجَهْلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَشِفَاؤُهُ أَمْرَانِ فِي التَّرْكِيبِ مُتَّفَقَانِ
نَصٌّ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ سُنَّةٍ وَطَبِيبٌ ذَاكَ الْعَالَمِ الرَّبَّانِي

فالمؤلف حفظه الله، قد خدم إخوانه أهل السنة خدمة عظيمة: حيث دعا، ونصح، وأرشد، وبيّن، وأعان، واجتهد فيما قاله وزبره في كتابه المذكور، واحتج

واستدلّ، وسلك الطريق المعتدل، وأزاح العِلل، وأزهق الشُّبه، وجمع ما تفرّق من كلام أهل العلم، وقَرَّب ما بُعد، وأظهر ما خفي.
فلله درّه من غيور على دعوة الله ورسوله، ومن صبور على إخوانه، باذل الخير لأعوانه.

فالكتاب المذكور غنيمة باردة، ومائدة لذينة؛
فينبغي للعلماء قبل طلاب العلم أن يستفيدوا منه وأن يرشدوا إليه،
والله أسأل أن يكتب له القبول بين عباده، وأن يديم له البقاء عند أحبابه
وأوليائه.

وكتبه :

محمد بن عبد الله الإمام

١٩/٧/١٤٤٣هـ



تقريظ فضيلة الشيخ: عبد العزيز بن يحيى البرعي حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.
أما بعد.

فقد اطلعت على الكتاب الذي ألفه الشيخ المبارك محمد بن عبد الله باموسى الذي أسماه: **(زغل الدعوة والدعاة)** ذكر فيه مسائل كثيرة ومهمة مما قد يقع فيه الداعي إلى الله.

فشكراً له: على هذا الاستحضار، وقوة التصور لمشاكل الدعوة.
ونحن معشر طلبة العلم غير معصومين، فكلُّ له نصيب ذو السهم والسهمين والثلاثة وهكذا.

ولهذا فقد طلب مني الشيخ أبو عمار محمد بن عبد الله باموسى أن أقرأ الكتاب قراءة إفادة، فقرأته قراءة استفادة، وفي أثناء القراءة كنت أنتظر متى ألقى على نفسي القبض، وأقول: ها أنا ذا قد وقعت في الزغل.

فإن قلت: ماذا وجدت؟

أقول: أمروها كما جاءت، نسأل الله أن يستر ما لا تعلمون، وأن يغفر لنا، وأن يهدينا.

ثم أقول: لعل بعض الناس يقول: إن المؤلف عنى فلاناً أو عرّض بفلان،
 فأقول: إن الشيخ لم يسمّ أحداً، وإنما هي نصيحة.
 فمن كان فيه شيء من الزغل؛ أصلح نفسه، ومن ليس فيه شيء؛ فهو تحذير
 له ألا يقع، فجزاه الله خيراً على ما كتب.
 وخلاصة القول: فإن الكتاب (زغل الدعوة والدعاة) يعتبر ترميماً للبيت
 السلفي عبر القرون الآتية.
 فنحمد الله الذي أوجد في أهل السنة من يقوم بمثل هذه الأعمال المباركة،
 ولقد أحسن من قال:
 يا أمة الإسلام لست عقيمة بل أنت قادرة على الإنجاب

كتبه:

عبد العزيز بن يحيى البرعي

في مكة شرفها الله

بتاريخ ٢٣/٥/١٤٤١هـ



تقريظ فضيلة الشيخ: عثمان بن عبد الله السالمي حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.
أما بعد.

لقد طلب مني الشيخ الفاضل / محمد بن عبد الله باموسى - عافاه الله - أن أطلع على كتابه الموسوم ب: **(زغل الدعوة والدعاة)**، فلقد قرأته كله فوجدته كتاباً نافعاً في بابه، وقد رتبته ترتيباً حسناً، وبذل فيه جهداً مشكوراً عليه، ففيه توجيهات للدعاة تشد لها الرحال، فالذي يدعو إلى الله تعالى، ويريد من وراء ذلك وجه الله؛ فهو يتوجه بما وجهه الأئمة الناصحون المجربون، والذين قد عاصروا علماء ربانيين، فأسأل الله أن يوفق شبابنا ودعاة السنة إلى ما فيه نصر الإسلام والسنة، وأن يدفع عن الإسلام وأهله كل سوء، وأسأله سبحانه أن ينفع بهذا الكتاب طلاب العلم، ويجزل المثوبة لكاتبه وقارئه، آمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

كتبه:

أبو عبد الله عثمان بن عبد الله السالمي

حرر بتاريخ: ١٥ / جماد الأول / سنة ١٤٤١ هـ



تقريظ فضيلة الشيخ: نعمان بن عبد الكريم الوتر حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمام المتقين وسيد الخلق أجمعين، أما بعد:

فقد دفع إلي أخي وزميلي الكريم المبارك فضيلة الشيخ المربي الحكيم أبو عمار محمد بن عبد الله باموسى كتابه الأغر «**زغل الدعوة والدعاة**» لقراءته والتقريظ له فقرأته قراءة المستفيد وتذكرت وأنا أقرؤه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

وألفيت هذا الكتاب قد جمع ما تفرق من الدواء للأدواء، ورسم طريق العافية لمن أراد الله له الشفاء، وكان كالنذير العريان من مسالك الغلو والجفاء، ووضع النقاط على الحروف، وأبدع في النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، وأوضح فيه معالم الدعوة السلفية التي هي كليل تهامة لا مخافة ولا سامة بينما غيرها من دعوات الغلو والجفاء كما وصفت تلك المرأة زوجها: «غَيَايَاءُ

أَوْعِيَاءُ^(١) طَبَاقًا^(٢)، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ^(٣)، شَجَكِ^(٤) أَوْ فَلَكِ^(٥) أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكَ^(٦)،
تزيبوا قبل أن يتحصروا، وتكلموا قبل أن يتبينوا ويفهموا، وسابقوا الكبار،
وتطاولوا على النجوم والأقمار.

فهناك من ينتسب إلى الدعوة السلفية وقد أرهقها صعودًا ومن خالفه ألغاه
ولو كان يملأ الصدر والنحر والسمع والبصر نفعًا وعلمًا ولسان حاله:
«الساقط لا يعود»^(٧)؛ نسأل الله أن يردهم إلى الحق ردًّا جميلاً.

(١) غَيَايَاءُ أَوْ غَيَايَاءُ؛ مأخوذ من الغيابة، وهي الظلمة، وكل ما أظل الشخص؛ ومعناه: لا يبتدي إلى
مسلك أو أنها وصفته بثقل الروح وإنه كالظل المتكاثر المظلم الذي لا إشراف فيه أو أنها أرادت
أنه غطيت عليه أموره أو يكون غيابة من الغي الذي هو الخيبة؛ قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ
غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

(٢) طباقاء: معناه: المطبقة عليه أموره حمقًا. وقيل: الذي يعجز عن الكلام فتنتطبق شفتاه. وقيل: هو
الغبي الأحمق القدم.

(٣) كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ؛ أي: جميع أدواء وأمراض الناس مجتمعة فيه.

(٤) شَجَكِ؛ أي: جرحك في الرأس فالشجاج: جراحات الرأس والجراح فيه وفي الجسد.

(٥) فَلَكِ؛ الفل: الكسر والضرب؛ ومعناه: أنها معه بين شج رأس وضرب وكسر عضو أو جمع
بينهما. وقيل: المراد بالفل هنا: الخصومة.

وانظر: «صحيح مسلم» (٢٤٤٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللهُ.

(٦) الحديث مشهور بحديث أم زرع، وهو متفق عليه عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «البخاري» (٤٨٩٣)،
«مسلم» (٢٤٤٨).

(٧) قالوا في «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٤ / ٢٥٤): «من المعلوم أن الساقط ينتهي ويتلاشى،
ويصبح كالمعدوم لا سبيل إلى إعادته إلا بسبب جديد يصير مثله لا عينه.

فإذا أبرأ الدائن المدين فقد سقط الدين، فلا يكون هناك دين، إلا إذا وجد سبب جديد.

وكالقصاص لو عفي عنه فقد سقط وسلمت نفس القاتل، ولا تستباح إلا بجناية أخرى، وهكذا. =

وأحسب -والله أعلم- هذا الكتاب من الكتب التي جعل الله لها القبول في الأرض لحاجة الدعوة والدعاة إلى ما فيه، ولذلك أقبل عليه كثير من السلفيين قراءةً وتدريباً في أقطار مختلفة من أرض الله في مشارق الأرض ومغاربها، ولعل هذا دليل على إخلاص مؤلفه وحُسن قصده -ولا نزكيه على الله- فهو -حفظه الله- من حكماء الدعوة السلفية وفقهائها وكبار حملتها ودعاتها برزانة وحِلْمٍ ورحمةٍ وحُسنِ خُلُقٍ.

أسأل الله لي وله التوفيق والسداد والهدى والرشاد، والثبات على الحق حتى مفارقة الروح للأجساد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم المعاد.

وكتبه:

نعمان بن عبد الكريم الوتر

٢٠ / ٨ / ١٤٤٥ هـ



= وكن من أسقط حقه في الشفعة، ثم رجعت الدار إلى صاحبها بخيار رؤية، أو بخيار شرط للمشتري، فليس له أن يأخذ بالشفعة، لأن الحق قد بطل، فلا يعود إلا بسبب جديد».

تقريظ فضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن سعد السحيمي حفظه الله

مفوض الإفتاء بالمدينة النبوية وعضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية (سابقاً)، والمدرس بالمسجد النبوي، وموجه الدعاة بفرع وزارة الشؤون الإسلامية بالمدينة النبوية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن استن بسنته، ودعا بدعوته، وسار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى على منهج السلف الصالح بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن بعيداً عن الإفراط والتفريط والغلو والجفاء هو الطريق السوي لإنجاح الدعوة وتأثيرها، والانتفاع بها، وهو منهج الأنبياء والمصلحين، وطريق السالكين إلى مرضاة رب العالمين؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا...». رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد أصاب الدعوة خللٌ بسبب دخول من ليس أهلاً لها من تصدى لها فتزبوا قبل أن يتحصروا، فغلا فريقٌ منهم، وجفا فريقٌ آخر، فبدلاً من أن يدعو

إلى الله على بصيرة لعلهم ينالون وعد الله الكريم على لسان رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ». متفق عليه عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وقع بعضهم في بعض، وبدَّع بعضهم بعضًا من غير سبب ظاهر أو بسبب متوهم، أو إلزام وبتر للقول مما أدى إلى تفرق كلمتهم، وشماتة أعداء السنة بهم، وكثيرًا ما ردد الحزبيون بسبب هذا المسلك: «النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله».

هذا وقد قرأت الكتاب الموسوم ب: **(زغل الدعوة والدعاة)** للشيخ الفاضل والعالم الجليل أخينا فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله باموسى أحد علماء اليمن، الذين نفع الله بهم وبدعوتهم الوسطية فألفيته كتابًا نافعًا، اعتمد فيه الشيخ على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وآثار السلف الصالح، توخى فيه الحكمة، ومعالجة ما بين الدعاة من خلافات لا مبرر لها بأسلوبٍ حكيم، ودقةٍ فائقة، مع حُسن الترتيب، وسلامة اللغة في أكثر من تسعين مسألة، فأجاد وأفاد.

وخلاصة القول: أنه لا غنى لطلاب العلم لا سيما الدعاة عن هذا الكتاب، والاستفادة منه؛ جزى الله الشيخ محمدًا خير الجزاء على هذا الكتاب النفيس، وأجزل له الأجر والثوبة، ونفع به الإسلام والمسلمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أملاه الفقير إلى عفوره

صالح بن سعد السحيمي

١٤٤٧/١/٢٧ هـ



تقريظ فضيلة الشيخ الدكتور المحدث: وصي الله بن محمد عباس حفظه الله

المدرس بالمسجد الحرام وجامعة أم القرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تصفحت كتاب **(زغل الدعوة والدعاة)** لمؤلفه الشيخ الفاضل الداعي إلى الله أبي عمار محمد بن عبد الله باموسى حفظه الله بالصحة والعافية التامتين - آمين - فوجدته كتاباً مفيداً جداً لكل من يطلب العلم الشرعي ولكل داعٍ إلى الله، واستفدت منه، ودعوت للمؤلف، والكتاب يدل على معاشية المؤلف للدعوة والدعاة في العالم، وعلى نظره الثاقب لأدواء الدعوة والدعاة، كالطبيب الحاذق الماهر، فوضع علاجاً لأمراض قلوب بعض الدعاة بالطب النبوي؛ أعني: القرآن والسنة، وأوصي من يتشرفون أن يكونوا من ورثة الأنبياء أن يسعوا دائماً للتخلق بأخلاق الأنبياء التي تمها الله **عَزَّوَجَلَّ** بذات أفضل الخلق محمد بن عبد الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فيتخلقوا بمكارم الأخلاق ويجتنبوا مساوئها ومذموماتها.

ونرغب من عامة الناس أن يتمسكوا بذيول العلماء الربانيين المعروفين بالدعوة إلى الله على بصيرة، الذين لا يزالون في الأمة ظاهرين على الحق، ولا يُجهلون، بل يُشار إليهم حتى يبنان مخالفيهم، ولا يتبعوا كل من قام يدعو إلى الله

من غير علم ولا بصيرة، وهم أيضًا معروفون عند أهل الحق، وهؤلاء^(١) يظلمون الدين الخالص، وليكن نصب أعيننا النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وليشكر الله من اختاره الله أن يكون من طلبة إرث نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوالله إنه فضيلة عظيمة وكرامة من الله لك يا طالب السنة؛ فلتمش على وجه الأرض ترجماناً للدين الخالص بعلمك وعملك.

اللهم اكتبنا في زمرة طلبة السنة علماً وعملاً وسلوكاً، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا - آمين -، وجزى الله خيراً المؤلف ووفقه لمزيد من التأليفات المفيدة للأمة - آمين -.

وكتبه:

وصي الله بن محمد عباس

٦ / محرم / ١٤٤٧ هـ



(١) تنبيه: كان في الأصل المخطوط بخط الشيخ: (بل هم يظلمون الدين الخالص) فأرسل الشيخ صوتية وطلب تغيير كلمة (بل) إلى كلمة (هؤلاء).

تقريظ فضيلة الشيخ: عبد الله بن محمد بن عثمان القيسي الذماري حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد
أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
أما بعد:

فقد أرسل إلي أخونا الشيخ الموفق الحكيم: محمد بن عبد الله باموسى -
حفظه الله تعالى - كتابه المسمى: «**زغل الدعوة والدعاة**»، للاطلاع على ما فيه،
فوجدته كتابًا نافعًا شافيًا كافيًا في موضوعه، فقد أجاد وأفاد وأبدع، وقد وفقه الله
تعالى وسدده، وألهمه وأرشده لمعالجة تلك الأمراض والأدواء التي ابتلي بها
البعض في أوساط أهل السنة، فكان لتلك الأمراض أثر سيء في سير الدعوة، وقد
قام الشيخ الموفق والطبيب الماهر بمعالجة هذه الأمراض والأخطاء معالجة علمية
رصينة لازم فيها طريق العدل والإنصاف، معتمدًا في ذلك على كتاب الله تعالى،
وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقوال العلماء والأئمة المتقدمين والمتأخرين، فقد
جد واجتهد وبذل جهدًا كبيرًا في جمع وتحضير هذا الكتاب الذي فيه الدواء
والشفاء لكثير من الأمراض والأدواء، بإذن رب الأرض والسماء، وقد قدمه
لإخوانه هدية ثمينة بيد أمينة، وسيفرح بهذا الكتاب المخلص الذي يريد بعمله
وجه الله تعالى، والمنصف الذي يحب الإنصاف، والغيور على الدعوة، والذي يريد

جمع الكلمة ووحدة الصف، والذي يريد السلامة لنفسه ولإخوانه في الدنيا والآخرة، وقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

فهذه الآداب والنصائح التي أودعها المؤلف -حفظه الله- في هذا الكتاب ينبغي أن يتربى عليها طلاب العلم، ولا يغفل عنها من يعلم الناس السنة والكتاب، لتكون حماية للأجيال في المستقبل من الشطط والبعد عن الصواب، ولما فيها من إصلاح القلوب، وتهذيب النفوس وتركيتها، والتأدب مع الله، والتأدب مع كتاب الله وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ومع العلماء والدعاة إلى الله، ومع جميع الإخوة، ولما فيها من الحث على وحدة الصف، وجمع الكلمة، وحسن الخلق، وحسن المعاملة، وتقوية الروابط الأخوية، والعدل والإنصاف في الأحكام. وأنصح أن يكون هذا الكتاب في مكتبة كل عالم، وفي مكتبة كل طالب علم، وجزى الله المؤلف خير الجزاء على غيرته على الدعوة والدعاة، وعلى هذه النصائح التي تدل على أنها انبعثت من قلبٍ مخلص ومشفق وغيور ورحيم.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب المؤمنين عموماً، والدعاة خصوصاً، وأن يديم النفع به، وأن ينفع به مؤلفه في الدنيا والآخرة، وأن يجعله ذخراً له يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأسأل الله أن يوفقنا وجميع إخواننا إلى كل خير، وأن يجنبنا كل شر، وأن يلهمنا رشدنا حتى نلقاه، إنه هو الغفور الرحيم، وهو مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

كتبه:

عبد الله بن محمد بن عثمان القيسي الذماري

١١ / صفر / ١٤٤٧هـ

تقريظ فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن علي الصوملي حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد أعطاني الشيخ الفاضل وهبان بن مرشد المودعي كتاباً للشيخ الفاضل محمد بن عبد الله باموسى المسمى: **(زغل الدعوة والدعاة)**، وقد اطلعت على ما زبره ونقله الشيخ محمد حفظه الله تعالى في كتابه المذكور آنفاً، فوجدته زبراً مباركاً، ونقلًا موثقاً، ويعتبر هديةً من الشيخ محمد لإخوانه المشايخ والدعاة وطلبة العلم، وياها من هدية ثمينة غالية، ونصيحة، وتعاون على البر والتقوى، نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحداً.

فأنصح بقراءة وتدريس الكتاب المذكور، وأسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن ينفع به ويجعله سبباً لمن غفل أو تغافل عن محبطات الأعمال وما يشيها، فيحذر ويتعد عن عملٍ فيه زغل أو فيه دَخْنٌ أو مدخول فيه، و«كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(١).

وما التوفيق في هذا الأمر وغيره إلا بالله، عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهم، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» رقم

المصير، وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وسبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

أملاه:

محمد بن صالح بن علي الصوملي

حرر بتاريخ: ٢٩ / صفر / ١٤٤٧ هـ



كلمات بعض المشايخ الأفاضل في كتاب (زغل الدعوة والدعاة)

كلمة الشيخ: أحمد بن ثابت الوصابي حفظه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب **(زغل الدعوة والدعاة)** لشيخنا الكريم والداعية الحكيم أبي عمار محمد بن عبد الله باموسى حفظه الله ورعاه، وسدد على طريق الخير خطاه، فوجدته كتاباً قيماً في بابه نافعاً لإخوانه وأحبابه من العلماء والمشايخ والدعاة وطلبة العلم.

فقد تناول في كتابه هذا كثيراً من الأخطاء التي تقع في الساحة الدعوية السلفية من قبل بعض الدعاة إلى الله، وبيّن كيفية تصحيحها وعلاجها معتمداً في ذلك على الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وفهم سلف الأمة من الصحابة الكرام والتابعين الأخيار والأئمة الأعلام من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين؛ فأنصح إخواني الدعاة باقتناء هذا الكتاب والاستفادة والإفادة منه.

وأسأل الله **جَلَّ وَعَلَا** أن يجزى أخانا الشيخ أبا عمار خير الجزاء على ما بذله من جهد في كشف هذه الأخطاء والأمراض الواقعة من بعض الدعاة ووضع الحلول المناسبة والأدوية النافعة لها، كما أسأله جل شأنه أن ينفع به ويعلمه الإسلام والمسلمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبه: أبو عبد الله

أحمد بن ثابت الوصابي النقذي الجعدي

في يوم الاثنين بتاريخ: ٢١ / ٧ / ١٤٤١ هـ



كلمة الشيخ: صلاح العدني حفظه الله في كتاب (زغل الدعوة والدعاة)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخي الكريم الشيخ محمد باموسى، أسعدك الله في الدارين، قرأت كتابكم (زغل الدعوة والدعاة)، ولا يسعني إلا أن أقول لكم: لا أرى إلا أن فتح الله عليكم فتحاً مبيناً، وكأن الله عَزَّجَلَّ طوى لكم حقبةً دعويةً عمرها يقارب النصف قرن بكل ما فيها من آلام وآمالٍ في كتاب جعلت أنا ملكم تقلُّب فيه بأناءٍ ورويةً، تستخلصون زغلاً كدَّر دعوتنا وأرهق علماءنا وأشياخنا ودعاتنا، فوقعتم على المرض وأبنتم العلاج؛ كتب الله أجرك، وجعل ما كتبتَه حجاباً لك من النار، وزادك الله من فضله.

أخوك ومحبك: صلاح العدني

عامله الله بلطفه وستره

في مكة شرفها الله، صبيحة يوم الجمعة

بتاريخ ٨/٥/١٤٤١هـ



كلمة الشيخ: أحمد بن شملان حفظه الله في كتاب (زغل الدعوة والدعاة)

الحمد لله الذي نفى عن التوحيد زغل الشرك، وعن السنة زغل البدع، وأرسل الرسل بصفاء دعوتهم، وأنزل الكتب على أئمة منهمجهم، وحمى حمى الشريعة من كل فتنة شنيعة وضلالة خنيعة، وأقام بالاصطفاء الملة العوجاء، فله الحمد على قدره وشرعه وعلى فضله ومنعه، وله الحمد، شفى القلوب بأجل علاجها، وفتح للخير أبوابها، وساق إليها من الهداية طبها وأسبابها، ولم يترك الخلق سدى، ولم يخلقهم عبثاً، فطهرهم بالتوحيد من رجس أنجاسهم، وبالصلاة من درن أدناسهم، وبالزكاة من زغل أموالهم، فدعوة الله طاهرة مطهرة من أخذها بصفائها ونقاوتها؛ صلح حاله، وكرم ماله، وعلا مكانه، وعظم سؤدده، وجل في القلوب منزلته.

وصلى الله وسلم وبارك على التقي الأتقى والصفي الأنقى، الرسول المصطفى والنبي المجتبى، الكريم أصله والخالص معدنه، والشريف نسبه، من دعوته عالية، وطيبه غالية، صلى عليه الله وعلى آله وأصحابه الكرام البررة والأصفياء المهرة والقادة السادة في كل معضلة ومشكلة وبعد:

فقد وصلني الشيخ المغوار أبو عمار بعصارة من فكره، وخلاصة من تجربته في دهره، وبلسم يداوي في الدعوة جراحها، ويصلح من زغل زاحم نقاءها، ويصفي من شوائب شوهدت جمالها، ويصرخ بحرقة الناصح لتفادي الشرخ، ولم الصدع، وكف الطرق الذي يزيد الشق ويبعد القعر، ويعقد الصعب، وقد وصلني كتابه العملاق كهدية لمشتاق، ودواء لعليل معاق، فوقع على الخبر قلمه،

ووضع على الجرح بلسمه، وأدرك الدواء الداء، وبإذن الله يحصل الشفاء.
وقد ألفيت الكتاب جليلاً، تدفقت سطوره من قلب محب، ونبض يدب
وتجربة طويلة، ونظرة عميقة، وعنوان الكتاب علوان الكاتب، ودليل الطالب،
وحل مشكلة العصر المريرة بين أهل الدعوة الواحدة، فله در كاتبه وعليه أجره.

كتبه:

أحمد بن أحمد شمالان



كلمة الشيخ: وهبان بن مرشد المودعي حفظه الله في كتاب: (زغل الدعوة والدعاة)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب (زغل الدعوة والدعاة) لمؤلفه فضيلة الشيخ المكرم/ محمد بن عبد الله باموسى، حفظه الله ورعاه، فرأيت من أحسن ما ألف في بابيه، لا سيما والحاجة إليه في عصرنا ماسة؛ لأنه يعالج قضايا كثيرة مهمة في هذه الدعوة المباركة، دعوة أهل السنة والجماعة، دعوة الحق.

وهذا الكتاب يعالج أيضًا كثيرًا من الأخطاء التي انتشرت في أوساط بعض الدعاة الذين يظنون أنهم يحسنون صنعًا، ويحسبون أنهم بأفعالهم وأقوالهم المخالفة لطريقة أهل العلم ينصرون هذه الدعوة، وهو في حقيقة الأمر يسعون لهدم الدعوة، واستنقاص القائمين عليها، وهم بفعلهم هذا يضررون أنفسهم، أما هذه الدعوة المباركة؛ فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حافظها.

فالقارئ في هذا الكتاب يجد أن مؤلفه بذل جهدًا كبيرًا في بيان ما يحتاج إلى إصلاحه وتقويمه في سبيل هذه الدعوة؛ فجدير بهذا الكتاب أن يهتم بطباعته ونشره لأهميته، شكر الله لمؤلفه، وكتب الله أجره، وبارك في جهوده؛ فما بين الحين والآخر نرى له رسائل قيمة وكتبًا نافعة يتحف بها القراء، جعل الله أعماله في ميزان حسناته، والحمد لله رب العالمين.

كتبه: وهبان بن مرشد المودعي

١٤٤١/٥/٢٨ هـ

دار الحديث للعلوم الشرعية - مسجد ذي النورين - اليمن-ذمار



كلمة الشيخ: غازي بن سالم أفلح حفظه الله ، في كتاب (زغل الدعوة والدعاة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: من أبي حمزة إلى الشيخ المبارك أبي عمار، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقد شرفت بقراءة كتابكم الموسوم ب: (زغل الدعوة والدعاة) كاملاً، وسعدت بما تضمنه من نصائح وفوائد ومسائل يشد لها الرحال، دعاكم إلى رسمها نصحكم للدعوة السلفية وأهلها، وقد وفقكم الله تعالى وهداكم إلى طرق هذه المسائل المهمة جداً لإصلاح ما أصاب الدعوة من خلل، وقد جاءت كتابتكم عن خبرة عظيمة في ساحة الدعوة والتربية تمتد إلى أكثر من ثلاثين عاماً مما جعل في نصحكم المسطور تشخيصاً دقيقاً للأدواء ومعرفة من خير بها، فجزاكم الله خيراً عن هذا النصح المبين، وأتمنى أن يعجل الله بطبعه، وأنصح الدعاة إلى الله أن يعتمدوا هذا الكتاب في تنشئة الطلاب ويحوظوهم بهذه الآداب التي بها صلاح القلوب وإصلاح العباد، فهي منتقاة من معين السنة والكتاب، والله يحفظكم ويتقبل منكم هذا العمل.

محبكم/ أبو حمزة

الثاني من جمادى الأولى ١٤٤١هـ



كلمة فضيلة الشيخ الدكتور: محمد بن ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله ، في كتاب (زغل الدعوة والدعاة)

حيث قال وفقه الله: جرى الله فضيلة الشيخ محمد باموسى على تشجيعنا لتسجيل هذه الكلمة وهذه المداخلة^(١)، وكثر الله من أمثال فضيلة الشيخ محمد باموسى، هذا الرجل الذي حياته أوقفها لخدمة دعوة التوحيد، والدعوة السلفية، ويؤلف الكتاب تلو الكتاب من الكتب النافعة التي نشجع على قراءتها والاستفادة منها، ومن آخرها: كتاب (زغل الدعوة والدعاة)؛ يعني: النواقص والمشاكل والعيوب التي تكتنف الدعوة، وتؤثر على الدعوة السلفية.

وهذا الكتاب أتمنى كل طالب علم سلفي وكل شيخ أن يقرأ هذا الكتاب (زغل الدعوة والدعاة)، ويستفيد من هذا الكتاب الذي ما سبق له مثال، وإنها الشيخ بالاستقراء وبالمعاصرة وبالتتبع جمع الأخطاء التي تكتنف الدعوة والدعاة من المتتبعين إلى الدعوة السلفية؛ فجزاه الله خيراً، وبارك في حياته، وفي علمه، وننتظر منه المزيد من الإنتاج المفيد، والإنتاج المبدع...



(١) هذا الكلام مقتطف من محاضرة مائدة لفضيلة الشيخ الدكتور محمد بن ربيع بن هادي المدخلي - حفظه الله-، لإخوانه السلفيين في مسجد الإمام البخاري في نيروبي عاصمة كينيا، وذلك في عام ١٤٤٤هـ، حيث أقيمت هناك دورة علمية، والحمد لله، وكانت كلمة الشيخ في ختام الدورة العلمية؛ فجزاه الله خيراً، وقد قرأ الكتاب وفقه الله، من الغلاف إلى الغلاف، وأفادنا كما أفادنا غيره من المشايخ بتبنيها قيمة، وملاحظات سديدة؛ فجزاهم الله خيراً.

كلمة الشيخ: أبي المعتصم رشاد الورد الحبشي حفظه الله ، في كتاب (زغل الدعوة والدعاة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وقد كانوا من قبل في ضلال مبين. وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة الدعاة والمصلحين، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد اجتمعت برفيق الدرب في الأسفار، فضيلة الشيخ الحكيم عالم تهامة ومفتيها أبي عمار محمد بن عبد الله باموسى - أفاض الله عليه شأيب الرحمات - عدة مرات حضراً وسفراً، وفي بعض الأسفار المباركة - ونحن بين السماء والأرض - كنا نتجاذب أطراف الحديث عن مشاكل الدعوة والدعاة السلفيين في العالم، وأسباب الخلاف بينهم، فكان - حفظه الله - يشخص الداء ويضع الدواء، فقال لي يوماً ونحن على متن الخطوط الجوية السعودية آيين من بعض البلاد الأفريقية: ما رأيك أخي رشاد لو تكتب في هذا الموضوع؟؛ فقلت له: أنت خير من يقوم بهذا العمل الجليل!، فلما رجعنا زرتة بعد ثلاثة أيام في بيته؛ فقال لي: أبشرك أنا بدأت، وأجد نشاطاً عجبياً، وأنشدني قائلاً: إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُكَ فَاعْتَمَمَهَا؛ فسألت الله له التوفيق والسداد.

والحقيقة أن القيام بمثل هذا العمل شرفٌ عظيم، ومقامٌ جليل، لا ينهض بحمله إلا من صدق مع الله، وخلصت نيته، واستقامت طريقته.

وإن المتأمل في حال السلفيين اليوم ليدرك حاجتهم الماسة إلى الاجتماع على كلمة سواء، لا تفرّقهم الأهواء، ولا تعصف بهم الخلافات التي سببها الآفات التي عاجلها المؤلف -حفظه الله- في هذا الكتاب الجليل، والواقع يشهد، والدنيا تشهد، والعلماء يشهدون- مع الأسف - ظهور آفاتٍ وأخطاءٍ قلبية وعلمية وعملية في صفوف بعض الدعاة، تسببت في تصدّع الصف، وتنافر القلوب، وتشتت الجهود، مما أضعف أثر الدعوة، في بعض المجتمعات.

وهذه الآفات والأمراض ليست وليدة اليوم، بل عرفها تاريخ الدعوة في صور شتى من زمن ليس بالقليل، فكانت الحاجة قائمة وماسة إلى بيانها وتجديد النصح بشأنها، لا سيما ونحن في زمن كثر فيه الدخلاء على الدعوة، وقلّ فيه العلماء، وغلب فيه الانتصار للنفس على الإنصاف للحق -إلا من رحم الله-.

وقد جاء هذا الكتاب القيم -**زغل الدعوة والدعاة**- ليتناول جملةً من هذه الآفات والأخطاء، التي ما إن تقع فيها فئة من الدعاة إلا كانت سبباً في الخلاف والشقاق، بل في بعض الأحيان سبباً في الانحراف عن جادة الصواب، وليس الهدف من هذا الكتاب التعبير أو التشهير، وإنما النصح والتذكير، وتصحيح المسار تقرباً إلى الله، وخدمةً للدعوة، وحفظاً لوحدة الصف.

وقد حرص المؤلف -حفظه الله ووفقه- في هذا الكتاب على تناول هذه الآفات بأسلوب علمي، يجمع بين التأصيل الشرعي، والنظر الواقعي، مدعماً بالأدلة، ومستشهداً بما تيسر من النقول عن أهل العلم والدعوة، مع الإشارة إلى سبل الوقاية والعلاج، رجاء أن يكون في ذلك نفعاً للدعاة، وإعانة على تصفية الطريق مما يعيق مسيرتهم ويضعف أثرهم.

وإني أسأل الله تعالى الكريم أن يجزي الشيخ محمداً خير الجزاء على هذا
الجهد العظيم، ويبارك فيه وفي علمه، وأن يطيل في عمره على طاعته، وصل الله
وسلم على نبينا محمد.

وكتبه:

أبو المعتصم رشاد الورد الحبشي

١٤٤٧/٣/٢٥ هـ



مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،
أما بعد:

فبين أيديكم -إخواني الأعزاء- **الطبعة الرابعة** لكتابي: «**زغل الدعوة والدعاة**»، وقد حرصتُ على مراجعته مراجعةً دقيقةً شملت تصحيح بعض العبارات وتعديل ما يلزم وفق ما ظهر لي من ملاحظات العلماء وطلبة العلم الناصحين -فجزاهم الله عني وعن المسلمين خير الجزاء-، وهذه الملاحظات يسيرة جدًا والحمد لله، وقد أضفتُ إلى هذه الطبعة زياداتٍ نافعةٍ وتنقيحاتٍ مهمة، تزيد الكتاب وضوحًا وجمالًا وحُسنًا، وتقويه من حيث العرض والمحتوى، وتقرب المعنى، وتقوي المبنى، وتجلي المقصود، وتكشف الغموض.

وإني لأرجو أن يكون في هذه الطبعة ما يسرّ القارئ الكريم، ويزيده فهمًا وإدراكًا واستيعابًا لمضمون هذا الكتاب الذي أُلّف من أجل تعديل الصف السلفي وتقويمه، وسد الخلل فيه، وترتيب البيت السلفي العظيم القوي المتين القائم على أصول وقواعد الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة لتزداد الدعوة السلفية قوةً إلى قوتها، وهيبةً إلى هيبتها، وصفاءً إلى صفائها، ونجاحًا إلى نجاحها، فهو في الحقيقة كتابٌ يدافع عن الدعوة السلفية وينفي عنها وعن أهلها الحقيقين الزغل إلا النزر اليسير الذين أشرت إليهم في الكتاب، وقد بينتُ لهم الداء، وذكرتُ لهم الدواء حرصًا وشفقةً عليهم ورحمةً بهم.

هذا وقد عرضتُ هذه الطبعة والطبعات السابقة على عددٍ من أهل العلم

السلفيين الكبار، فقرأوا الكتاب، وأقروا، وقدموا له، وأثنوا عليه، وفرحوا به، وهذا واضحٌ جليٌّ في تقديماتهم للكتاب.

وما زلت أطلب من إخواني السلفيين؛ علماء ومشايخ وطلاب علم أن ينبهوني على أي ملاحظة تظهر لهم في الكتاب، وأن يهدوا لي هذه الملاحظة أو هذا الخطأ بالمراسلة أو المهاتفة بالأسلوب الحسن الموافق لقواعد وآداب النصيحة الشرعية^(١).

(١) انظر فقرة (٤٢) من هذا الكتاب (زغل الدعوة والدعاة): «عدم تفريق بعض الدعاة بين النصيحة والفضيحة»؛ فإنها فقرة مائعة.

تنبيه: ولا يعني هذا أنه إذا جاءني بيان الخطأ من شخصٍ لم يتقيد بأسلوب وآداب النصيحة الشرعية أنني لا أصحح هذا الخطأ إذا كان خطأ حقيقياً لا وهمياً؛ بل أقوم بإصلاحه مباشرة؛ فهناك أناسٌ قرؤوا الكتاب كله أو بعضه، ونشروا بعض الملاحظات على الكتاب قبل أن يعرضوها علي، وهم يعرفونني وأعرفهم؛ فأبحث عن هذه الملاحظات المنشورة بنفسني من هنا وهناك، لعلني أجد فيها بياناً لخطأ صحيح صريح واضح بيّن، أسدُّ به الخلل، وأصوّب به الزلل، وأنفي عن الكتاب الزغل، فإن وجدتُ أقوم بإصلاحه مباشرة؛ والله عَزَّوَجَلَّ يصلح النيات، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وراء كل لسان عبدٍ وقلبه.

وأقول كما قال البقاعي رَحِمَهُ اللهُ في «مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور» (١/ ١٠٤-١٠٥): «فمن وجد لي خطأ، فليخبرني به لأصلحه، والله الذي جلَّت قدرته، وتعالَتْ عظمته، لو أن لي سعة تقوم بما أريد لكنت أبذل ما لا لمن ينهني على خطئي، فكلما ينهني أحد على خطأ أعطيته ديناراً. ولقد نهني غير واحد على أشياء (فيه) فأصلحتها، وكنت أدعو لهم، وأثني عليهم، وأقول لهم هذا الكلام، ترغيباً في المعادة إلى الانتقاد، والاجتهاد في الإسعاف بذلك والإسعاد».

وأقول كما قال شيخنا الإمام المجدد مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في «تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب» (ص: ٣١٦): «وأنا أشهدكم أنني متراجع عن أي خطأ في كتيبي أو أشرطتي أو دعوتي لله عَزَّوَجَلَّ، أراجع بنفسٍ طيبةٍ مطمئنة».

قلت: وأنا - والله الحمد - أرسل جميع بحوثي وكتبي قبل النشر ليراجعها من هو أعلم مني ومن هو مثلي ومن هو دون ذلك، وأفرح بكل ملاحظة صحيحة.

والله أسأل أن يبارك في كل من ساهم في إنجاز هذا السَّفر المبارك، وأسأله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، طاهراً من شوائب الإحباط، وأن ينفع به طالبي الحق، ورواد الحقيقة، والباحثين عن إصلاح أخطائهم.

وأترضع إلى من إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه، أن يجعله من الأعمال التي لا ينقطع نفعها عني بعد إدراجي في الأكفان، ومفارقة الأهل والأوطان، كما أسأله سبحانه باسمه الأعظم الذي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب، أن يجعل هذا العمل حجاباً لي في الحياة من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وحجاباً من النار يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وله سبحانه وبحمده الشكر عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته على ما وَفَّقَ وأسدى، وعلى نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده المصطفى، ونبيه المجتبي، ورسوله المرتضى، وعلى آله وأصحابه مصابيح الدجى، وأئمة الهدى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه: العبد الفقير إلى مولاه الغني التقدير

أبو عمار محمد بن عبد الله (باموسى)

القائم على دار الحديث ومركز السلام العلمي للعلوم الشرعية

اليمن - الحديدة

١٤٤٧/٢/٣ هـ

مكة المكرمة، شعب عامر، جبل السودان



تنبيه: حقوق الطبع مباحة لكل مسلم بشرط عدم التغيير.

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،
أما بعد:

فهذه هي الطبعة الثالثة لكتابي: «**زغل الدعوة والدعاة**»، وقد قمت بتصويب وتصحيح بعض الكلمات والعبارات التي ذكرها لي بعض شراح هذا الكتاب^(١) وفقهم الله، حيث شُرح هذا الكتاب، والله الحمد، في دُول كثيرة، في بلاد المسلمين وغيرها، وكذلك قام بعض الشعراء بنظم الكتاب من أوله إلى آخره^(٢).

هذا وقد أضفت والحمد لله، على الطبعة الثانية إضافات قيمة، رأيتها تزيد الكتاب جمالاً إلى جماله.

وقد عرضتُ الكتاب في جميع طبعاته على مجموعة كبيرة من علماء ومشايخ أهل السنة والجماعة؛ فأثنوا على الكتاب ثناءً عطرًا، والله الحمد، وقد استفدت من ملاحظاتهم وتوجيهاتهم القيمة الرائعة، فجزاهم الله عني وعن المسلمين خير الجزاء.

(١) وفي مقدمة هؤلاء الشراح للكتاب الشيخ الألمعي المبارك عادل المشوّري -حفظه الله- حيث قام بشرح الكتاب في دار الحديث بمفرق حُبَيْش، مركز الشيخ العلامة عبد العزيز البرعي حفظه الله.
(٢) نظمَ كتاب (**زغل الدعوة والدعاة**) نظمًا ممتعًا: الشاعر الأديب الأريب الشيخ أبو المنذر عياش الخضوب حفظه الله.

كتبه : العبد الفقير إلى مولاه الغني القدير

أبو عمار محمد بن عبد الله (باموسى)

القائم على دار الحديث ومركز السلام العلمي للعلوم الشرعية

اليمن - الحديدة

١٠/١١/١٤٤٤هـ

مكة المكرمة، شعب عامر، جبل السودان



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،
أما بعد:

فهذه هي الطبعة الثانية لكتابي: «زغل الدعوة والدعاة» وقد قمت بزيادة تهذيبه وترتيبه من تقديم وتأخير، وحذف، وتوثيق وتحقيق، وأضفت على الطبعة الأولى إضافات يسيرة رأيتها تزيد الكتاب جمالاً إلى جماله، وقد عرضت الكتاب في الطبعة الأولى والثانية على مجموعة كبيرة من علماء ومشايخ أهل السنة والجماعة، فأثنوا على الكتاب ثناءً عطرًا، والله الحمد، وقد استفدت من ملاحظاتهم وتوجيهاتهم، فجزاهم الله عني وعن المسلمين خير الجزاء.

كتبه: العبد الفقير إلى مولاه الغني القدير

أبو عمار محمد بن عبد الله (باموسى)

القائم على دار الحديث ومركز السلام العلمي للعلوم الشرعية

اليمن - الحديدة

١٤٤٣/١٠/١٨ هـ

مكة المكرمة، شعب عامر، جبل السودان



مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن الدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء والمرسلين، والدعاة إلى الله هم ورثة الأنبياء والمرسلين، ولا يرث الميت إلا أقرب الناس إليه، قال تعالى عن زكريا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥-٦].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ؛ أَخَذَ بِحِظٍّ وَافِرٍ»^(١).

(١) صحيح. رواه «أحمد» (٢١٧١٥)، «أبو داود» (٣٦٤١)، «الترمذي» (٢٦٨٢) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صحيح الجامع» (٦٢٩٧).

ويكفي الدعوة وأهلها فضلاً وفخراً قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، فلا أحد على الإطلاق أفضل ولا أحسن من الدعاة إلى الله الصادقين المخلصين، فهم أحباب الله وأوليائه كما ثبت عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ^(١)، وهم صفوة الأمة، وحصنها الحصين، ودواء أدوائها، وبلسم جراحاتها، وهم صفحة المجد الثابتة الناصعة في زمن التحولات والتغيرات والتنازلات والانتكاسات والانحرافات.

ودعاة التوحيد والسنة هم خيار الأمة، وفرسان الميادين والمنابر، والثابتون يوم الزحف في ساحة الدعوة والحق، وهم من يحمل همّ الأمة بحقٍّ، ويسعون في الليل والنهار لإعادة مجدها وعزها وشرفها.

إن دعاة التوحيد والسنة هم أهل الوعي الصافي النقي الطاهر في عصر تلوث فيه الأفكار والمفاهيم والعقائد والمناهج.

إن دعاة التوحيد والسنة هم أهل الأصالة والمنبع الصافي العتيق لعلوم الشريعة، بعيدين عن البغاء الفكري الخبيث الذي تلوث به بعض الدعوات فأخذوا علومهم من الشرق والغرب.

(١) حسن. أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٧/٢) ط. الرشد، وابن المبارك في «الزهد» (١٤٤٦)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٤٦٩/٢١) من طريق معمر عن الحسن، وانظر كذلك «تفسير ابن كثير» (٥٢٩/٦) تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين، وقد **صحح** الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ رواية معمر عن الحسن، فقد أورد أثريْن عن الحسن أحدهما من رواية معمر عنه تحت قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]، ثم قال: وهذه أسانيد **صحيحة** عن الحسن، وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «السير» (٥/٧): «معمر شهد جنازة الحسن البصري، وطلب العلم وهو حدث».

إن دعاة التوحيد والسنة هم حراس العقيدة والشرعية، وحماة السنة والمنهج، ودعاة العلم الشرعي الصحيح، وهم بحق العين الساهرة لحماية الأمة من الزيغ والضلال.

إن الدعاة إلى الله: فضائلهم كثيرة، وكما لا تهم^(١) غزيرة، ومناقبهم جليلة، ومآثرهم نبيلة، ولو كتبت مجلدات أعددت محاسنهم فيها لكنت مقصرًا، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

وقد قدمت بهذه المقدمة حتى لا يظن غافل أو متغافل، وأنا أذكر زغل بعض الدعاة أنهم هم أهل المعايب والمثالب، حاشا لله، وكما يقال: **كَفَى الْمَرْءُ نُبَلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ**، فهم بشرٌ كالbشر يخطئون ويصيبون.

مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ وحتى لا يشوب هذه الدعوة وأهلها شائبة؛ لأنهم ليسوا بمعصومين،

(١) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا أَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ». متفق عليه: «البخاري» (٣٤١١)، «مسلم» (٢٤٣١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد هنا: التناهي في جميع الفضائل وخصال البر والتقوى» «شرح صحيح مسلم» (١٩٨/١٥).

وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «(كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ) في الدين، إذ هو الكمال الحقيقي، ويقال: كمال المرء في سنة العلم والحق والعدل والصواب والصدق والأدب، والكمال في هذه الخلال موجود في كثير من الرجال بفضل العقول وتفاوتها». «التنوير شرح الجامع الصغير» (٢٣٩/٨).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا شك أن أكمل نوع الإنسان: الأنبياء، ثم تليهم الأولياء؛ ويعني بهم: الصديقين، والشهداء، والصالحين». «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٧٢/٢٠).

أحببت أن أذكر نبذة مختصرةً معاصرةً في «زغل»^(١) الدعوة والدعاة»، لم أقصد بها داعية دون داعية، أو بلدًا دون بلد، وإنما قصدت بها: معالجة الأخطاء الشائعة، والأخطار الذائعة الطارئة^(٢) التي تصدر من بعض الدعاة، وهم قليل والأخطاء

(١) الزَّغْلُ: هو الغشُّ والأخلاق، يقولون: زَغَلَ الصائغُ الذهبَ؛ أي: غشه، والعملُ الزغلُ: هي المغشوشة؛ والمعنى: أنها مزخرفة مغشوشة. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٣٩٥)، «العامي الفصيح من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة» (ص: ٨٢)، «محيط المحيط» (ص: ٣٧٣). وفي حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه، قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟» قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ». «البخاري» (٣٤١١)، «مسلم» (١٨٤٧).

وهناك كتاب لطيف اسمه: «زغل العلم» لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الإمام الشهير والمحدث التحرير، صاحب التصانيف الكثيرة والعلوم الوفيرة، ذكر فيه ما يعاب على أهل الفنون وما ينتقد على أصحاب المذاهب، وتنبيهه رَحِمَهُ اللَّهُ على ما ينبغي لهم أن يترفعوا عنه من الأخطاء والزلات العلمية والعملية.

قال محقق كتاب «زغل العلم» للذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تناول في هذه الرسالة اللطيفة العلوم المعروفة، وبيّن رأيه فيها وأحوال المهتمين بها في زمانه، كعلم القراءات والتجويد، وعلم الحديث، وتكلم عن فقهاء المذاهب الأربعة في عصره، وعن النحو واللغة، إلى آخر ما ذكر من تلك العلوم، وأن حالهم تلك مخالفة لسلوك الرعيل الأول من الصحابة والتابعين والأئمة الأوائل رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وشدد النكير على المقلدة والجهلة الجامدين على التقليد الأعمى، بلا برهان ولا دليل من كتاب وسنة، حتى أصبحوا حجر عثرة أمام أهل العلم وطلابه، وذكر كذلك الذين اتخذوا العلم وسيلة وغرضًا لتحصيل ملذات الدنيا وحطامها الفاني، علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها...» اهـ.

ويوجد كتاب للعلامة محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ، بعنوان: «مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث».

(٢) وذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «تلبیس إبليس» مجموعة من الأخطاء التي يقع فيها العلماء والعباد، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة، والغيرة عليها من الدّخل، وما علينا من القائل والفاعل، وإنما نؤدي بذلك أمانة العلم، وما زال العلماء =

قليلة والله الحمد؛ أسأل الله لنا ولهم الهداية، وصدق النبي ﷺ القائل: «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْفَرَيْنِ»^(١)، ولم يقل ﷺ: كلكم منفرون عن الدين، فكما أنه ليس من العدل والإنصاف أن نحمل الإسلام بعض أخطاء المسلمين؛ فكذلك ليس من العدل والإنصاف أن نحمل الدعوة السلفية بعض أخطاء من ينتسب إليها؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

ولكن هذا القليل من الزغل إذا دخل في أي دعوة عصف بها وجعلها ركائماً: ﴿كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ﴾ إذا لم يتم إصلاحه وتداركه، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل: ﴿إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كتبه: العبد الفقير إلى مولاه الغني التقدير

أبو عمار محمد بن عبد الله (باموسى)

القائم على دار الحديث ومركز السلام العلمي للعلوم الشرعية

اليمن - الحديدة

غرة شهر صفر ١٤٤٣ هـ



= يُيِّنُ كل واحد منهم غلط صاحبه قصداً لبيان الحق، لا لإظهار عيب الغلط». «تلبس إبليس» (ص: ١٥٢).

(١) متفق عليه: «البخاري» (٧١٥٩)، «مسلم» (٤٦٦) عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تمهيد

لا يخفى على طلبة العلم القاعدة الأصولية: «الحكم على الشيء فرع عن تصوره»؛ لذلك لو حصل منا تصور صحيح لأسباب الخلاف الذي هو بمثابة الداء في الساحة الدعوية لتوصلنا بإذن الله تعالى للجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي؛ لقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عِلْمُهُ مَنْ عِلْمُهُ، وَجَهْلُهُ مَنْ جَهْلُهُ»^(١).

قال العلامة ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(٢): «ومن القواعد المعروفة المقررة عند أهل العلم: الحكم على الشيء فرع عن تصوره؛ فلا تحكم على شيء إلا بعد أن تتصوره تصوراً تاماً؛ حتى يكون الحكم مطابقاً للواقع، وإلا حصل خلل كبير جداً» اهـ. وقد حصل عند الإمام الشاطبي والإمام ابن عثيمين -رحمة الله عليهما- تصورٌ لأسباب الخلاف، وحصروه في ثلاثة أمور، وهي^(٣):

(١) صحيح، رواه «أحمد» (٣٩٢٢)، «الحاكم» (٧٤٢٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٩٥٦٠) عن عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وصححه الشيخ الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «السلسلة الصحيحة» (٤٥١)، «صحيح الجامع» (١٨٠٩).

(٢) «شرح الأصول من علم الأصول» (ص: ٦٠٤).

(٣) أشار إلى أسباب الخلاف الثلاثة الإمام الشاطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتاب: «الاعتصام» (٢/ ٦٧٩-٦٨٨) حيث قال: «كل خلاف له أسباب ثلاثة، قد تجتمع، وقد تفرق».

وابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «شرح صحيح البخاري» (١/ ١٢٦)، «شرح الأربعين النووية» (ص: ١٠٩-١١٠)، وغير ذلك من شروحه.

١- ضعف الدّين.

٢- ضعف العلم.

٣- ضعف العقل.

قلت: وهذه الأمور الثلاثة هي أساس كل خلاف موجود في الساحة الدعوية وغيرها، وقد قمت ببيان ذلك وتوضيحه في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ضعف الدّين ورقّته عند الداعية يسبب زغلاً كثيراً في

الدعوة.

الفصل الثاني: ضعف العلم عند الداعية يسبب زغلاً كثيراً في الدعوة.

الفصل الثالث: ضعف العقل عند الداعية يسبب زغلاً كثيراً في الدعوة.

هذا الإجمال وإليك التفصيل:

الفصل الأول:

ضعف الدين ورقته عند الداعية يسبب زغلاً

كثيراً في الدعوة

الفصل الأول: ضعف الدّين ورقّته عند الداعية

يسبب زغلاً كثيراً في الدعوة

(١) ضعف الإخلاص

الإخلاص مركب الخلاص، وهو الركن الركين، والأساس المتين لكل عمل، فإذا تخلله خللٌ أو دَخَنٌ؛ فإن العمل يعتريه من الخلل والدَّخَنُ بقدر ما يعتري النية.

والبيتُ لا يُبْنَى إلا بأعمدةٍ ولا عماد إذا لم تُبْنِ أركانُ^(١) وهذا مصداقٌ لقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...»^(٢).

قال الإمام الزاهد الورع الكبير سفيان الثوري **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(٣): «ما عاجلت شيئاً أشدَّ عليّ من نيتي» اهـ. هذا وهو سفيان الثوري إمام الدنيا، فما بالك بنا نحن؟! نسأل الله أن يرحم ضعفنا.

(١) «روضة العقلاء» (ص: ٢٧٠).

(٢) متفق عليه: «البخاري» (١)، «مسلم» (١٩٠٧) عن عمر بن الخطاب **رَحِمَهُ اللَّهُ عَنَّهُ**.

(٣) صحيح. رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦٢ / ٧) بلفظ: «ما عاجلت شيئاً أشدَّ علي من نفسي». والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٣١٧ / ١) بلفظ: «ما عاجلت شيئاً أشدَّ علي من نيتي؛ إنها تقلب علي».

ولما ذُكر للإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ الصدق والإخلاص، قال ^(١): «بهذا ارتفع القوم».

ولما قال علي بن الفضيل بن عياض لأبيه رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٢): «يا أبت، ما أحلى كلام أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: يا بني، وتدرى لم حَلَا؟ قال: لا يا أبت، قال: لأنهم أرادوا به الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

وقال ابن النحاس رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٣): «من أخلص لله النية: أثر كلامه في القلوب القاسية فليئها...».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٤): «والإخلاص لله: أن يكون الله هو مقصود المرء ومراده، فحينئذ تتفجر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه». وصدق الإمام العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال ^(٥): «فإخلاص الداعي في دعوته لله تعالى أمرٌ مهم، بالنسبة لنجاحه فيها وثوابه عليها».

وقال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٦): «فيجب على الداعية أن يكون مخلصاً لله عزَّجَل، لا يريد رياء ولا سمعة، ولا ثناء الناس ولا حمدهم، إنما يدعو إلى الله يريد وجهه عزَّجَل، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال عزَّجَل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]؛ فعليك أن تخلص لله

(١) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ٦١).

(٢) «شعب الإيمان» (٣/ ٣٠١).

(٣) «تنبيه الغافلين» (ص: ٦٨).

(٤) «النبوات» (١/ ٤٠٩).

(٥) «الصحوة الإسلامية» (ص: ١٢٠)، «رسالة في الدعوة إلى الله» (ص: ٢٤ - ٢٥).

(٦) «مجموع فتاوى ابن باز» (١/ ٣٤٥).

عَزَّجَلَّ، هذا أهم الأخلاق، وأعظم الصفات أن تكون في دعوتك تريد وجه الله والدار الآخرة» اهـ.

وسئل العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ عَنْ علاج ظاهرة الفتور أو الضعف الإيماني لدى بعض الدعاة^(١)؟

فقال رَحِمَهُ اللهُ: «هذا في الحقيقة يعود إلى شيء سبق أن أشرت إليه، وهو علة العلل في هذا العصر في كثير من الدعاة؛ ألا وهو: عدم الإخلاص في الدعوة. هناك ظاهرة تلفت نظر المفكر الذي يحاول أن يتعرف على ما يصيب المسلمين من أدواء، وأن يقدم -في حدود ما يعلم وما عنده من علم- الدواء، الظاهرة هي أن كلمة الدعوة أصبحت اليوم مهنة، وأصبحت يتبناها كل من يشعر أن لديه شيئاً من العلم، وهو كما يقال: ليس في العير ولا النفير في العلم». وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «قضية عدم الإخلاص في الدعوة، وعدم الإخلاص في العمل للإسلام هي: مشكلة المشاكل في العصر الحاضر.

فكثيرٌ من الدعاة الإسلاميين لا يدعون إلا للوظيفة، وكثيرٌ من طلبة العلم لا يطلبون العلم لله، وإنما يطلبون العلم والأمر واضح جداً، وأصبح الأمر بدهي غفل كل الطلاب عنه إلا من عصم الله منه، يطلب العلم؛ لينال الشهادة، ونيل الشهادة الغرض منها: أن يتوظف، فهو يطلب العلم لينال به الدنيا، وهذا كما سمعتم في الحديث السابق: «ليس له في الآخرة من نصيب».

(١) «سلسلة الهدى والنور» (١٨٨).

(٢) «جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث الكبرى» (١ / ٤٠٣).

وقال العلامة صالح الفوزان - حفظه الله تعالى -^(١): «بعض الناس إذا لم يُمدح ويُشجع ترك الدعوة، وهذا دليل على أنه لا يدعو إلى الله وإنما يدعو إلى نفسه، فليتبته المسلم ويكون رائده وقصده من دعوته هو الإخلاص لوجه الله عزَّ وجلَّ ونفع الناس وتخليصهم من الشرك والبدع والمخالفات».

قلتُ: والخلاصة:

أن من أخل بشرط الإخلاص، ودعا على هواه، ابتلي بأفاتٍ كثيرة، منها: تزكية النفس، والعُجب، والكبر، والحرص على الجاه والمنصب، واحتقار الآخرين، والنظر في عيوب الدعاة إلى الله، والإنفاق على شهواته، وترك الإنفاق على الدين، وثقلت عليه الفرائض والأعمال الصالحة، وتوسع في المباحات، وهانت عليه إضاعة الأوقات في الجدل والشهوات.

فتجده يحب الشهرة والتصدر، ويجب الثناء والمدح، والتبجيل والإجلال، والإفساح له في المجالس، ويجب الكلام في الاجتماعات، ويغضب إذا لم يُفَسَّح له المجال ليتكلم، وينزعج إذا لم يُذَكَّر اسمه، ويُشَدُّ به في اللقاءات والاجتماعات والمحاضرات العامة، ويُشَرُّ إليه بالبنان، وهكذا إذا خطب يجب أن يُمدح على خطبته، وإذا حاضر يجب أن يُمدح على محاضرتة، وإذا درَّس يجب أن يمدح على درسه، وإذا أُلِّف يجب أن يمدح على مؤلفه أو مؤلفاته، وإذا قرأ القرآن في صلاته أحب أن يمدحه الناس، وغير ذلك من الأمراض الخفية التي لا يعلم بها إلا رب البرية.

فالخلاص من كل هذه القاذورات^(٢) بالإخلاص، فالإخلاص سر نجاح

(١) «إعانة المستفيد في شرح كتاب التوحيد» (١ / ١٠٢).

(٢) قال صلى الله عليه وسلم: «اجْتَنِبُوا هَذِهِ الْقَاذُورَةَ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا...». رواه الحاكم (٨١٥٨) وغيره عن =

الناجحين، وعدم الإخلاص سر فشل الفاشلين، وقد غفل عنه الكثير من المصلحين، فإذا نُزِعَ أو ضعف الإخلاص من أعمالنا أصبحت أعمالنا هباءً، لا قيمة لها، ولا أثر ملموس في الواقع، أو قليلة البركة، ضئيلة الثمرة، وقد يتعثر أحدنا في الطريق، وقد يحال بينه وبين الدعوة، وقليل الإخلاص تجده كثير الصراع والخلاف مع إخوانه ورفقاء دربه في الدعوة إلى الله.

أما إذا وجد الإخلاص في الأعمال؛ فإننا نلمس الأثر ظاهراً جلياً بإذن الله تعالى من النجاح في الدعوة والألفة مع الدعاة؛ فالنية الصالحة ترفع صاحبها إلى أعلى عليين، والنية الفاسدة تهوي به إلى أسفل سافلين، كما قال ابن المبارك **رَحِمَهُ اللَّهُ**: فكم من عملٍ قليل كثرته وعظمته النية الصالحة، وكم من عملٍ كثير حقرته النية الفاسدة^(١).

فينبغي للداعية دائماً وأبداً: أن يتذكر نصوص الوعيد، وأن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة^(٢)، ومنهم: من طلب العلم ليقال: عالم، أو قرأ القرآن ليقال: قارئ...، ومع ذلك لا ييأس الداعية إذا كان يجاهد نفسه في تحقيق

= ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، وصححه الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «السلسلة الصحيحة» (٦٦٣)، «صحيح الجامع» (١٤٩).

تنبيه: الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يشير في هذا الحديث إلى المعاصي الظاهرة، ولا مانع من إلحاق غيرها بها؛ فهناك معاصٍ قلبية خفية أعظم من بعض المعاصي الظاهرة.

(١) «جامع العلوم والحكم» ص: (٧١). وقال جعفر بن حيان: «مَلَأَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ: النِّيَّاتُ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَبْلُغُ نِيَّتَهُ مَا لَا يَبْلُغُ بِعَمَلِهِ». أخرجه ابن المبارك في «الزهد»، ت: الأعظمي (ص: ٦٣) بسند صحيح.

(٢) رواه «مسلم» (١٩٠٥)، «الترمذي» (٢٣٨٢)، «الحاكم» (١٥٢٧).

الإخلاص؛ فإن الله يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال ابن جماعة رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «قال بعض السلف: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، قيل: معناه: فكان عاقبته أن صار لله؛ ولأن إخلاص النية لو شُرِطَ في تعليم المبتدئين فيه مع عسره على كثيرٍ منهم لأدى ذلك إلى تفويت العلم على كثيرٍ من الناس، لكن الشيخ يحرض المبتدئ على حسن النية بالتدرج قولاً وفعلاً، ويعلمه بعد أنسه به أنه ببركة حسن النية ينال الرتبة العلية من العلم والعمل، وفيض اللطائف، وأنواع الحكم، وتنوير القلب، وانسراح الصدر، وتوفيق العزم، وإصابة الحق، وحسن الحال، والتسديد في المقال، وعلو الدرجات يوم القيامة» اهـ.



(١) «تذكرة السامع والمتكلم» (ص: ٢٦).

(٢) التعالم وحب الشهرة والظهور يقصم الظهور

لا شك أن هذه الفقرة داخله في الفقرة التي قبلها، ولكني أفردتها للأهمية؛ فإن التعالم - وهو أن يدعي الشخص بأقواله أو أفعاله أنه العالم، وهو في الحقيقة ليس بالعالم، وإن كان عنده من العلم إلا أنه لا يصل به إلى هذه المنزلة -، خلل في عقيدة التوحيد وغير ذلك، ومرض فتاك وداء عضال، عَصَفَ ببعض الدعاة من البادئين في العلم خاصة، ويصدق على من اتصف بهذه الصفة قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ»^(١).

وهكذا فحب الشهرة والظهور قاصم للظهور، ولا يسلم منه إلا من عصمه الله، فإذا كانت نية الداعية أن يشتهر اسمه، ويلمع نجمه، ويرتفع ذكره، فقد ﴿أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]، وطلب سقيا ظمئه من سرابٍ ﴿بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]، ودخل في: ﴿ظَلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَنَّهُ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

كيف لا يكون الحال كذلك وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ: الرِّيَاءُ، وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ»^(٢).

(١) متفق عليه: «البخاري» (٥٢١٩)، «مسلم» (٢١٣٠) عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولمزيد الفائدة: انظر: الكتاب الماتع: «التعالم» للعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) حسن. رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٤٠٥) عن عباد بن تميم عن عمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه

الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٥٠٨).

قال ابن الأثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(١): «إن الشهوة الخفية: حب اطلاع الناس على العمل».

فطالب الجاه والشهرة، طالب آفة دنيوية، جاءت نصوص الوحيين بدمهما؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الفصل: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ١٥ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

ولو كانت الشهرة غاية يسعى إليها، ومنقبة تشوق لها النفوس الكريمة، لأكرم الله بها سادة الدنيا من الأنبياء والمرسلين الذين لا يعلم عددهم كثرة إلا الله، ورغم ذلك لم يذكر لنا القرآن سوى أسماء خمسة وعشرين نبياً لا غير^(٢).

وقد كان السلف الصالح **رَحِمَهُمُ اللَّهُ** يفرون من الشهرة فراراً عظيماً، وفي مقدمتهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فيروى أنه قد حج مع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ما يربو على مائة ألف صحابي^(٣)، فلم يستطع ابن حجر العسقلاني **رَحِمَهُ اللَّهُ** - على قوّة حفظه، وسعة اطلاعه، ومهارة بحثه - أن يجمع لنا في كتابه

(١) «النهاية» (٢/ ٥١٦).

(٢) ولزيد الفائدة حول هذا الموضوع: انظر: «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» لابن حزم **رَحِمَهُ اللَّهُ** (ص: ٨٨-٩١).

(٣) قيل: عدد الذين حجوا مع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في حجة الوداع مائة ألف. وقيل: مائة وأربعة عشر ألفاً. وقيل: أقل. وقيل: أكثر. حكاه البيهقي وغيره. وروى ابن الصلاح في مقدمته (ص: ٤٩٤) عن أبي زرعة الرازي أن عدتهم أربعون ألفاً، والله أعلم.

«الإصابة» أكثر من ثمانية آلاف صحابي، فأين الباقون؟! إنهم على مناجى قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»^(١)، ومن اشتهر من الصحابة الكرام فقد اشتهر بغير حُبٍّ وتطلعٍ للشهرة والظهور. وقد حذر سلفنا الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ من حُبِّ الظُّهور والشهرة، ومن يجعلها هدفه، وغايته التي يسعى إليها، وتضافرت أقوالهم المحذرة من هذا الخلق الذميم، فهذا سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول^(٢): «إِيَّاكَ وَالشُّهْرَةَ؛ فَمَا أَتَيْتُ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ نَهَى عَنِ الشُّهْرَةِ» اهـ.

وقال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «أريد أن أكون في شعبٍ بمكة؛ حتَّى لا أعرف، قد بُليتُ بالشُّهرة، إِنِّي أتمنَّى الموت صباحًا ومساءً» اهـ. هكذا مضى السلف الصالح على هذا المنهاج، وكان هذا دينهم وديدنهم، فأين هذا من أقوامٍ غلبهم حُبُّ الشهرة، وظنُّوا أنَّ التفاضل بكثرة المعلومات والمؤلفات، أو بغزارة المحفوظات، أو بالثناء، وبانتشار الذكر، حتَّى سجَّل التاريخ عليهم عارًا وشنارًا، ومن قرأ التاريخ وغاص فيه يجد عجبًا!. فمنهم: من قال حبًّا في الشهرة: ليت فلانًا ذكرني في كتابه ولو في الكذابين!، وهو من أفاضل العلماء!^(٤).

ومنهم: من تزندق بل أُلحد، وهو يبحث عن الشهرة كالعالم الكبير عبد الله

(١) رواه «مسلم» (٢٩٦٥) عن سعد بن أبي وقاص رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «حلية الأولياء» (٢٣ / ٧)، «سير أعلام النبلاء» (٢٦٠ / ٧).

(٣) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص: ٣٧٧)، «سير أعلام النبلاء» (٢١٦ / ١١).

(٤) هو ابن البناء الحسن بن أحمد بن عبد الله البغدادي. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣٨١ / ١٨).

القصيمي^(١)؛ نسأل الله الثبات إلى الممات على الكتاب والسنة.

فيا أيها الداعية الكريم، إياك إياك والتعالم وحب الشهرة؛ فإنهما شهوتان خفيتان تصيبان القلوب، فتمنعها من الإخلاص، والصدق مع الله تعالى، وتأكلان الحسنات، وتجلبطان الأعمال الصالحة، وتسببان الغفلة، وقسوة القلب. أمّا من اشتهر بالعلم والزهد والورع، ونيته صالحة وعمله خالص لوجه الله؛ فإنه خارج عن هذه الدائرة، وهي من عاجل بشرى المؤمن، ولكن لا يزال بحاجة إلى أن يتفقد حال قلبه بين الفينة والأخرى.

قال الشيخ الألباني رحمهُ اللهُ^(٢): «من الأخلاق الأساسية التي يجب أن يتصف بها الداعية المسلم:

التواضع، والبعد عن حب الظهور، والتفاخر، والادعاء؛ فإن هذه أدواء قاتلة تجرد الساعي إليها، والحريص عليها، من أهلية الدعوة، وتفقده سلاحاً ماضياً للنصر على أعدائها، وتجعل عمله هباءً منثوراً، والعياذ بالله؛ فاللهم عصمتك وهداك».

(١) ينظر: قصة عبد الله القصيمي في كتابي: «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» (ص: ٢٩٤) ط. الثالثة.

(٢) «موسوعة الألباني في العقيدة» (٣ / ٦٨٦).

(٣) إتقان بعض المسائل العلمية ثم طرحها في المجالس ليقال: عالم ومحرر ومدقق!

ومن المظاهر المخزية - وهي صورة من صور التعالم - أنك ترى بعض طلبة العلم يتقن مسألة أو أكثر من مسائل العلم ويميتها^(١) بحثاً ليلاً ونهاراً وربما يستمر في بحثها الزمن الطويل، ويحفظ الأقوال والردود والراجع والمرجوح في هذه المسألة ثم يفتح هذه المسألة أو المسائل في المجالس بطريقة أو بأخرى حتى يقال عنه: بحرٌ لا ساحل له في العلم!، وأنه من الباحثين المدققين المحررين!، فإن سألته عن مسألة في نفس الباب حارَ في الجواب!، بل لو سألته في بعض مسائل أصول الدين وفي الكليات والقطيعات والثوابت ربما لا يحسن جوابها!.

قال الإمام ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «اعلموا إخواني أني فكرت في السبب الذي أخرج أقواماً من السنة والجماعة واضطّروهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلية على أفئدتهم، وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين: أحدهما: البحث والتنقيير وكثرة السؤال عما لا يعنيه، ولا يضر العاقل جهله، ولا ينفع المؤمن فهمه... إلخ».

وقال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ^(٣): «احذر ما يتسلى به المفلسون من العلم، يراجع مسألة أو مسألتين، فإذا كان في مجلس فيه من يشار إليه، أثار البحث فيهما،

(١) قتل الموضوع بحثاً: درسه من جميع جوانبه. ينظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» (٣/ ١٧٧٤).

(٢) «الإبانة» (١/ ٣٩٠).

(٣) «حلية طالب العلم» (ص: ١٩٨).

ليظهر علمه! وكم في هذا من سوء، أقلها أن يعلم أن الناس يعلمون حقيقته» اهـ.

وقال شيخنا الوادعي **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(١): «ولكن بعض طلبة العلم رضي بما عنده من العلم وأصبح يجادل به كل من خالفه».

وهذا سبب من أسباب الفرقة والاختلاف، روى الإمام الترمذي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في جامعه^(٢) عن أبي أمامة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

وقال الشيخ عبد السلام بن برجس **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(٣): «... ولقد بلينا في هذا الزمن بشرذمة قليلة - والله الحمد - يقرؤون كتاباً أو كتابين، ويحفظون مسألة أو مسألتين، ثم بعد يوم أو يومين من أعمارهم في الطلب يصبحون مجتهدين!، وليتهم يقتصرون على هذا الخيال الكاسد، بل يستصغرون غيرهم من العلماء، بله طلبة العلم والدعاة، ويرون لأنفسهم مكاناً عالياً لا يصل إليه أحد، يظهر ذلك على ملابسهم، ومشيمهم، وكلامهم؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون، ما أعظم ضررهم وأقل نفعهم، وأمتن جهلهم! نسأل الله تعالى أن يهديهم سواء السبيل...» اهـ.

(١) «الترجمة» (ص: ٢٠١).

(٢) صحيح. رواه «أحمد» (٢٢١٦٤)، «الترمذي» (٣٢٥٣)، «ابن ماجه» (٤٨)، «الحاكم» (٣٦٧٤)، وحسنه الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «صحيح الجامع» (٥٦٣٣)، وصححه شيخنا الوادعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «الجامع الصحيح» (٤٥٢٣)، رحمة الله على الجميع.

(٣) «عوائق الطلب» (ص: ١٧).

وقال الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله -^(١): «ومن أحسن ما يذكر في هذا من مقاصد العلماء المحموده: ما ذكره أحد تلامذة الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: كنا مرة في مجلس شيخنا بعد صلاة الصبح، وذكر مسألة من المسائل الفقهية من غرائب المسائل وفصل فيها القول، وذكر أقوال العلماء والفقهاء والتخريج... إلخ، مما تعجبنا منه ومن حافظته وحسن استخراجها، ثم دُعينا ذلك اليوم مع شيخنا في مجلس فيه عدد من القضاة ومن أكابر العلماء، قال: فذكرت المسألة - نفسها -، فلم يُحسنوا الكلام عليها، وكان شيخنا ساكتاً، ووددنا لو أنه تكلم حتى يظهر فضله، ثم لما انصرفنا ذكرنا له سكوته، فقال: «هذا مجلسٌ يراد للدين، ومجلسي معكم يراد للآخرة»، وهذا ظاهرٌ في كثير من المباحث التي تجري وليس المقصود منها الفائدة في المجالس العامة، وفي مخالطة الناس لا يكون القصد الفائدة، المقصد: المراء، هذا يُظهر علمه وهذا يُظهر علمه، وليس المقصود تحقيق المسألة وإفادة الحاضرين وأشباه ذلك مما يوجب السكوت».

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لقوم سمعهم يتمارون في الدين: «أَوَمَا علمتم أن الله تعالى عبادةً أَصَمَّتْهُمْ خَشْيَتُهُ مِنْ غَيْرِ بَكْمٍ وَلَا عِيٍّ، وإنهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء، العلماء بأيام الله عَزَّجَلَّ، غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله عَزَّجَلَّ؛ طاشت لذلك عقولهم، وانكسرت قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله عَزَّجَلَّ بالأعمال الزاكية، يعدون أنفسهم مع الْمُفْرَطِينَ، وَإِنَّهُمْ لَأَكْيَاسُ أَقْوِيَاءَ، ومع الظالمين والخطائين وإنهم لأبرارٌ بُرَاءٌ، إلا أنهم لا

(١) «شرح كتاب أصول الإيمان للشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب» (ص: ١٩٠).

يستكثرون له الكثير، ولا يرضون له القليل، ولا يدلون عليه بالأعمال، هم حيثما لقيتهم مهتمون مشفقون وجلون خائفون»^(١).



(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢٥)، وابن المبارك في «الزهد» (١٤٩٥)، وأحمد في «الزهد» (ص: ٤٣)، والآجري في «الشرعية» (ص: ٥٩، ٦٠). قال صاحب كتاب: «سلسلة الآثار الصحيحة» (٢/ ٣٥٥): «خبر جيد، لا بأس به»، وضعفه محقق «المجالسة» (١٠٢١).

(٤) صراع بعض الدعاة على زعامة الدعوة ورئاستها

حب التسلط على الآخرين سببه: قوةٌ خارجية، وضعفٌ داخلي: أما القوة الخارجية: فكتلب الشهرة، والمكانة، والجاه، والمنصب، والمال، وكثرة الأتباع، وكذلك من الأسباب: تأثير جلساء السوء، وغير ذلك. وأما الضعف الداخلي: فكضعف الدين، أو ضعف العلم، أو ضعف العقل. يُذكر عن الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «آخر الأشياء نزولاً من قلوب الصالحين: حب السلطة والتصدر» اهـ.

قال بعض الحكماء: حب الرئاسة الدينية في قلوب أهلها أشد من حب الرئاسة الدنيوية في قلوب أهلها.

فحب الرئاسة جالبٌ للتعاسة والانتكاسة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالنفس مشحونةٌ بحب العلو والرئاسة بحسب إمكانها»^(١).

ومرض الرئاسة موجودٌ في قلوب بعض الصالحين حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال بعض العارفين: ما من نفسٍ إلا وفيها ما في نفس فرعون، غير أن فرعون قدر فأظهر، وغيره عجز فأضمَر»^(٢).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «من أحب الرئاسة؛ فليعد رأسه للنطاح!».

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤٤٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٣٢٤) (٨/ ٢١٧).

(٣) صحيح. أخرجه ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامع بيان العلم وفضله» (٩٧٩).

وقال أيضا رَحِمَهُ اللهُ^(١): «ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة حامى عليها، وعادى».

وقال يوسف بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «في الدنيا طغيانان: طغيان العلم، وطغيان المال، والذي ينجيك من طغيان العلم: العبادة، والذي ينجيك من طغيان المال: الزهد فيه»^(٣).

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ^(٤): «فكم من رجلٍ نطق بالحق وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده، وحبه للرئاسة الدينية؛ فهذا داءٌ خفيٌّ سارٌّ في نفوس الفقهاء...».

وقال الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللهُ^(٥): «على كل داعيةٍ إذا كان ناصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم أن يسعى في أسباب توحيد صفوف الدعاة إلى الله بعيداً عن الأنانية، وحب الزعامة، وعشق المناصب، كما يسعى في منع أسباب التحزبات التي تؤدي إلى الخلافات والنزاعات الداخلية فتعرقل سير الدعوة، بل تؤدي إلى بلبلة العوام وأشباه العوام الذين يجهلون موقع الحق».

وقال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي رَحِمَهُ اللهُ^(٦): «نحن ما عرفنا مثل هذا

(١) ينظر: «حلية الأولياء» (٧ / ٣٩)، «سير أعلام النبلاء» (٧ / ٢٦٢).

(٢) «اقتضاء العلم العمل» (ص: ٣٠).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠ / ٢٥٦).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٨ / ١٩٢).

(٥) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٢٦ / ٧٩).

(٦) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٩٧).

التفرق والتمزق -والله-، الفتنة الآن تكتنف السلفية والسلفيين في العالم ما مر مثلها؛ لأن الرؤوس كثرت، وحب الزعامات انتشر -مع الأسف-، والمدسوسون بين صفوف السلفيين كثر، فمزقوا السلفيين شذر مذر، فاحذروا من الفرقة، وتنبهوا لهؤلاء المفرقين، وتأخوا فيما بينكم، كونوا كالجسد الواحد» اهـ.

قلت: وهذه الآفة الخبيثة سببت صراعاً مريراً ومعارك طاحنة بين بعض الدعاة والمصلحين في مشارق الأرض ومغاربها، راح ضحيتها خلق لا يحصي عددهم إلا الله، ضحايا في العقائد، وضحايا في المناهج، وضحايا في السلوك، وضحايا في العبادات، وجرح آخرون في قلوبهم، وحصل بذلك القطيعة والتشاحن والتدابير والتقاطع والتهاجر إلى ما لا نهاية، فإذا خفيت على الناس أسباب هذه المعارك الوهمية، والصراعات الشيطانية، والانتصارات النفسية، فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويوم القيامة يبعث ما في القبور ويحصل ما في الصدور، اللهم سلم سلم.



(٥) تجميع الداعية الناس حوله لا على الحق والدعوة

إن بعض الدعاة همّهم جمع الناس حوله، يريد ولأهمهم له، وحبهم إياه، وحضورهم بين يديه، ودراستهم عنده، يغضب إذا ذهبوا لغيره ممن هو مثله أو أفضل منه علماً ودينًا، فتجده يغمز فيه ويلمز ويعرض بدمه عند كل مناسبة، ولسان حاله يقول: إن طلبت العلم عندي؛ فأنت طالب علم مستفيد، وعلى منهج سديد، ورأي رشيد، وإن طلبته عند غيري فبالعكس! وهذه أفعال الأحزاب والجماعات وليست أفعال الدعاة الصادقين المخلصين الذين يريدون الله والدار الآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس - حولهم - ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء» اهـ.

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]^(٢): «وفيه مسائل: ... الثانية: التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرًا لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه» اهـ.

وقال العلامة صالح الفوزان -حفظه الله-^(٣): «فقد يكون الإنسان يدعو، ويحاضر ويخطب، لكن قصده من ذلك أنه يتبين شأنه عند الناس، ويصير له

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/٢٨).

(٢) «كتاب التوحيد» (ص: ٢١): باب: الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

(٣) «إعانة المستفيد» (١/ ١٠١-١٠٢).

مكانة، ويُمدح من الناس، ويتجمعهرون عليه، ويكثرون حوله، فإذا كان هذا قصده، فهو لم يدعُ إلى الله، وإنما يدعو إلى نفسه» اهـ.



(٦) التحاسد بين الدعاة

إن التحاسد بين بعض الدعاة والمصلحين حاصل على مر العصور والدهور؛ لأنهم ليسوا بأنبياء معصومين.

ومن أسباب التحاسد بين الدعاة:

- أن يكون أحدهما محبوباً أكثر من الآخر.
- أو له جماهير وصيتٌ وشهرة أكثر من الآخر.
- أو من يحضر له في خطب الجمعة أو في محاضراته أو في دروسه أكثر من الآخر.

- أو له مؤلفات والآخر ليس له مؤلفات.
- أو عنده موهبة في فن الخطابة والآخر ليس عنده هذه الموهبة.
- أو صوته جميل في قراءة القرآن والآخر ليس كذلك.
- أو أحدهما يحفظ القرآن والآخر ليس كذلك.
- أو أحدهما أعلم من الآخر.

إلى غير ذلك من أسباب التحاسد بين الناس، ولا شك أن الحسد يدل على ضعف الإيمان بالقضاء والقدر لدى الحاسد، والله المستعان.

وقد حصل هذا الداء في أولاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقصة يوسف عليه السلام مع إخوته معلومة، فقد ألقوه في غيابة الجب، وما قصة ولدي آدم عليه الصلاة والسلام عنكم ببعيد، حيث قتل أحدهما الآخر، وهذا مصداق لقوله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مُحْسُودٌ»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد، لكن الكريم يخفيه والليئيم يبيده» اهـ.

وقال الحسين بن الفضل رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «جمع الله الشر في سورة الفلق، وختمها بالحسد؛ لِيُعْلَمَ أنه أخس الطبائع».

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تحاسد العلماء^(٤): «ولو شئت لسردت من ذلك كرايس»؛ أي: لمأت كتباً ودفاتر من قصص تحاسد العلماء.

وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ^(٥): «هالك العلماء بحسدهم»؛ أي: بحسد بعضهم بعضاً.

وقال محمد بن علي بن عمر المعروف بابن الشَّباط التَّوَزَّرِي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٦): «إن

(١) صحيح. رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٤٥٥) عن معاذ بن جبل رَحِمَهُ اللَّهُ عَنهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بشواهده كما في «السلسلة الصحيحة» (١٤٥٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ١٢٤ - ١٢٥)، «أمراض القلوب وشفافؤها» (ص: ٢١).

(٣) ذكره عنه الثعالبي في «تفسيره» (٣٠ / ٥٤٢) وغيره.

(٤) قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعاب به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصرًا من الأعصار سلّم أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كرايس؛ اللهم فلا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم».

ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١ / ٥٩ - ٦٠)، «ميزان الاعتدال» (١ / ١٣٦).

(٥) «محاضرات الأدباء» (١ / ٦٥).

(٦) «تاريخ الأندلس» لابن الكَرْدُبُوس، ووصفه لابن الشَّباط، نصان جديدان (ص: ٧٤)، «موجز تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة» للدكتور طه عبد المقصود عبد الحميد عُبَيْة (ص: ١٨٥).

المسلمين بالأندلس لم يقصدتهم عدوٌ إلا هُزم، وإنما خذلهم التحاسد، وفرط الخلاف، والتباغُض، وقلة الإنصاف».

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ^(١): «مع الأسف الشديد أن الحسد بين العلماء أكثر منه في غيرهم؛ نسأل الله السلامة» اهـ.



(١) «فتح ذي الجلال والإكرام» (٦ / ٤٥٢).

(٧) تصيير الخلافات الشخصية إلى خلافات دينية عقدية منهجية

حتى يشرعن خلافه مع خصمه وينتصر عليه

إن بعض الدعاة إلى الله عند الاختلاف بينهم يحاول كل واحد منهم أن يسبق الآخر إلى دعوى أن خلافه معه من أجل الدعوة إلى الله، وأنه أغير منه عليها وأفهم منه ليتسنى له التدرج بهذه الدعوى إلى تبديع خصمه أو تحزيبه أو تفسيقه حتى ينتصر عليه ويُشرعن خلافه معه، ومن يعيش في الساحة الدعوية يرَ عجباً من الخصومات بين بعض الدعاة؛ فتجد بعض الدعاة يتعري من العلم والدين والعقل عند الخلاف والخصومة، ويفجّر فجوراً عظيماً، لا يبالي بسمعته ولا بمكانته، ولا بدعوته وتمزق الصف السلفي؛ فتجده يحاول جاهداً تبديع خصمه أو تحزيبه؛ ليسقطه، وينتصر عليه، ويشرعن خلافه معه بهذا التبديع أو التحزيب، وكأن الخلاف لا يصلح أن يكون بين أهل التوحيد والسنة إلا بهذا، وغفل هذا المسكين أن الإسقاط والضعفة والرفعة والخفض بيد الخالق لا بيد المخلوق، بل ربما سقط هو، ورفع الله من أراد هذا الرجل إسقاطه، وقد شاهدنا هذا واقعاً ملموساً.

وكما قال بعض السلف: ثلاث من كنّ فيه؛ كنّ عليه، ومنها: المكر، والبغي^(١)، فليحذر المسلم من هذه الغفلة الخطيرة، والمعاملة المدمرة، كيف لا

(١) ١. البغي؛ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُعِثُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ [يونس: ٢٣].

٢. والمكر؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْبِقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

٣. والنكث؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠].

وهو سعيٌّ فيه خراب الدين والدنيا، وهذه الأفعال تشبه أفعال بعض السياسيين؛ فإنهم أحياناً إذا اختلفوا مع جهة أو مع أشخاص اهتموهم بالإرهاب! ^(١)؛ من أجل كسب الرأي العام وشرعنة أفعالهم، وهذا -والله- انحرافٌ بين، فقد اختلف العلماء سلفاً وخلفاً، ولم يسارع كل واحدٍ منهم إلى تبديع الآخر، إلا من تحققت فيه الشروط وانتفت الموانع ^(٢).

بل وإن كنت تعجب فاعجب، والأعاجب جمة، أن بعض الدعاة يبدع ويحزّب ويحذّر من الشخص ويثغّب عليه بسبب الأحاسيس والمشاعر، والنفسيات، وعدم المحبة له فقط لا غير.

فتجده يحذّر من أخيه السلفي الذي يدعو إلى التوحيد والسنة صباح مساء، فإذا قيل له: لماذا تحذّر من فلان؟، ما هي أدلتك على التحذير منه؟؛ يقول لك: في الحقيقة أنا لا أحبه، ولا يُعجبني، وقلبي يمجّه، ولا يطيقه، ونفسي منقبضة منه، وهذا سرٌّ بيني وبينك لا تُخبر به أحداً، والبعض لا يُظهر هذا السر، بل يخفيه في نفسه، وقد يستدل على فعله هذا بقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ». رواه البخاري عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** ^(٣).

= «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٤ / ١٧٧) بتصرف يسير.

(١) تنبيه: نحن لا ندافع عن الإرهاب وأهله، لا والله وبالله وتالله، بل الدعوة السلفية وحملتها في كل مكان يحاربون الإرهاب وأهله تديناً قبل محاربة السياسيين للإرهاب سياسة إلا من رحم الله.

(٢) وهناك كتاب في هذا الموضوع، انظره إن شئت غير مأمور، اسمه: «الخلاف بين العلماء» للعلامة

محمد بن صالح العثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

(٣) «البخاري» (٣١٥٨)، وأخرجه «مسلم» (٢٦٣٨) عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

فهذا المسكين يظن أن الميزان وجود محبة عاطفية بينه وبين أخيه، فإذا لم توجد هذه المحبة وحصل اختلافٌ في القلوب أن هناك اختلافًا في المناهج والعقائد، وهذا جهلٌ مركّبٌ منه، والحقيقة هو لا يظن هذا وإنما يحذر من أخيه بسبب شهوة خفية، وهذه هي البلية، بل قد يكون المحذر منه أفضل من المحذر دينًا وعلماً وخلقًا.

فما علاقة الأحاسيس والمشاعر وعدم المحبة في التحذير من إخوانك؟، فقد قال النبي ﷺ لو حشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قاتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي» كما في البخاري^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كره اسمه وفعله»^(٢).

لكن هل طعن الرسول ﷺ في إسلامه أو حذر منه ومنع من مجالسته؟ حاشاه ﷺ، وهو أعدل الخلق؛ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].
ويروى عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه استدعى قاتل أخيه زيد بعد إسلامه ثم قال له بعد أن سألته عن قتل زيد: أنا لا أحبك؛ فقال الرجل لعمر: أفتَمَنَعُنِي حقًّا يا أمير المؤمنين إذا كان لي؟ يعني: هل ستظلمني بسبب أنك لا تُحِبُّني؟ قال: لا، قال: فلا بأس، إنما يبكي على الحبِّ النساء^(٣).

(١) «البخاري» (٣٨٤٤).

(٢) «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص: ٢١٢).

(٣) الأثر ذكره الماوردي في «أدب الدنيا والدين» (ص: ١٣٨)، والمبرد في «الكامل في اللغة والأدب»

(٢/١٤٥).

كونك لا تحبني هذا الأمر ليس بيدي ولا بيدك، المهم لا تظلمني ولا أظلمك، وإن كان حب عمر مما يُحرص عليه.

وانظر مرة أخرى إلى عدل عمر رضي الله عنه مع هذا الرجل الذي لا يُحبه إلا أنه ولاه قضاء البصرة بعد عمران بن حصين، وصدق الله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

فأيها الداعية قدّم مصلحة الدين والدعوة على الأحاسيس والمشاعر والمحبة والأغراض النفسية الصبانية إن كنت صادقاً مخلصاً لهذا الدين وهذه الدعوة السلفية المباركة وإلا فإن الدعوة السلفية كالبحر يلقي بالجيف خارجه. فاللهم يا رحيم ارحم الدعوة وأهلها من هذا الزغل.



(٨) المسابقة في تبديع من ليس بمبتدع

وهناك لونٌ آخر من المسابقة في التبديع أو التحزيب:

وهو أن بعض الدعاة إذا رأى بعض المخالفات من بعض الدعاة في بلده، أو في أي مكان كان هذا الداعية، تجده يسارع ويسابق إلى تبديعه أو تحزيبه أو تخطئه قبل العلماء؛ لا لشيء إلا من أجل أن يقول معترًا مفتخرًا: أنا أول من بدّعت فلانًا وعرفت خباياه؛ فيكون له قصب السبق في هذا!، ويقال عنه: بصير بأهل البدع والأحزاب!، وقد ينحرف هذا الداعية المبدّع أو المحزّب بسبب هذا التبديع الباطل أو التحزيب العاطل، وقد ينحرف المبدّع والمُحزّب للناس بغير أدلة ولا براهين، وصدق الله القائل: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، والقائل: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٢٣]، والقائل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

قال ذهبي العصر عبد الرحمن المعلمي رحمه الله^(١): «فأما الداء المعروف الآن، وهو التكفير والتضليل - والتبديع بغير ضوابط شرعية وقواعد مرعية -؛ فإنه لا يزيد الداء إلا إعضالًا.

ومثله مثل رجلٍ ظهر ببعض أصابعه برص فقطعه! فظهر البرص بأخرى فقطعها! فقليل له: حنانيك قبل أن تقطع جميع أعضائك!».

(١) ينظر: «صفة الارتباط بين العلماء في القديم» - ضمن «آثار المعلمي» (١٥ / ٤٢٢).

وقال الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجفي **رَحْمَةُ اللَّهِ**^(١): «من وقع في بدعة من البدع متفق عليها، ومعروف بأنها بدعةٌ يجب أن ينصح وتكرر عليه النصيحة، ولا ينبغي أن نسارع بالحكم عليه بالبدعة؛ لأن هذا خطأ فإننا إذا فعلنا ذلك نكاد أن يسقط بعضنا بعضاً ويكون أصحاب المنهج السلفي مع قلتهم يتساقطون واحداً بعد واحد، بل الذي ينبغي إذا حصل من إنسان شيء من ذلك يجب أن نتأني به وألا نتسرع بالحكم عليه والتحذير منه والأمر بهجره بل نكرر عليه النصيحة من عدة أشخاص ثم بعد ذلك إذا أصر وأبى عند ذلك نقول: ترون فلاناً مبتدعاً؛ احذروه، أما أن نتسرع ونحكم عليه بالبدعة؛ فهذا لا ينبغي، وليس هذا في صالح الدعوة السلفية، بل يجب التأني وعدم التسرع في ذلك».



(١) محاضرة بعنوان «منهج ائمة الدعوة في مسائل التوسل والاستغاثة».

(٩) إفشاء الأسرار عند حصول الخلاف

من الأخلاق المشينة السيئة عند بعض الدعاة:

إفشاء أسرار إخوانه بعد الخلاف معهم، فينشر غسيلهم^(١) للقاصي والداني، والقريب والبعيد، والبر والفاجر، من أجل أن يبرّر خلافه معهم، وأنه مُحَقٌّ وخصمه مخطئٌ، وهذا دليلٌ على عجزه وإفلاسه من الأدلة والبراهين؛ فيقوم بإخراج أسرار خصمه ولو أدى هذا إلى هدم الدعوة وكسرها ونصر البدعة وأهلها، والدعوة السلفية - والله الحمد - ليس فيها سرّيةٌ مقبّلةٌ، بل ليلها ونهارها وظاهرها وباطنها سواء.

لكن المراد بالأسرار هنا: الأسرار الخاصة التي تكون في حياة الناس ولا بد، ولا شك أن إفشاء الأسرار خيانةٌ للأمانة، ونقضٌ للعهد، ودليلٌ على لؤم الطبع، وفساد المروءة، ودليلٌ على قلة الصبر، وضيق الصدر، وإفسادٌ للأخوة، ومدعاةٌ للتنافر أكثر وأكثر، وقطع حبال الصلة، وإغلاق باب الرجوع للحق أو الرجوع إلى الأخ الذي أفشيت سرّه.

قل لي - بربك - أيها الداعية يا من أفشيت الأسرار، كيف ستخطب، وكيف ستحاضر للناس عن هذا الموضوع، وعن حكم إفشاء السر، هل ستقول لهم: أيها الناس، إن السر من الأمانات التي نهى الله عن خيانتها؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) أي: يعلن ويظهر للناس ما خفي عنهم من أخطائه؛ مثل الذي ينشر غسيله - أي: الملابس المغسلة - على الحبال، فيها ملابس الرجال، وملابس النساء، وملابس الصغار، وملابس الكبار.

الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿[الأنفال: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]؟.

وهل ستقول لهم: إن إخراج أسرار الناس للآخرين خيانة للأمانة؟! وهم يعلمون أنك قد فعلت هذا مع الآخرين، ونشرت أسرارهم في المذكرات والملازم والصوتيات!!

هل ستقول لهم: إن الله قد امتدح الذين هم لأمانتهم راعون؛ فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]؟.

وهل ستقول لهم: لقد عاب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** على بعض أزواج النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إفشاءها سر الرسول الكريم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا﴾ [التحریم: ٣]؟.

وهل ستحدثهم بهذا الحديث: وهو قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ التَّقَتْ فِيهِ أَمَانَةٌ»^(١)؟.

قال ابن رسلان **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(٢): «لأن التفاته إعلام لمن يحدثه أنه يخاف أن يسمع حديثه أحد، وأنه قد خصه سره» اهـ.

والأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح متظافرة على وجوب

(١) حسن. رواه «أحمد» في مسنده (١٤٤٧٤)، «أبو داود» في سننه (٤٨٦٨)، «الترمذي» في سننه

(١٩٥٩) عن جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨٦)، رحمه الله

على الجميع.

(٢) «شرح سنن أبي داود» لابن رسلان (١٨ / ٥٩٠).

حفظ السر وتحریم إفشائه.

فاتق الله أيها الداعي إلى الله، وكن من الأبرار الذين صدورهم مقابر للأسرار.
قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللهُ^(١): «إذاعة السر من قلة الصبر، وضيق الصدر، وتوصف به ضعفة الرجال، والصبيان، والنساء».

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك».
وقال أكثم بن صيفي^(٣): «إن سرك من دمك، فانظر أين تريقه»؛ أي: لا تخبر بسرّك إلا لمن تثق به.

وقال الأعمش رَحِمَهُ اللهُ^(٤): «يضيق صدر أحدهم بسرّه حتى يحدث به، ثم

(١) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» للراغب الأصفهاني (ص: ٢١٢).

(٢) صحيح. رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت»، (ص: ٢١٤).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» رقم (٤٠٩) عن أعرابي أنه قال لابن عم له: «إن سرك من دمك؛ فلا تضعه إلا عند من تثق به».

وأخرجه الدينوري في كتاب «المجالسة» رقم (٨٨٨) بلفظ: «سرك من دمك فربما أفشيتة فيكون فيه سبب حتفك» وفيه زيادة: «السر فيه ضرب العنق».

وكان يقول: «أملك الناس لنفسه من كتم سره من صديقه وخليله».

وأخرجه ابن حبان مسنداً في «الروضة» رقم (٦٣٤) عن المدائني: «كان يقال: اصبر الناس الذي لا يفشي سره إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شيء فيفشيه»، وسند هذا الأثر حسن. وذكره ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٦٨).

(٤) «روضة العقلاء» (ص: ١٩١).

تنبيه: جاء في قرارات مجمع الفقه الإسلامي: «تستثنى من وجوب كتمان السرّ حالات يؤدّي فيها كتمانُه إلى ضرر يفوق ضرر إفشائه بالنسبة لصاحبه، أو يكون إفشاؤه مصلحة ترجح على مضرة كتمانِه، وهذه الحالات على ضربين:

أ- حالات يجب فيها إفشاء السرّ بناءً على قاعدة ارتكاب أهون الضررين لتفويت أشدهما، وقاعدة تحقيق المصلحة العامة التي تقضي بتحمّل الضرر الخاصّ لدرء الضرر العامّ إذا تعيّن ذلك لدرئه.

يقول: اكتمه عليّ!».



= وهذه الحالات نوعان:

- ما فيه درء مفسدة عن المجتمع.
 - وما فيه درء مفسدة عن الفرد.
 - ب- حالات يجوز فيها إفشاء السر لما فيه:
 - جلب مصلحة للمجتمع.
 - أو درء مفسدة عامة.
- وهذه الحالات يجب الالتزام فيها بمقاصد الشريعة وأولوياتها من حيث حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال». ((قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي)) (ص: ١٢٩ - ١٣٠)، ((مجلة مجمع الفقه الإسلامي)) ٨ / ١٤٢٣.

(١٠) حب انحراف المشاهير من الدعاة ليتبوا مكانهم

إن من حظوظ النفس الدنيئة:

أن يحب الشخص هلاك الداعية الآخر أو انحرافه؛ ليتبوا هو مكانه، والنبى ﷺ يقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «وقد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء على تحريم الحسد، واحتقار المسلمين، وإرادة المكروه بهم، وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها» اهـ.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تَسْأَلُ طَلَاقَ أُخْتِهَا، لَتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا؛ فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»^(٣).

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤): «في هذا الخبر من الفقه أنه لا ينبغي أن تسأل المرأة زوجها أن يطلق ضررتها لتنفرد به؛ فإنها لها ما سبق به القدر عليها، لا ينقصها طلاق ضررتها شيئاً مما جرى به القدر لها ولا يزيد لها» اهـ.

وهكذا العالم مع العالم، والشيخ مع الشيخ، والداعية مع الداعية، قوة إلى قوة يشد بعضها بعضاً، وقد دعا موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ربه فقال: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾^(٥) هَرُونَ أَخِي^(٦) أَشَدُّ بِهِ^(٧) أَرَى^(٨) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي^(٩) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا^(١٠)

(١) متفق عليه: «البخاري» (١٣)، «مسلم» (٤٥) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «شرح النووي على مسلم» (١٥٢/٢).

(٣) «البخاري» (٥١٥٢)، «مسلم» (١٤١٣)، واللفظ للبخاري.

(٤) «التمهيد» (١٦٥/١٨).

وَنَذَرُكَ كَثِيرًا ﴿٣٥﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٦﴾ [طه: ٢٩-٣٥].

وانظر إلى الفرق الواسع والبون الشاسع بين هؤلاء وبين السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛ فهذا يحيى بن جعفر رَحِمَهُمُ اللَّهُ، يقول:

«لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل -البخاري- لفعلت؛ فإن موتى يكون موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم»^(١).
وقال أيوب السختياني رَحِمَهُمُ اللَّهُ^(٢): «إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السنة فكأنما يسقط عضو من أعضائي!».

وكان كبار العلماء في عصرنا كل واحد منهم يدعو للآخر بالتوفيق والسداد وبطول العمر في طاعة الله، ويحث عليه وعلى حضور دروسه ومجالسه والاستفادة منه ومن علمه، ويشني عليه ثناء عطرًا؛ لأنه يعلم أن ذاك العالم أو الداعي إلى الله على ثغرة في بلده لا تُسد إذا ذهب.

وكان بعضهم يقول: نتمنى ملء الأرض من مثل ابن باز وفلان وفلان من العلماء، ولم يتمن بعضهم لبعض الهلاك أو الانحراف أو السقوط، حاشاهم من هذه الأخلاق الرخيصة، رحم الله من مات منهم، ومتّع بالأحياء.



(١) «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٤٠).

(٢) صحيح. أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل

السنة» (١/ ١٣٥).

(١١) دفن بعض الدعاة لحسنات بعضهم

وهناك لونٌ من ألوان الحسد، وصنفٌ من أصنافه:

وهو دفن حسنات بعض الدعاة لبعضهم؛ فلا يجب إظهارها للناس، ولا يجب مدحه، ولا الثناء عليه بما يستحق، بل إذا ذُكِرَ عنده بالجميل يجد في نفسه عليه، وقد استعاذ النبي ﷺ من هذا الصنف، حيث قال ﷺ: «... اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ خَلِيلٍ مَا كَرِهَ عَيْنُهُ تَرَانِي وَقَلْبُهُ يَرْعَانِي إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا، وَإِذَا رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا»^(١).

قال الإمام سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «مَنْ الْأَدَمِيِّينَ مَنْ لَوْ سَمِعَ خَمْسِينَ حِكْمَةً لَمْ يَحْفَظْ وَاحِدَةً مِنْهَا، فَإِنْ أَخْطَأَتْ وَاحِدَةً حَفِظَهَا، وَلَمْ يَجْلِسْ مَجْلِسًا إِلَّا رَوَاهَا عَنْكَ».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «ومن الناس من طبعه طبع خنزير، يمر بالطيبات، فلا يلوي عليها، فإذا قام الإنسان عن رَجِيعِهِ قَمَّةً، وهكذا كثيرٌ من الناس يسمع منك، ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوي، فلا يحفظها ولا ينقلها ولا تناسبه، فإذا رأى سقطةً أو كلمة عوراء: وجد بُغْيَتَهُ وما يناسبه؛ فجعلها فاكهته ونُقْلَهُ» اهـ.

(١) جيد. رواه الطبراني في «الدعاء» (١٣٣٩) عن أبي هريرة رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ، وجود إسناده الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٣١٣٧).

(٢) ينظر: «العزلة للخطابي» (ص: ٥٥)، «البحر المحيط في التفسير» (٤/ ٥٠٣).

(٣) «مدارج السالكين» (١/ ٤٠٦).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ عند ذكره لكتاب «العواصم» لابن الوزير رَحِمَهُ اللهُ^(١):
 «ولو خرج هذا الكتاب إلى غير الديار اليمنية لكان من مفاخر اليمن وأهله،
 ولكن أبى ذلك لهم ما جُبلوا عليه من غمط محاسن بعضهم لبعض، ودفن مناقب
 أفاضلهم» اهـ.

قلت: إلا من رحم الله.

وذكر الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة عبد الرزاق بن همام
 قال: «قال علي بن المديني: قال لي هشام بن يوسف: كان عبد الرزاق أعلمنا،
 وأحفظنا».

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ معلِّقاً على هذا الخلق الكريم: «هكذا كان النظراء
 يعترفون لأقرانهم بالحفظ» اهـ.

قلت: وأهل العلم الصادقون، وحملة الإسلام ساروا على هذه الوتيرة التي
 ذكرها الذهبي رَحِمَهُ اللهُ.



(١) «البدر الطالع» (٢/ ٩١).

(١٢) العُجب والتطلع لألقاب الثناء والمدح والاعتزاز بها

لا شك أنه في غمرة انشغال الداعية في أعماله الدعوية، يحصل لديه - أحياناً - قصورٌ في تزكية نفسه، ومحاسبتها، وربما تسلل إلى قلبه آفاتٌ قاذحةٌ في عمله وإخلاصه، مفسدة لقلبه، قد يشعر بها وينشغل عن علاجها، وقد لا يشعر بها أصلاً.

ومن هذه الأمراض: عُجب الداعية بنفسه، واعتزازه بها.

وسبب دخول العُجب على الداعية: نظرُهُ لما منحه الله إياه من بلاغةٍ أو فصاحةٍ وبيانٍ، أو سعةٍ في العلم، وقوةٍ في الرأي، وغير ذلك، فكيف إذا انضاف إلى ذلك حديث الناس عن أعماله، وتعظيمهم له، وإقبالهم عليه، وتقبيل رأسه، لا شك أن الفتنة فيه تعظم.

ولذا يتأكد في حقه حراسة نفسه من العُجب؛ فإنه من الأمراض المهلكة والآفات الممحققة للعمل والعمر؛ لذلك كانت كلمة الشرع فيه شديدةً وحاسمةً، فهو مذمومٌ أشد الذم، ومسالكه ودروبه كلها مذمومةٌ، حتى أن خير الخلق وسيد الأنبياء والمرسلين **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، الذي قضى عمره كله في خدمة الدين والجهاد في سبيله، ولم يُبل أحدٌ مثل بلائه، ولا جاهد وصابر مثل جهاده وصبره، ومع ذلك كله أمره ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في بداية طريق الدعوة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّيَنَّ سَكَتًا﴾ [المذثر: ٦]، وهو المعصوم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من الوقوع في مثل هذا المرض، وقد حذر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من هذا الداء العضال؛ فقال: «لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ؛ خَشِيتُ

عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ: الْعُجْبُ الْعُجْبُ»^(١).

وحذر السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ من العُجب، ومن ذلك:

ما جاء عن كعب رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال لرجل رآه يتَّبِعُ الأحاديث: «اتق الله وارض بالدون من المجالس، ولا تؤذ أحدا؛ فإنه لو ملأ علمك ما بين السماء والأرض مع العُجب؛ ما زادك الله به إلا سفالا ونقصا»^(٢).

وعن مسروق رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كفى بالمرء علما أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلا أن يُعجب بعلمه»^(٣).

وكان يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «إياكم والعُجب؛ فإنَّ العُجب مهلكة لأهله، وإنَّ العُجب ليأكل الحسَنات كما تأكل النار الحطب»^(٤).

وقال الحارث بن نبهان رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت محمد بن واسع يقول:

«وا أصحاباه! ذهب أصحابي، قال: قلت: يرحمك الله، أليس قد نشأ شباب يقرؤون القرآن، ويقومون الليل، ويصومون النهار، ويحجون، ويقرؤون؟ قال: فبزق، وقال: أفسدهم العُجب»^(٥).

فالعُجب يا معشر الدعاة مرضٌ يعرض للنفس، ويحتاج من المؤمن أن

(١) حسن. رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٦٨) عن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٥٣٠٣).

(٢) حسن. أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٧٦/٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٦٧/١).

(٣) «حلية الأولياء» (٩٥/٢)، «جامع بيان العلم وفضله» (٥٦٩/١).

(٤) جيد. رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٥/٩).

(٥) «الزهد» للإمام أحمد (٤٦٧/١).

يتفطن له؛ حتى لا يغلبه على أخلاقه الحسنة، بل حتى لا يخدش في توحيده وإيمانه بالله.

ومن مظاهر هذا المرض: البحث وراء التزكيات، وحب الثناء والمدح، وألقاب الشرف، كالدكتوراة^(١) مثلاً، أو العلامة، والإكثار من الثناء على النفس، ومدحها لحاجة ولغير حاجة، تصريحاً أو تلميحاً، وقد يكون مدحه لنفسه على هيئة ذم النفس لها.

قال مطرّف بن عبد الله بن الشَّخِير رَحِمَهُ اللَّهُ: «كفى بالنفس إطراءً أن تدمها على رؤوس الملأ كأنك أردت به زينها، وذلك عند الله عَزَّجَلَّ شَيْنُهَا»^(٢).

ومن مظاهر العجب كذلك: النفور من النصيحة، وكرهيتها، وبغض الناصحين، والاعتداد بالرأي، وازدراء رأي الغير، وما أشبه ذلك، وهذا كله خلاف ما كان عليه الأوائل.

كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إذا مُدح يقول: «ما لي شيء، ولا مني شيء، ولا في شيء»، ويتمثل بهذا البيت:

أَنَا الْمَكْدِيَّ وَأَبْنُ الْمَكْدِيَّ وَهَكَذَا كَانَ أَبِي وَجَدِّي^(٣)

(١) وقد بسطت القول حول هذا الموضوع في كتابي: «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دور الحديث السلفية في الديار اليمنية» (ص: ٧٧) تحت فقرة: «دور الحديث السلفية لها دويٌّ كدويّ النحل، إنَّها بيوتٌ مطمئنةٌ وروضةٌ من رياض الجنة».

(٢) «رسائل ابن حزم» (١/ ٨٨)، «تاريخ دمشق» (٣٠١ / ٥٨)، «حلية الأولياء» (٢/ ٢٠٢).

(٣) معنى: «أَنَا الْمَكْدِيَّ وَأَبْنُ الْمَكْدِيَّ»: أي: أنا المقلِّ ابن المقلِّ، أو الذي عمل عملاً قليلاً ثم تركه، وهو مأخوذ من الكدية، وهي: الصخرة التي لا تعمل بها الفؤوس والمعاول، كأن الإنسان حفر شيئاً يسيراً فواجهته صخرة كبيرة؛ فترك العمل، قال تعالى: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْثَرَ﴾ [النجم: ٣٤]؛ يعني: ترك.

وكان إذا أثني عليه؛ يقول: والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعد إسلامًا جيدًا^(١).

ولم يترجم الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ لنفسه في «سير أعلام النبلاء»؛ لأنه كتاب تزكية، وإنما ذكر نفسه في كتابه: «المعجم المختص بالمحدثين» حيث قال رَحِمَهُ اللهُ عن نفسه^(٢): «وجمع تواليف، يقال: مفيدة، والجماعة يتفضلون ويثنون عليه، وهو أخبر بنفسه في العلم، والله المستعان، ولا قوة إلا به، وإذا سلم لي إيماني فيا فوزي!» اهـ.

وترجم رَحِمَهُ اللهُ لنفسه في كتابه «ذيل ديوان الضعفاء»^(٣) فقال: «محمد بن أحمد بن عثمان الفارقي: سيء الحفظ، ليس بالمتقن، ولا بالمتقي، ساعه الله تعالى» اهـ.

وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ^(٤): «إنما أنا طالب علم، لا شيء آخر!».
وحين مدحه بعض طلبة العلم مدحًا خفيًا أجهد بالبكاء، وقال: «أحلفُ يمينًا أنكم مغشوشون، لو عرفتم حقيقتنا ما مشيتوا معنا»^(٥) اهـ.

وقال الألباني أيضًا رَحِمَهُ اللهُ^(٦): «آفة الشباب المسلم في العصر الحاضر، هو أنهم لمجرد أن يشعروا بأنهم عرفوا شيئًا من العلم، لم يكونوا من قبل على علم به،

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٥٢٠).

(٢) «المعجم المختص بالمحدثين» (ص: ٩٧).

(٣) «ذيل ديوان الضعفاء» رقم الترجمة (٣٤٥).

(٤) «موسوعة الألباني في العقيدة» (١/ ٢١٣).

(٥) «سلسلة الهدى والنور» (مقطع صوتي).

(٦) «جامع تراث العلامة الألباني في الفقه» (٨/ ٢٥٧).

رفعوا رؤوسهم، وظنوا أنهم قد أحاطوا بكل شيء علماً!، فَتَسَلَّطَ عليهم الغرور والعُجب، ونخشى أن يشملهم قول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ثلاث مهلكات: شُحٌّ مُطَاعٌ، وهوى متَّبَعٌ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه»^(١).

وقال شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «مقبل يا إخوان لا يساوي بصلة!» اهـ.
وهكذا الشيخ عبد العزيز بن باز، وابن عثيمين، وكبار أهل العلم في هذا العصر، لم يرفعهم الله عَزَّوَجَلَّ إلا بالتواضع، ولم يُعلم عن أحد منهم العُجب، والبحث وراء الثناء والمدح، بل هم ممن يحاربونه كما في سيرهم وتراجهم.



(١) حسنه رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (١٨٠٢).

(١٣) الاغترار بالجموع والكثرة

إن الاغترار بالجموع والكثرة في الدروس، أو المحاضرات، أو الخطب أو غير ذلك، خطرٌ عظيمٌ، وهو يدخل في قوله تعالى: ﴿أَهْلَكُمُ الشَّكْرُ﴾ [التكاثر: ١]، وقد ذم الله تعالى الإعجاب بالكثرة حتى لو كانت على الحق؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]؛ فالخير الكثير يسر ولا يغر عند أهل الورع والدين المتين^(١).

(١) ينظر كتابي: «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» (ص: ١٣٣) تحت عنوان «العجب بالكثرة هزيمة وحسرة».

تنبيه: الكثرة لا تدم مطلقاً إلا في حالة العجب بها.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فإن الكثرة لها تأثيرٌ عظيمٌ؛ ولهذا امتن الله بها في كتابه على بني إسرائيل حيث قال: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦]، وذكر شعيب قومه بها حيث قال: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]، والعامّة يقولون: الكثرة تغلب الشجاعة». «تفسير العثيمين: سورة ص» (ص: ٣٤).

قال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- كما في شريط «مقاصد ومعاني سورة الكهف»: «يغلط بعض الناس في القلة والكثرة، بعضهم يرى أن الكثرة دائماً صواب، والقلة دائماً غلط، وهذا خلاف الحق، وبعضهم يرى العكس، يرى أن القلة دائماً المبتلاة في دينها على حق، وأن الكثرة على غلط، فأَيُّ قلة مبتلاة في دينها على صواب، وأي كثرة معاندة لهم أو مضادة لهم تكون على غلط، وهذا غير صواب، الصواب أن القلة والكثرة ليست ميزاناً، ابتلى الله الناس بالقلة والكثرة، فمنهم: من وقع فريسة الكثرة والجاهير، ومنهم: من وقع فريسة القلة، قال نحن قلة على حق، وهذا ليس صواباً، الصواب: أن الحق يُعرَفُ بدليله، ببرهانه، بمنهجه، بطريقته، وليس اعتباراً بأنهم كثير أو بأنهم قليل، أتى في أزمة الله جَلَّ جَلَالُهُ كثرة على الحق وقلة على الباطل، =

قال عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنت أجلس يوم الجمعة، فإذا كثرت الناس -أي: عنده في مجلس العلم-؛ فرحتُ، وإذا قلُّوا؛ حزنْتُ، فسألتَ بشر بن منصور؛ فقال: هذا مجلس سوء؛ فلا تعد إليه»^(١).

هكذا كانوا يجذرون الاغترار بالكثرة، فإذا أحس التقي والورع بأن نفسه تدعوه إلى الافتتان بها اعتزل هذه الكثرة.

فيا أيها الداعية المبارك، لا تغتر بالكثرة والجموع في دروسك، أو خطبك، أو محاضراتك، أو مؤلفاتك أو...، ولا تغتم بالقلّة، أو تأسف للغربة؛ فهي إلى النجاة أقرب، إذا لم تكن بسببك، ومن أخلص وصبر؛ جمع الله عليه القلوب، ولو بعد حين؛ فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، فإذا أقبل العبد بقلبه إلى الله وحده؛ أقبل الله بقلوب العباد إليه، وانظر كيف رفع الله سلفك الصالح يوم أن صلحت نياتهم.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنت آتي نافعا وأنا غلامٌ، حديث السنن، فينزل ويُحدّثني، وكان يجلس بعد الصبح في المسجد، لا يكاد يأتيه أحد»^(٢).

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مات عطاء بن أبي رباح يوم مات وهو أرضى أهل

وفي زمن الصحابة -رضوان الله عليهم- الخوارج كانوا قلة، وكانوا هم الباطل، والصحابة كانوا الكثرة وكانوا هم الحق، يأتي في زمن يكون العكس، بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء، فإذا الابتلاء الأول ألا تضع في ميزانك للصواب كثرة الجماهير أو قلتها...».

(١) «حلية الأولياء» (١٢/٩)، «سير أعلام النبلاء» (٩/١٩٦).

(٢) «المعرفة» للفسوي (١/٦٤٦)، «تاريخ دمشق» (٦١/٤٣٦)، «سير أعلام النبلاء» (٥/٩٨).

الأرض عند الناس، وما كان يشهد مجلسه إلا تسعة أو ثمانية»^(١).
 فَرَحِمَ الله سلفنا الصالح، أخلصوا لله العمل، وفطِنُوا إلى هذا الداء
 العُضال؛ فَهَجَرُوهُ وَمَضُوا إلى الله، شعارهم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾^ط
 [العنكبوت: ٢٦]، فَأَبَى الله إِلَّا أَنْ يَجْمَعَ عَلَيْهِمْ قُلُوبُ الْعِبَادِ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ.



(١) «حلية الأولياء» (٣ / ٣١١)، «سير أعلام النبلاء» (٥ / ٨٤).

**(١٤) بعض الدعاة والمشايخ يجعل نفسه ميزان السنة ، من اقترب منه
اقترب من السنة! ، ومن ابتعد عنه ابتعد عن السنة!**

لقد طَفَّتْ هذه الظاهرة على السطح في الآونة الأخيرة، حيث يجعل بعض الدعاة والمشايخ من نفسه ميزاناً للحق والسنة، من أحبه وأكثر من زيارته؛ فقد أحب السنة وأهلها!، وهو من أهل السنة والجماعة!، ومن انشغل عنه مع حفظ مكانته وكرامته؛ فهو إما من أهل البدع والأهواء!، أو على أقل تقدير: فيه نظر!، فيكون في سلة المهملات!، فعلى قدر قُربك من هذا الشيخ يكون قُربك من السنة!، هكذا جعل لنفسه أو جعل له الأتباع هذه الصفة.

نعم، قد يكون هذا الميزان إذا كان هذا الداعية إماماً في السنة في بلده، أو لا يوجد في بلده من أهل السنة إلا هو؛ فهنا نقول: نعم، من أتى من هذه البلاد وأثنى على هذا الداعية أو هذا الشيخ؛ فهذه علامة حبه للسنة وأهلها، ومن أبغضه؛ فهذه علامة بغضه لأهل السنة.

لكن الأصل في هذه المسألة أن نقول: على قدر تمسك الشخص بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح يكون قُربه من الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، والعكس بالعكس، والمقرر في القاعدة المشهورة: أن الرجال يُعرفون بالحق ولا يُعرف الحق بالرجال^(١).

(١) «الواضح في أصول الفقه» (٢٠٨/٥) لأبي الوفاء علي بن عقیل بن محمد بن عقیل البغدادي الظفري (المتوفى: ٥١٣هـ).

واسمع إلى هذه القصة العجيبة: قال عبد الله بن محمد الوراق: كنت في مجلس أحمد بن حنبل، فقال: من أين أقبلتم؟ قلنا: من مجلس أبي كريب، فقال: اكتبوا عنه؛ فإنه شيخ صالح؛ فقلنا: إنه يطعن عليك؛ فقال: فأى شيء حيلتي، شيخ صالح قد بُلي بي^(١). اهـ.

قلت: هذا هو العلم والدين والعقل، وهؤلاء هم الكبار حقًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «وليس لأحدٍ منهم أن يأخذ على أحدٍ عهدًا بموافقته على كل ما يريده؛ وموالاته من يواليه؛ ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقًا مواليًا، ومن خالفهم عدوًّا باغيًا» اهـ.

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ^(٣): «كل أحدٍ من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن جعل شخصًا من الأشخاص غير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة!، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة! - كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك -؛ كان من أهل البدع والضلال والتفرق!» اهـ.



(١) «تاريخ دمشق» (٥٥ / ٥٨)، «سير أعلام النبلاء» (١١ / ٣١٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ١٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣ / ٣٤٧).

(١٥) احتكار الحق في أفراد عند الحكم بالسنة أو البدعة

بعض الدعاة يحتكر الحق على نفسه، بحيث لا يمكن أن يخرج هذا الحق إلى غيره، ويدعو الناس إلى تقليده، والتقليد المطلق محرّم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «ومن نصّب شخصاً كائناً من كان، فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل، فهو ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾، وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قومٍ من المؤمنين؛ مثل: اتباع الأئمة والمشايخ؛ فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم العيار؛ فيوالى من وافقهم، ويعادي من خالفهم» اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ^(٣): «وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم، وذموا من أخذ أقوالهم بغير حجة» اهـ.

(١) قال الشافعي قدّس الله تعالى روحه: «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن له أن يدعها لقول أحدٍ من الناس». انتهى.

قال أبو عمر وغيره من العلماء: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله، وهذا كما قال أبو عمر رَحِمَهُ اللهُ: فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل؛ فإنما هو تقليد؛ فتضمن هذان الإجماعان: إخراج المتعصب بالهوى، والمقلد الأعمى عن زمرة العلماء. انتهى من «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٦ / ١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٠ / ٨-٩).

(٣) «إعلام الموقعين» (١ / ٧٩).

قلت: وهذا لسان مقال بعض الدعاة في هذا العصر، وليس لسان حالهم فقط، فتجدهم ينكرون على الأتباع التقليد في المسائل العلمية والعملية ويلزمونهم بتقليدهم في الأحكام على الأشخاص بالسنة والبدعة.

ثم قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(١): «وأعجب من هذا: أن أئمتهم نهوهم عن تقليدهم؛ فعصوهم وخالفوهم، وقالوا: نحن على مذاهبهم، وقد دانوا بخلافهم في أصول المذهب الذي بنوا عليه؛ فإنهم بنوا على الحجة، ونهوا عن التقليد، وأوصوهم إذا ظهر الدليل أن يتركوا أقوالهم ويتبعوه، فخالفوهم في ذلك كله، وقالوا: نحن من أتباعهم، تلك أمانيتهم، وما أتباعهم إلا من سلك سبيلهم، واقتفى آثارهم في أصولهم وفروعهم» اهـ.

قلت: وما أشبه الليلة بالبارحة!، وقد وصل الأمر ببعض المتعصبة إلى أن قالوا: كل آية تخالف ما عليه المذهب فهي مؤولة أو منسوخة!، وكل حديث يخالف ما عليه المذهب فهو مؤول أو منسوخ، وهذا كله من آفات التقليد الأعمى، ونسمع اليوم من يقول: «كل قول يخالف قول فلان في الرجال؛ فارموا به عُرْض الحائط!»، فالتقليد تقليدٌ، وهو أنواع^(٢).

فقد كانوا والله يحاجون الرجال بالأدلة، واليوم أصبحوا يحاجون الأدلة بالرجال!

وكانوا يقولون: اعرف الحق تعرف الرجال.

(١) «إعلام الموقعين» (٣/ ٤٨٤).

(٢) (التقليد) هنا: في مقابل (الأصلي)، كما يقال: هذه السلعة تقليد، وهذه أصلي. ينظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة».

وأما اليوم فلسان حالهم يقول: اعرف الرجال تعرف الحق!
فقد احتكروا الحق في الرجال، وأي احتكار أعظم من هذا! ولا يحتكر إلا
خاطيء.

ورحم الله شيخنا الإمام الوادعي فقد كان يكرر كثيراً هذه المقولة على
طلابه: «لا يقلدني إلا ساقطاً!».

وقال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «لا يجوز أن تقلد زيداً ولا عمراً في خلاف
السنة، ولو كان عظيماً، ولو كان مالكاً، أو كان أبا حنيفة، أو الشافعي، أو أحمد،
طالب العلم لا يقلد العلماء، يأخذ بالدليل» اهـ.

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «نجد بعض طلاب العلم
يكون عند شيخ من المشايخ ينتصر لهذا الشيخ بالحق والباطل، ويعادي من سواه،
ويضلله ويبدعه، ويرى أن شيخه هو العالم المصلح!، ومن سواه إما جاهل أو
مفسد!، وهذا غلطٌ كبيرٌ».

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «الواجب على كل إنسان يخالف غيره أن يبحث معه
بحثاً هادئاً يقصد به الوصول إلى الحق، ثم إذا بقي كل منهم على ما يرى فأمره إلى
الله، سوف يحاسبه الله عَزَّ وَجَلَّ على نيته، ولكن نحن لا نلزم غيرنا بما نرى؛ لأننا إذا
ألزمتنا غيرنا بما نرى فقد وضعنا أنفسنا في غير موضعها؛ وضعناها في مرتبة
العصمة لنا والخطأ لغيرنا، وهذا مذهبٌ خطيرٌ؛ لأنه لا أحد يُقبل قوله في كل حال

(١) «فتاوى نور على الدرب» (٨ / ١٥١).

(٢) «كتاب العلم» (٢ / ٦١).

(٣) «لقاء الباب المفتوح» (٥٤ / ١٧).

إلا الرسول ﷺ، وكيف يليق بالإنسان العاقل أن يحاول إلزام غيره برأيه ثم لا يقبل أن يلزمه غيره برأيه؟!».

وقال العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللهُ^(١): «وليست السلفية عندنا تقليد رجل من الرجال المعاصرين في كُلِّ ما يقوله ويفتي به، فمثل هذا النوع من التقليد نعتبره لوناً من ألوان الحزبية الضيقة، وشكلاً من أشكال التعصُّب المذهبي». وهكذا هو كلام العلامة الألباني، والعلامة الوادعي، والعلامة الفوزان، والعلامة العباد، وعلماء اللجنة الدائمة، وجميع علماء السنة، رحم الله من مات منهم ومتع بالأحياء.

ولا يعني هذا: ردّ كلام علماء السنة في أهل البدع والأهواء بالحجة والبرهان.



(١) «المورد العذب الزلال» (ص: ٢٨٩).

(١٦) السكوت عن الموافقين وإن أخطأوا، والقدرح في المخالفين وإن

أصابوا!

إن لسان حال بعض الدعاة يقول: من وقف معي وصف في صفي؛ سكت عنه ومدحته، ولو كان من المفسدين، ومن خالفني؛ قدحت فيه، ولو كان من المصلحين، ومن ظهر خيره وأمن شره، وبان تمسكه، وعظم ثباته على الحق!. لا شك أن هذه الطريقة: طريقة من تشبع بالهوى، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فإن الميزان الشرعي في الحب والبغض والقرب والبعد هو التمسك بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، وليس الميزان الهوى والمزاج. إن الصادقين من السلف الصالح كان الواحد منهم إذا سُئِلَ عن أبيه؛ قال: إنه الدين، إن أبي ضعيفٌ، وكم من السلف الصالح من ترك أقرب الناس إليه من أجل هذا الدين^(١).

(١) قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٤١): «فليس أحدٌ من أهل الحديث يجابي في الحديث أباه، ولا أخاه، ولا ولده، وهذا علي بن عبد الله المدني، وهو إمام الحديث في عصره، لا يروى عنه حرف في تقوية أبيه، بل يروى عنه ضد ذلك» اهـ. وقال ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ في «المجروحين» (٢/ ١٥): «سئل علي بن المدني عن أبيه؛ فقال: اسألوا غيري؛ فقالوا: سألناك، فأطرق، ثم رفع رأسه، وقال: «هذا الدين، أبي ضعيف» اهـ. وهذا يحيى بن معين رَحِمَهُ اللَّهُ يتكلم في صاحب له ممن كان يحبه، فنقل عنه الحسين بن حبان قوله في محمد بن سليم القاضي: «هو والله صاحبنا، وهو لنا محب، ولكن ليس فيه حيلة ألبتة، وما رأيت =

ورحم الله الإمام الألباني حين قال له والده **رَحِمَهُ اللهُ**: إما الموافقة أو المفارقة؛ فقال الألباني **رَحِمَهُ اللهُ**: «بل المفارقة»^(١).

وقال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ**^(٢): «... والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفرك أو يُبدِّعك بلا حجة، وذنبك: رغبتك عن طريقته الوخيمة، وسيرته الذميمة، فلا تغتر بكثرة هذا الضرب، فإن الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم، والواحد من أهل العلم يعدل بملء الأرض منهم».

قلت: إن هؤلاء القوم الذين يسكتون عن أخطاء من وافقهم؛ تشبهوا بأصحاب الثورات^(٣) الذين ثاروا على الحكومات بسبب الفساد -زعموا، فإذا شعر بعض السياسيين بغرق سفينة الحكومة؛ قفز إلى سفينة الثوار؛ فيرحب به

أحدًا قط يشير بالكتاب عنه ولا يرشد إليه». وقال: «قد والله سمع سماعاً كثيراً، وهو معروف، ولكنه لا يقتصر على ما سمع، يتناول ما لم يسمع»، قلت له: يكتب عنه؟ قال: «لا» اهـ. ينظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٧٤).

وهذا جرير بن عبد الحميد **رَحِمَهُ اللهُ** يقول عن أخيه أنس: «لا يكتب عنه؛ فإنه يكذب في كلام الناس» اهـ. «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢/ ٢٨٩).

والإمام البخاري **رَحِمَهُ اللهُ** يروي في صحيحه كثيراً عن شيخه محمد بن يحيى الذهلي رغم ما تعرض له من الأذى بسبب كلامه فيه وهجره له، إلا أن العداء لم يمنعه من قبول حديثه وروايته.

(١) «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (١٦٧)، وقصة هذه المقولة: أن والد الشيخ الألباني **رَحِمَهُ اللهُ** كان حنفياً متعصباً للمذهب، فطلب من ابنه المحدث السلفي محمد ناصر الدين الألباني أن يكون حنفياً مثله؛ فقال له: إما الموافقة -أي: على المذهب الحنفي- أو المفارقة؛ فقال العلامة الألباني **رَحِمَهُ اللهُ**: «بل المفارقة!».

(٢) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٥/ ٣٨٨).

(٣) ولي كتاب في ذم الثورات اسمه «الكشاف الجلي في بيان أكثر من ١٠٠ مفسدة في ثورات الربيع العربي».

الثوار مباشرةً، ويفرحون به، ويجعلونه من المصلحين!، وكان عندهم من كبار المفسدين؛ لأنه الآن وقف معهم وفي صفِّهم؛ فنعوذ بالله من هذا التشابه، وكم من ثورة^(١) حصلت في بعض الدعاة، فإذا انتقل الشخص من مجموعة إلى مجموعة أخرى؛ رحبوا به وجعلوه من خير البرية!، فنعوذ بالله من هذه البلية، وصدق من قال:

وَافَقَتْنِي مُدِحَاتُ خَالِ الْفِتْنِي جُرْحَاتُ



(١) قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «نشكو من الثورة التي ثارت بين أهل السنة». ينظر: «سلسلة الهدى والنور» شريط (٧٣٤)، «جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث الكبرى» (٢٦٥/٦).

(١٧) سكوت بعض الدعاة والعلماء عن جلسائهم المفسدين في الدعوة!

إن بعض الدعاة يسكتون عن جلسائهم المفسدين!؛ لأنهم يقومون بخدمتهم وتبجيلهم، وإظهار المحبة لهم، والدفاع عنهم، ونشر كتبهم وصوتياتهم؛ فأصبح هؤلاء الجلساء حلقة فصلٍ وليسوا حلقة وصلٍ بين العالم ومحبيه، ولا يخفى على هؤلاء الدعاة والمشايخ أنه قد ضُفِّفَ بعض العلماء بسبب ورّاقه الفاسد^(١).

نعم، قد يتزين هؤلاء الجلساء للمشايخ ويتظاهرون لهم بالصلاح، وقد وثق بعض العلماء من السلف الصالح من تزين له بالصلاح^(٢)، لكن كما قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا يُلَدِّغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»^(٣)، وليحرص الشيخ أن يكون كما قيل: لستُ خباً ولا الخب يخدعني^(٤).

(١) مثل: سفيان بن وكيع، كان له ورّاق سوء يُدْخِلُ في كتبه ما ليس منها؛ فُضِّفَ بسببه.

ينظر: «الكامل» لابن عدي (٣/ ١٢٥٣-١٢٥٤)، «التهذيب» (٤/ ١٢٣) رقم (٢١٠)، «التقريب» رقم (٣١٢ و ٣٢٣).

(٢) مثل: عبد الكريم بن أبي المخارق ضعيف الحديث، وكان يرى الإرجاء مع تعبد وخشوع. قال النسائي والدارقطني: متروك. وقال أحمد: ضربت على حديثه. وقال ابن عبد البر: اغتر مالك ببيكائه في المسجد، وروى عنه في الفضائل. ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٨٣)، «التاريخ الكبير» (٦/ ٨٩)، «التاريخ الصغير» (٢/ ٧)، «الجرح والتعديل» (٦/ ٥٩)، «تهذيب الكمال» (٨٥٠)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ٦٤٦)، «تهذيب التهذيب» (٦/ ٣٧٦).

(٣) متفق عليه: «البخاري» (٦١٣٣)، «مسلم» (٢٩٩٨) عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٤) هذا الأثر مروي عن الفاروق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** نسبه إليه ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٠٢)،

وابن القيم في «إعلام الموقعين» (٣/ ١٨٩)، وجاء مسنداً عن إياس بن معاوية: أخرجه ابنُ =

ولا يخفى على هؤلاء العلماء شروط المجلس الصالح السبعة^(١) التي ذكرها الله في قوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ

قتيبة، في «عيون الأخبار»، ووكيع في «أخبار القضاة» (١/ ٣٤٨)، ومن طريقه ابن عساكر، في «تاريخ دمشق» (١٠/ ١٩)، وأخرجه المزي في «تهذيب الكمال» (٣/ ٤١٨)، من طريق ابن النفور، أربعتهم روجه من قول إياس بن معاوية رَحِمَهُ اللَّهُ بلفظ: «لست بخب، والخب لا يخذعني، ولا يخذع ابن سيرين، ويخذع الحسن، ويخذع أبا معاوية بن قرة، ويخذع عمر بن عبد العزيز»، وهذا لفظ وكيع، واستشهد به الإمام الألباني، ونسبه للفاروق رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ، ينظر: «سلسلة الهدى والنور» رقم (٢٨٨).

(١) **الشرط الأول:** أن يكون المجلس عابداً لله؛ لقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾، والدعاء هو العبادة؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ». صحيح، رواه «أحمد» (١٨٣٥٢).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، والعبادة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، في «الفتاوى الكبرى» (٥/ ١٥٤): «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة».

الشرط الثاني: أن يكون المجلس متصفاً بالعبادة المستمرة لا الموسمية المنقطعة؛ لقوله تعالى: ﴿بِالْعَدْوَةِ وَالْعَنِيِّ﴾.

الشرط الثالث: أن يكون المجلس من الموحدين، المخلصين لله تعالى في أقواله وأعماله بعيداً عن الشرك الأصغر والأكبر؛ لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

الشرط الرابع: ألا يكون المجلس ممن يريد زينة الحياة الدنيا، وتعلق قلبه بها ليلاً ونهاراً؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

الشرط الخامس: ألا يكون المجلس غافلاً عن الله وعن الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾، وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعَالَمِ﴾ [النجم: ٢٩-٣٠].

الشرط السادس: ألا يكون المجلس صاحب هوى كالمتبدع وغيره؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنبَغَ هَوًى﴾.

الشرط السابع: ألا يكون المجلس أمره فرطاً؛ أي: لم يعد يستطع أن يستقيم على شرع الله، ويحكم الشرع في حياته؛ انفرط أمره إلا أن يشاء الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾.

وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنَ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

فليس من الدين ولا من العلم ولا من العقل أن يكون واجهة العلماء هؤلاء المشاغبون، وأخشى أن تكون هذه مؤامرة كبرى على العلماء والدعاة والمصلحين^(١).



(١) وقد حاول هذا الحزام المفخخ، وهذا الطوق الملغم من جلساء السوء تطويق الشيخ الملهم عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ، وفصل جميع الخطوط عنه؛ فتفطن لهم، وهكذا الشيخ الألباني، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ الوادعي، والشيخ الفوزان، والشيخ العباد، وغيرهم، رحم الله من مات منهم ومتع بالأحياء.

(١٨) إعطاء بعض الدعاة والعلماء الضوء الأخضر لجلسائهم بالرد والتحذير من بعض الدعاة، ويبقى العالم في صورة الصالح المصلح!

ومما يحزن القلب ويدمع العين:

ما يفعله بعض الدعاة والمشايخ حيث إنه يؤزر بعض جلسائهم بالرد على فلان والتحذير منه، إما بالصوت، أو بالكتابة، أو في المجالس، ويبقى هذا العالم في الظاهر، وفيما يبدو للناس في صورة الناصح الصالح المصلح!، وهو في الباطن: المؤجج للفتن، والنافخ في كيرها، وقد قال بعض الحكماء: إذا أردت أن تعرف ماذا عند الكبار؛ فانظر ماذا عند الصغار^(١).

وإذا اشتد الخلاف قد يحتكمون عنده، ويقف هذا العالم في صف من أوعز إليه بالكلام، ويحكم له، ولا يقبل من الطرف الثاني صرفاً ولا عدلاً، وهذا الأسلوب المشين لم يعهد عن أحدٍ من حملة هذه الدعوة المباركة من لدن رسول الله ﷺ إلى عصرنا هذا، عصر الباز، والعثيمين، والألباني، والوادعي، والعباد، والفوزان، وبقية كبار علماء الدعوة السلفية الذين عُرفوا بالعلم والدين والعقل والحكمة.



(١) قال الجاحظ في «الرسائل الأدبية» (٩٥-٩٦): «وأكثر ما يذيع أسرار الناس أهلهم وعبيدهم، وحاشيتهم وصبيانهم، ومن لهم عليهم اليد والسلطان، فالسرُّ الذي يودعه خليفة في عامل له يلحقه زينه وشينه، أخرى ألا يكتمه، وهذا سبيل كلِّ سرٍّ يستودعه الجلة والعظماء، ومن لا تبلغه العقوبة ولا تلحقه اللائمة».

(٣) «زغل العلم» (ص: ٥٠).

الدنيا، قليل الدين؛ فاعلم أن وعظه لا يتجاوز الأسماع، وكم من واعظٍ مفوهٍ قد أبكى وأثر في الحاضرين تلك الساعة، ثم قاموا كما قعدوا» اهـ.

ومن صور مخالفة أقوال بعض الدعاة لأفعالهم:

- أنك تجد الشيخ أو الداعية يحذّر من الفرقة والاختلاف بين أهل الحق ثم تراه هو المتسبب فيها والنافخ في كيرها!
- ويحذّر من التقليد بلسان المقال، ويدعو إليه بلسان الحال: بدّعوا من بدّعته، واهجروا من هجرته!

- ويدعو للرفق والحكمة بلسان المقال، ويخالف ذلك بلسان الحال!
- ويدعو إلى احترام العلماء السلفيين بلسان المقال، ويقوم هو بالطعن فيهم وتشويههم من غير حجة ولا برهان إلا أنهم لم يوافقوه في الحكم على بعض الأشخاص أو الهيئات!
- ويحذّر طلاب العلم الصغار من الانشغال بالردود على أهل البدع والأهواء، وأن يقبلوا على العلم والحفظ، ثم هو يشغلهم بذلك في دروسه وردوده!

- ويدعو للعدل بلسان المقال، ويظلم إخوانه ورفقاء دربه بلسان الحال والمقال!

- ويدعو الناس صباح مساء إلى التحاكم إلى الكتاب والسنة والرجوع إلى أهل العلم الكبار، وإذا دُعي هو إلى التحاكم إلى الكتاب والسنة والرجوع إلى أهل العلم الكبار يصد عنك صدودًا!

إلى غير ذلك من مخالفة الأقوال للأفعال، والله المستعان.

(٢٠) الكيل بمكيالين، والوزن بميزانين في الحكم على الأفراد

ومن الظواهر السيئة التي سببت عند البعض ارتجاجاً:

هي ظاهرة الكيل بمكيالين، والوزن بميزانين في الحكم على الأفراد والمخالفين؛ فإنه قد يشترك اثنان في خطأ واحد، ويكونان بمنزلة متقاربة في العلم والسنة، ويختلف الحكم عليهما بدون فوارق معتبرة عند أهل العلم^(١).

قال **صلى الله عليه وسلم**: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ؛ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ؛ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ؛ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»^(٢).

فالمصادق المخلص يحذر من الكيل بمكيالين:

- مكيالٌ للنفس يستوفي فيه حقه.
- ومكيالٌ للمخالف يُحسره فيه ويبخسه حقه.

(١) **هناك قاعدة متقررة عند العلماء**: وهي أن العالم السني إذا كثرت حسناته؛ فإنها تمنع من القدر فيه، ويحكم على فعله بالخطأ؛ لأن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث. انظر لمزيد الفائدة حول هذه القاعدة: «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٠٩٣)، «التمهيد» (٢/ ٣٤)، «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٢٣٢)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٧١)، «إعلام الموقعين» (٣/ ٢٨٣)، وغير ذلك.

وإياك أن يختلط عليك أمر هذه القاعدة بقاعدة الموازنات الفاسدة، حيث ألزم بعض الناس العلماء بذكر الموازنة بين الحسنات والسيئات عند الرد على المبتدع، وهذه **قاعدة باطلة عاطلة**؛ فالعلماء سلفاً وخلفاً لا يذكرون محاسن المبتدعة إلا حال التراجع، أما عند التحذير من بدعهم وضلالهم فيكتفون بذكر خطر هذه الضلالات والبدع والتحذير منها ومن صاحبها؛ لئلا يغتر به الآخرون، وهذه هي الطريقة الصحيحة والمنهج السوي.

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٣٤٧٥)، «مسلم» (١٦٨٨) عن عائشة **رضي الله عنها**.

وقد قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿[المطففين: ١-٣]﴾^(١).

فعند تقويم مواقف الرجال؛ كم نستنكر سلوكًا لرَجُلٍ نخالفه، وهو من أهل السنَّة، فنبدِّعه أو نحزبه بسببه، ثم تمر السنون، ويدور الزمان دورته، ويصدر نفس السلوك في موقفٍ مشابهٍ من داعيةٍ نحبه ونتفق معه؛ فنعلل له ونبرِّر ونحسن الظن به، ولا نبدِّعه ولا نحزبه.

والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

ويقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وقال تعالى: ﴿فَاوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥].

(١) قال القشيري **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «لفظ: (المطفِّف) يتناول التطفيف في الوزن والكيل، وفي إظهار العيب وإخفائه، وفي طلب الإنصاف والانتصاف؛ ويقال: من لم يرض لأخيه المسلم ما يرضاه لنفسه؛ فليس بمنصف، والمعاشرة والصحبة من هذه الجملة، والذي يرى عيب الناس ولا يرى عيب نفسه؛ من هذه الجملة، ومن طلب حق نفسه من الناس ولا يعطيهم حقوقهم كما يطلبه لنفسه؛ فهو من هذه الجملة، والفتى من يقضي حقوق الناس ولا يطلب من أحد لنفسه حقًا اهـ. «التفسير الوسيط» (١٠/ ١٨٢٥).

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ^(١): «يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم التي يجب عليكم أن توفوهم كيلاً أو وزناً أو غير ذلك».

والبخس أعم من نقص المكيل والموزون؛ فإنه يشمل غيرهما من المبيعات كالمواشي والمعدودات، ويشمل البخس في المساومة، والغش والحيل التي تنتقص بها الحقوق، وكذا بخس الحقوق المعنوية كالعلوم والفضائل، وكُلُّ من البَخْسَيْنِ فاشٍ في هذا الزمان، فأكثر التجار باخسون مطففون مخسرون، فيما يبيعون وفيما يشترون، وأكثر المشتغلين بالعلم والأدب وكتّاب السياسة بخاسون لحقوق صنفهم، ونفّاجون فيما يدعون لأنفسهم، يتشبعون بما لم يُعطوا، كلابس ثوبي زور، وينكرون على غيرهم ما أعطاه الله بباعث البغي والحسد والغرور^(٢).

(١) «تفسير الطبري» (١٥ / ٤٤٦).

(٢) «تفسير المنار» (٨ / ٤٦٩)، «مجلة مجمع الفقه الإسلامي» (٩ / ٩٩٩).

(٢١) تتبع العثرات عند الاختلاف، والسكوت عنها عند الائتلاف!

إن تتبع عثرات دعاة أهل السنة عند الاختلاف، والسكوت عنها عند الائتلاف ليس من منهج السلف^(١).

فمنهج السلف: رد الزلات الظاهرة وإنكارها عند الاختلاف وإنكارها عند الائتلاف بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن للتي هي أقوم، أما هذه الطريقة الفجّة فهي طريقة مريبة، وجناية على دعوتنا كيف لا، وقد قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّكَ إِنْ أَتَبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ»^(٢).

وكان من دعاء النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا»^(٣).

(١) علّق الشيخ عبد العزيز البرعي - حفظه الله - على هذه الفقرة بقوله: «فما ظنّك بمن يجمعها عند الائتلاف لبيثها عند الاختلاف، وهو نظام الأرشفة!».

ثم قال: «وهذه الطريقة استوردها الإخوان المسلمون من الماسونيين للإطاحة بأي شخص متى ما أرادوا، ثم قلّدهم من قلّدهم من أهل السنة» اهـ.

(٢) **صحيح**. رواه «أبو داود» (٤٨٨٨) عن معاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، **وصححه** الألباني في تحقيق «سنن أبي داود» (٤٨٨٨)، وشيخنا الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١١١٦)، رحمه الله على الجميع.

(٣) **صحيح**. رواه «النسائي» (١٣٠٥)، والطبراني في «الدعاء» (٦٢٤) عن عمار بن ياسر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، **وصححه** الألباني في تحقيقه على «الطحاوية» (ص: ١٠١)، وشيخنا الوادعي في «الجامع الصحيح في القدر» (ص: ٣٤)، رحمه الله على الجميع.

قال بعض السلف^(١): «لا تكن ممن إذا رضي؛ أدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب؛ أخرجه غضبه من الحق».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «ليس لأحد أن يتبع عورات العلماء، ولا له أن يتكلم فيهم؛ فمن عدل عن الحجة إلى الظن والهوى؛ فهو ظالم، وكذلك كل من آذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، ومن عظم حرمات الله، وأحسن إلى عباد الله؛ فهو من أولياء الله» اهـ.

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «وأما إذا كان مراد الرادّ بذلك: إظهار عيب من ردّ عليه، وتنقصه، وتبين جهله، وقصوره في العلم، ونحو ذلك؛ كان محرماً سواء كان ردّه لذلك في وجه من ردّ عليه أو في غيبته، وسواء كان في حياته أو بعد موته، وهذا داخل فيما ذمّه الله تعالى في كتابه وتوعد عليه في الهمز واللمز، وداخل أيضاً في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يُفْضِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ؛ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ؛ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ». وهذا كله في حق العلماء المقتدى بهم في الدين، فأما أهل البدع والضلالة، ومن تشبه بالعلماء وليس منهم؛ فيجوز بيان جهلهم وإظهار عيوبهم تحذيراً من الاقتداء بهم» اهـ.

(١) «إغاثة اللفهان» (١/ ٢٩).

(٢) «مسائل لخصها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كلام ابن تيمية» (ص: ٣١).

(٣) «الفرق بين النصيحة والتعير» (ص: ١٣).

وللفائدة: للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ كلامٌ نفيسٌ في هذه المسألة في «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٣٩٣-٣٩٥)، «شرح حلية طالب العلم» (ص: ٤٠).

هذا وقد ابتلينا في هذا العصر بهذه البلية، وهي: تتبع عثرات وأخطاء علماء أهل السنة ودعاتها ورموزها لأدنى خلافٍ معهم، فيقوم بعض الطلاب - بتكليفٍ من شيخه أو بغير تكليفٍ - بنخلِ مؤلفات هذا الداعية السني وأشرطته ودروسه وخطبه ومحاضراته ليخرج بحصيلةٍ يتوصل بها إلى ما يريد من مؤاذة الداعية الآخر إما بالحكم عليه بالتبديع أو التفسيق، أو التحزيب أو التنفير عنه أو غير ذلك من الأذية، وهذا المحكوم عليه بما سبق يجاهد نفسه في التمسك بهدي رسول الله ﷺ والسير على طريقة السلف الصالح وكبار علماء العصر من أهل السنة والجماعة.

فكم ظلم بسلوك هذا الطريق من علماء ودعاة، أبرياء من الحزبية وغيرها، كما برئ الذئب من دم ولد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ!.

وكم احتدمت من معارك كلامية ضيعت أوقات الدعاة، وهدمت معادل علم، ومنازل هدى!.

فهذا الطريق الهدام سهلٌ جداً على الجواسيس، وعلى كل مغرضٍ خسيس. ومن رأى من هذا الصنف أن هدمه سيكون ضئيلاً؛ ذهب إلى من له شهرة بين الناس بالدعوة والخير وأخفى عنه خفايا سعيه، وتملق له وطلب منه أن يطلع على ما قد كتبه، ثم يطلب منه الإعانة له بكلمة تأييدية له قبل النشر ليكون لكلامه رواج وقوة!.

فإذا وفق الله المتهم والمحكوم عليه، وقال لمن تتبع العثرات والزلات: أعطني ما كتبه فيّ، فأنظر فيه بترؤٍّ وتمهل، فما رأيتُ من خطأ مني تراجعْتُ عنه؛ فلا شك أن هذا يُذهب على هذا المختلس كثيراً مما كان يراه سلاحاً للفتك بمن

مكر به، وقد لا يستجاب للمتهم ولا يُقبل منه أي تراجع.
والعجيب أنه كان قبل الاختلاف معه لا يرى له خطأ يُذكر، والله المستعان،
وهذه الطريقة خلاف طريقة السلف وكبار علماء الخلف من أهل السنة.

وإن تعجب فاعجب، والأعاجب جمّة، أن الذي يقوم بجمع وتبّع عثرات
الشيخ والداعية ربما يكون طالباً من طلابه، وحسنه من حسناته؛ فلا غرابة فنحن
في زمن العقوق والجفاء، والتجسس لدول وأحزاب وجماعات، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ
مُخِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠].

قال العلامة الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ^(١): «لئيم الطلبة وخبيث الحضّار عند العالم
متبّع العثرات، وكاشف العورات، ودافن الحسنات، وما أكثر هذا النوع - لا
كثرهم الله-؛ فإنهم الذين أفسدوا معالم العلم، وملاؤوا المواقف على العلماء
أحاديث كاذبة... وبئس الجزاء أن يجازي التلميذ شيوخه بإشاعة هفواتهم
وزلاتهم؛ فإنه لا بد لكل جوادٍ من كبوة، ولكل صارمٍ من نبوة:
وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِيهِ
فخير الناس من أشاع الخير عن العلماء وأذاعه، ودافع عنهم إن سمع قادحاً
فيهم...» اهـ.



(١) «التنوير شرح الجامع الصغير» (٩/ ٥٢٧-٥٢٨).

(٢٢) عند الخلاف يصبح الرجل عالماً ويمسي جاهلاً، ويمسي جاهلاً
ويصبح عالماً!

ومن زغل بعض الدعاة:

ما ظهر في الآونة الأخيرة، وذلك أنه إذا اختلف عالمٌ أو داعيةٌ من أهل السنة مع آخر؛ يقوم أحدهما بتجهيل الآخر فوراً، وأنه لا يفقه من دين الله شيئاً، وأنه أجهل وأضل من حمار أهله!، وأنه وأنه... وقد كان عنده قبل الخلاف من الراسخين في العلم!، أو من الدعاة المصلحين!، فإذا تراجع هذا العالم عن خطئه في نفس المجلس أو في نفس اليوم يعيد له ألقابه المسلوقة ومكانته المنهوبة!، ومنها: الشيخ الفاضل!، والداعية المبارك!، والعالم!، والعلامة!، والمصلح الكبير!، فهل العلم يُسَلَب بمجرد المخالفة للآخرين؟! ﴿تَبَعُونِي يَعْلَمَ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

هذا والله خلاف ما كان عليه السلف، وجرى عليه كبار علماء الخلف، وهو نوعٌ من البهت الذي اتصفت به اليهود، فقد قال ﷺ لليهود: «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ؟» قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، فلما أعلن إسلامه، وخالف ما هم عليه؛ نكصوا على أعقابهم، وقالوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا!، وَوَقَعُوا فِيهِ -وَجَهَّلُوهُ وَسَفَّهُوه^(١).

فوقوع العالم في المخالفة ولو أصبح مبتدعاً؛ لا يسلبه صفة العلم؛ كما قال

(١) رواه «البخاري» (٣٣٢٩) و(٣٩١١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَخْ مِنْهَا فٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَٰوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]؛ فأثبت له العلم مع أنه انسلخ من الدين.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ءَايَةٌ أَن يَءَلَمَهُٗ عُلَمَآؤُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]؛ فأثبت لهم العلم، وهم على ضلال.

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عَمِرٍ﴾ [الحاشية: ٢٣]؛ فأثبت له العلم مع أنه ضال.

وكان **صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في مراسلته يقول: «... إِلَى هِرَقْلٍ عَظِيمِ الرُّومِ...»^(١).
إذا: نحكم على المبتدع بالبدعة إذا أصبح مبتدعا، ولا نحكم عليه بالجهل إذا كان ممن عُرِفَ بالعلم؛ فإثبات العلم شيء، والمخالفة والبدعة شيء آخر، نعم، قد يُسَلَب منه نور العلم إذا استمر على ضلاله.



(١) متفق عليه: «البخاري» (٧)، «مسلم» (١٧٧٣) عن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

**(٢٣) عند الخلاف يصبح الرجل سنياً سلفياً ، ويمسي مبتدعاً ضالاً ،
ويمسي مبتدعاً ضالاً ، ويصبح سنياً سلفياً بغير أدلة مرضية أو قواعد
علمية !**

هذه المسألة أيضاً كسابقتها، وهي: العجلة والتسرع في التبديع أو التسنين
بغير أدلة مرضية أو قواعد علمية، فكم من داعية أمسى سنياً ثم حصل بينه وبين
زميله خلاف؛ فبدّعه وأصبح مبتدعاً!، ثم اصطلحا واعتذر بعضهم من بعض
فسنّته!، وكان قد ملأ الإنترنت ضجيجاً بتبديعه!، ثم حين اعتذر منه؛ ملأ وسائل
التواصل الاجتماعي تسنيئاً له!، وأنه قد رجع إلى منهج السلف!، وهو إنما رجع
إليه واعتذر منه!، وقد حصلت فتنة بين أهل السنة شرّقت وغرّبت واستمرت
سنين عدداً: ملازم ومذكرات، وردود، وصوتيات، ومحاضرات، ومهاترات،
ومضاربات، وتباغض، وتدابير، ثم نسمع من أحدهم يقول: لو أن فلاناً يعتذر منا
فنحن نقبل اعتذاره، وينتهي كل شيء ونعود إخوة كما كنا!.

فيا سبحان الله! أين التراجع عن الأخطاء العقدية، والأخطاء المنهجية،
والأخطاء السلوكية، والأخطاء الدعوية التي كنت تتهمه بها؟!؛ فأصبحنا
كالسياسيين يختلفون في الصباح ويصطلحون في المساء أو العكس!، والشعوب لا
تدري لماذا اختلفوا ولماذا اصطلحوا!، وإنما هم تبع لحكامهم؛ فالسياسة ليس لها
وجه واحد، ولا موقف ثابت، بخلاف الدعوة والدعاة؛ فمواقفهم ثابتة لا تتغير
إلا بموجب شرعي.

(٢٤) الانتقام للنفس وتصفية الحسابات في وقت الفتن بلباس

الشريعة والغيرة على الدين!

إن كثيراً من الناس يستتر بالفتن ويتترس بها، فتجده ينتقم لنفسه من خصومه إذا حانت له الفرصة، كل ذلك بلباس الشريعة والغيرة على الدين!، وسلفهم في ذلك: المباشر لقتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي تستحي منه الملائكة، قتله بحجة الغيرة على الدين، والدفاع عن الحق المبين!، فلما استفسر عن مخبات قلبه، قال: طعنته تسع طعنات: ثلاث لله، وست لما في نفسي عليه! ^(١).

والمؤمن حقاً لا يشفي غيظه ^(٢)، لا سيما من أخيه السني؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ حَتَّى يُنْتَهَكَ مِنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ» ^(٣).

فالحذر كل الحذر من الغفلة الخفية، وهي: أن يبدأ موقفه نصرةً لدين الله، وينتهي بنصرة نفسه وأغراضه الشخصية؛ فالحذر من انقلاب النوايا، وتغير

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٨٤)، «تاريخ الإسلام» (٢/ ٢٤٢)، «البداية والنهاية» (٧/ ١٨٥).

(٢) جاء في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٩٤) في ترجمة سعيد بن سليمان المدني المساحقي القاضي الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ ما نصه: «قال نوفل بن ميمون: جاء سعيد بن سليمان إلى عبد الله بن محمد بن عمران شاهداً، فرد ابن عمران شهادته، فلما ولي سعيد القضاء، جاء عبد الله بن محمد بن عمران شاهداً، فأخذ شهادته فنظر فيها ساعة ثم رفع رأسه؛ فقال: المؤمن لا يشفي غيظه، أوقع شهادته يا ابن دينار، فأوقعها».

(٣) متفق عليه: «البخاري» (٦٨٥٣)، «مسلم» (٢٣٢٨)، واللفظ للبخاري.

المقاصد في مثل هذه المسائل الشائكة.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ^(١): «ومن تلبس إبليس على أصحاب الحديث: قدح بعضهم في بعض طلباً للتشفي، ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع، والله أعلم بالمقاصد» اهـ.

وقال العلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «علينا أن نهتم بمعالجة أمراضنا نحن أهل السنة، رُبَّ دعوة مظلوم تُحطَّم الدعوة، وتُحطَّم أصحابها».

وقال الشيخ عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ اللهُ^(٣): «والله وبالله وتالله لن يفلح من جعل دين الله وشرعه وسنة نبيه محمد ﷺ باباً لتصفية الحسابات الشخصية والتشفي ممن نقده أو وضع باطله» اهـ.

قلت: وصدق الشاعر حين قال:

أَسْلَمَنِي قَوْمِي وَلَمْ يَغْضَبُوا لِسَوْءَةٍ حَلَّتْ بِهِمْ فَادَحَهُ
كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَتُهُ لَا تَرُكُ اللَّهُ لَهُ وَاضِحَهُ
كُلُّهُمْ أَرْوُغٌ مَن ثَعْلَبٍ مَا أَشَبَهُ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ^(٤)

فنحن والله وبالله وتالله، نرى اليوم هذه المشاهد الظلامية الظالمة تتكرر، فكم من شخص يتخذ المواقف العدائية ضد فلان من الناس؛ لا لشيء إلا من أجل أغراضٍ دنيئةٍ دنيويةٍ، كأن يكون قد أساء إليه في يومٍ من الأيام بكلمةٍ، أو أساء إليه في موقفٍ، أو لم يمدحه ويجعل له جاهاً بين الناس!، أو لم يعطه مالاً!، أو

(١) «تلبس إبليس» (ص: ١٠٥).

(٢) كتاب: «من فقه الإمام الوادعي» (١/ ٦٣).

(٣) محاضرة بعنوان: «ذم الإرجاء والتحذير من المرجئة» (مقطع صوتي).

(٤) «ديوان طرفة بن العبد» (ص: ٤).

من أجل مشاكل أسرية بين النساء أو بين الأولاد...!، أو لحسد، أو لأي خلافٍ حقيرٍ دنيوي!.

فإذا حصل لصاحبه أي فتنة وقف ضده مع خصومه باسم الدفاع عن الحق والدين!، وإن كان من وقف ضده مظلوماً؛ فاللهم سلّم سلّم، ويوم القيامة يبعث ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، فالجسد مكشوفٌ عارٍ، وما في الصدور مكشوفٌ ظاهر، والصحائف مكشوفةٌ منشورة، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].



(٢٥) تسجيل مكالمات العلماء الهاتفية بغير إذنهم، ونشرها بين الناس

بقصد الفتنة

من البلايا والرزايا التي أشعلت نار الفتن، ونفخت في كيرها، وزادت الطين بلةً، والمرض علة:

تسجيل المكالمات الهاتفية مع العالم بغير إذنه، ونشرها بين الناس بقصد الفتنة؛ فالأصل في هذه المسألة المنع والتحريم، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ التَفَتَ؛ فَهِيَ أَمَانَةٌ»^(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ»^(٢).

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «فلا يجل لأحدٍ من أهل المجلس أن يفشي على صاحبه ما يكره إفشاؤه» اهـ.

وقال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى^(٤):

(١) حسن. رواه «الترمذي» (١٩٥٩) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (١٠٩٠).

(٢) حسن. رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٧٠٤) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٦٦٧٨).

(٣) «فيض القدير» (٥٦٩ / ٢).

(٤) ينظر: كتاب «أدب الهاتف» (ص: ٢٤ وما بعدها).

• تنبيه: للشيخ محمد بن سعيد رسلان والشيخ محمد بن علي فركوس - وفقهما الله - كلامٌ قوي في تسجيل المكالمات بغير إذن.

• وهناك فتوى بتحريم تسجيل المكالمات بغير إذن، للشيخ الدكتور محمد بن عمر بازمول - حفظه الله تعالى -، مفوض الإفتاء بمكة المكرمة، نشرت في موقع شبكة الآجري.

- «ومن المهاتفة المؤذية من بعض المستفتين:...

- تسجيل المهاتفة، ونشرها بدون إذن المفتي فيها، وهذا التصرف خيانة،

يأتي بيانها.

ثم قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «الخيانة المضاعفة: لا يجوز لمسلم يرفع الأمانة ويغض الخيانة أن يسجل كلام المتكلم دون إذنه، وعلمه، مهما يكن نوع الكلام: دينياً، أو دنيوياً، كفتوى، أو مُباحثة علمية، أو مالية، وما جرى مجرى ذلك.

وقد ثبت من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَالْتَفَتْ، فَهِيَ أَمَانَةٌ».

ومعنى: «الْتَفَتَ»: أي: ظهر من حال المتكلم بالقرائن: حَذَرُهُ بالتفاتة يميناً وشمالاً، أن لا يسمع حديثه أحد^(١)، فتكون الكلمة التي حدثك صاحبك بها أمانة أودعك إيّاها، فإن حدث بها غيره، فقد خالف أمر الله؛ إذ أدّى الأمانة إلى غير أهلها، فيكون من الظالمين، فيجب عليه كتمانها؛ إذ التفاته بمنزلة استكثامه بالنطق، قالوا: وهذا من جوامع الكلم؛ لما في هذا اللفظ الوجيز من الحمل على آداب العشرة، وحسن الصُحبة، وكنم السر، وحفظ الوُدِّ، والتحذير من النَميمة بين الإخوان المؤدّية للشنان ما لا يخفى.

جاء في: «الإحياء»: «إفشاء السرّ خيانة، وهو حرامٌ إذا كان فيه إضرار».

وقال الماوردي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «إظهار الرجل سرّ غيره أقبح من إظهار سرّ نفسه؛ لأنّه يبوء بإحدى وصمتين: الخيانة إن كان مؤتمناً، والنَميمة إن كان مستخبراً، فأما

(١) ينظر: «فيض القدير» للمناوي (١/ ٣٣٩).

الضَّرر فيما استويا فيه أو تفاضلاً فكلاهما مذمومٌ، وهو فيها معلومٌ.

وقال الرَّاعِب رَحِمَهُ اللهُ: «السَّرُّ ضربان: أحدهما: ما يُلقِي الإنسان من حديثٍ يُستَكْتَم، وذلك إمَّا لفظاً، كقولك لغيرك: اكنم ما أقول لك، وإمَّا حالاً: وهو أن يتحرَّى القائل حال انفراده فيما يورده، أو خفض صوته، أو يخفيه عن مُجَالِسِهِ، وهو المُراد في هذا الحديث». انتهى.

فإذا سجَّلت مكالمته دون إذنه وعلمه، فهذا مكرٌ وخديعةٌ، وخيانةٌ للأمانة.

وإذا نشرت هذه المكالمة للآخرين، فهي زيادةٌ في التَّخَوُّنِ وهتكٌ للأمانة.

وإن فعلتَ فعلتك الثالثة: التَّصَرُّفُ في نصِّ المكالمة بتقطيع، وتقديم، وتأخير، ونحو ذلك إدخالاً أو إخراجاً -دبلجة- فالآن تردي الخيانة مُضاعفةً، وتسقط على أمِّ رأسك في: «أمَّ الخبائث» غير مأسوفٍ على خائنٍ.

ولذا ضَعُفَ «التسجيل» عن حُجِّية الإثبات والحُكْمِ قضاءً إلى رُتبة القرائن. والخُلاصة: أنَّ تسجيل المكالمة -هاتفيةً كانت أو غير هاتفية- دون علم المتكلم وإذنه: فجورٌ وخيانةٌ وجرحَةٌ في العدالة ولا يفعلها إلا الضَّامرون في الدين، والخلق، والأدب، لا سيما إن تضاعفت كما ذُكِرَ.

فاتقوا اللهَ -عباد الله- ولا تخونوا أماناتكم، ولا تغدروا بإخوانكم». انتهى

كلام الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ^(١).

(١) ومن المناسب هنا أن أذكر قصةً حصلت معي شخصياً مع بعض طلبة العلم في إندونيسيا، وذلك أننا كنا نخرج بعد انتهاء الدورة العلمية إلى القرى من أجل إلقاء المحاضرات، ودعوة الناس إلى التوحيد والسنة، وفي ليلة من الليالي ونحن عائدون من المحاضرة من قرية بعيدة، بدأ الإخوة طلبة العلم -ونحن في السيارة- يسألون عن مسائل شرعية رائعة جميلة، وأنا أتكلم معهم بكل =

(٢٦) طرح الأسئلة التي يراد من ورائها إيقاع الفتن بين العلماء والدعاة

لا شك أن سؤال العلماء فيما أشكل أمر مهم؛ قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ»^(١).

وهذا أمر مجمع عليه، أن تسأل العلماء بقصد التعلم عن مسائل في العقيدة، أو في الفقه، أو في المنهج، أو عن حال الجماعات والأحزاب، أو تسأل عن حال فردٍ تذكر اسمه وتساءل عنه سؤالاً واضحاً صريحاً بقصد الاستفادة والخير.

لكن مما يؤسف له جداً أن تجد بعض من ينتسب إلى طلب العلم الشرعي من يطرح بعض الأسئلة على العلماء، وهي في الحقيقة ألغامٌ لتفجير الخلاف والتحريش بين العلماء والمشايخ وطلاب العلم، بأسلوب مأكراً أو بأسلوب أليق

أريحية وسعادة وأمن وأمان، وفجأةً فوجئت بسؤالٍ خطير عن موقفي من فتنة كانت حاصلة في ذلك الوقت بين أهل السنة فشعرت بانقباضٍ شديدٍ في نفسي، وأحسست بإحساسٍ غريب، وشعرت بشيءٍ مريب، وانتابني الخوف؛ فالتفت التفاتةً يسيرةً إلى الخلف، في الظلام، فوجدت أحدهم واضعاً الجوال عند كتفي الأيسر تماماً، وهو يسجل الإجابة على السؤال الملغم، وجميع الأسئلة المتقدمة لم تُسجَلْ!؛ فقلت: ما هذا يا فلان؟! فأصيب بالإحراج الشديد جداً!، واعتذر، وقال: والله ما أريد إلا الخير، وقد يكون كذلك، فوعظته ونصحته وجعلت ما بقي من الوقت نصيحة لهم في هذا الموضوع وهذا الفعل الشنيع، والله المستعان.

(١) حسن. رواه «أحمد» (٣٠٥٦)، «أبو داود» (٣٣٧)، «ابن ماجه» (٥٧٢)، «الحاكم» (٦٣٠) عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحسنه الشيخ الألباني في تحقيق «سنن أبي داود» (٣٣٧)، وفي تحقيق «سنن ابن ماجه» (٤٧٠)، «صحيح الجامع» (٤٣٦٣)، رحمة الله على الجميع.

ما يكون بفعل الهمج الرعاع من الدهماء، لا يليق بطالب علمٍ ينتسب إلى سنة النبي ﷺ، وإلى طلب العلم أن يتعاطى مثل هذه الأفعال المشينة.

فتجده يتقصد طرح أسئلةٍ على بعض المشايخ حول بعض الألفاظ والأقوال والأفعال الصادرة من بعض المشايخ والدعاة الآخرين، والتي ظاهرها الخطأ، وقد يكون قائلها أو فاعلها متأولاً، أو لعل السامع لم يفهم مراد المتكلم، أو غير ذلك من الأعذار الشرعية، ثم إذا أجابه الشيخ عن سؤاله يذهب إلى حيث أراد، وينشر مقولة ذلك المجيب في حكم العبارة المنقولة، ويضع لها عنواناً سَمِجاً أو عنواناً ماكراً من عنده ليصطاد به في الماء العكر، فيقول مثلاً: (رد الشيخ فلان على فلان)، مع أنه سأل عن الكلمة أو العبارة أو الفعل أو القول ولم يسم الفاعل أو القائل، وهذا ديدن بعض من ينتسب إلى طلب العلم، تجد شغله الشاغل في الليل وفي النهار السؤال عن زيد وعبيد، ولا يسأل عن العلم الشرعي ولا يهتم به، ولا يهتم بالدعوة، ولا يهتم بالعبادة.

فعلى طالب العلم حقاً أن يتَّقِيَ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فيما يقول ويذر، ويعلم أنه ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

قال الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللهُ**^(١): «أنا كثيراً ما أُسأل: ما رأيك بفلان؟ فأفهم أنه متحيزٌ له أو عليه، وقد يكون الذي يُسأل عنه من إخواننا القدامى. يقال عنه: انحرف، فأنا أنصح السائل: يا أخي: ماذا تريد بزيد وبكرٍ وعمرو؟ استقم كما أُمِرْتَ، وتعلَّم العلم، وهذا العلم سيميز لك الصالح من الطالح والمخطئ من

(١) «سلسلة الهدى والنور» (٧٨٤).

المصيب» اهـ.

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ^(١): «يا أخي لا تجعل ديدنك وهمك ما تقول في فلان؟ ما تقول في فلان؟ كَفَرُ فلانًا! بَدَّعُ فلانًا! فَسَّقُ فلانًا! ما يصير هذا!».
وسئل العلامة ربيع المدخلي رَحِمَهُ اللهُ^(٢): هل السؤال عن الرجال من هدي السلف؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: «نعم، السؤال عن الرجال من منهج السلف، كما قال ابن سيرين: إن هذا العلم دينٌ، فانظروا عمن تأخذون دينكم.
لكن في الناس من يسأل بصدق وإخلاص، يريد أن يأخذ دينه من الأكفاء، من أهل العلم والعقيدة الصحيحة والمنهج الصحيح؛ فهذا له أن يسأل.
وبعض الناس يسأل للفتن، في هذا الوقت كثير من الأسئلة، ما رأيك في فلان؟ ما رأيك في فلان؟ ما رأيك في منهج فلان؟
وليس قصده الاستفادة منه، أو الابتعاد عنه، وإنما قصده شيء آخر هو: الإشاعات، ونشر الفتن بين الناس!؛ فهذه الأسئلة لا تجوز؛ لأنها للفتن، والأمور بمقاصدها.

وأما إذا كان السائل يريد الخير، ويريد أن يتعلم، ويأخذ دينه الصحيح؛ فيجب أن تدله على من يأخذ منه العلم» اهـ.

وقال العلامة صالح الفوزان -حفظه الله-^(٣): «في بعض الإخوان -سأحهم

(١) «لقاء الباب المفتوح» (٢٢٥).

(٢) «مرحبًا يا طالب العلم» (ص: ٣٣٧).

(٣) مقطع صوتي.

الله - يصير عندهم هوى على أحدٍ، أو بُغض لأحدٍ من طلبة العلم أو من العلماء؛ فيسألونك عن سؤالٍ أنت تجيب عليه، هم يركّبونه على ذلك الشخص وأنتك تعنيه، ويقولون: «قال فلانٌ في فلانٍ كذا وكذا»، أنت ما طرأ عليك فلان ولا فلان ولا علان، أنت تجيب على سؤال فقط، هم يركّبونه ويقولون: قصده فلان، قصده الطائفة الفلانية، ويدبلجون في الأشرطة، ويؤلّفون كتباً بأن فلاناً قال في فلانٍ كذا، وأجاب عن كذا، وقصدهم بهذا الإفساد بين الناس، والتحريش بين طلبة العلم، وإيقاع العداوة بين طلبة العلم.

فنحن نحذركم، ونعيذكم بالله من هذه الخصلة، أن لا تغتروا بها أو تنظلي عليكم، احذروا منها غاية الحذر» اهـ.

قلت: وقد رد هذا الأسلوب الشنيع، وهذه الطريقة السمجة جميع علماء ومشايخ الدعوة السلفية في هذا العصر، كالعلامة عبد العزيز بن باز، والعلامة ابن عثيمين، والعلامة الوادعي، والعلامة صالح الفوزان، والعلامة العباد، والعلامة عبد العزيز آل الشيخ، والعلامة اللحيدان، والعلامة الغديان، والعلامة أحمد بن يحيى النجمي، والعلامة زيد المدخلي، والعلامة صالح السحيمي، والعلامة ربيع المدخلي، والعلامة عبيد الجابري، والعلامة محمد بن علي بن آدم الإتيوبي، والعلامة وصي الله عباس، وجميع عقلاء وعلماء ودعاة الدعوة السلفية في العالم، رحم الله الأموات منهم ومتع بالأحياء.



(٢٧) طغيان الجرح والتعديل والرد على المخالفين على طلب العلم والدعوة إلى الله منهج مخالف لمنهج السلف

لا شك أن الجرح والتعديل مشروعٌ بالكتاب والسنة وإجماع الأمة^(١)، وإن اختلفت أسماؤه، فبعضهم يقول: لا نسميه جرحاً وتعديلاً وإنما هو نصيحة، والبعض يقول: لا نقول: جرحاً وتعديلاً، بل أمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر... والخلاصة: أنه لولا أن الله سخر علماء الجرح والتعديل لاختلط الحابل بالنابل، والقابل بالدابر، وأصبح الحق باطلاً، والباطل حقاً. لكن نقول: كل شيء زاد عن حده انقلب إلى ضده، فالجرح والتعديل

(١) أدلة الجرح والتعديل في القرآن الكريم كثيرة، من أشهرها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦].

وأما أدلة السنة على مشروعية الجرح والتعديل فهي كثيرة كذلك، من أشهرها في التعديل: قول النبي ﷺ: «نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ». متفق عليه: «البخاري» (١١٢٢)، «مسلم» (٢٤٧٩) عن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي الجرح: قول الرسول ﷺ: «يُسُّ أَخُو الْعَشِيرَةِ». متفق عليه: «البخاري» (٦٠٣٢)، «مسلم» (٢٥٩١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقد سرد شيخنا العلامة الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ أدلة الجرح والتعديل الكثيرة المتكاثرة في كتبه، منها: «نشر الصحيفة» (ص: ٦٢-١٢٥)، «المخرج من الفتنة» (ص: ٢١-٢٦)، «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين»، وقد انعقد الإجماع على مشروعية هذا العلم العظيم، نقل الإجماع غير واحد من العلماء، منهم: النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «رياض الصالحين» باب: مَا يُبَاحُ مِنَ الْغِيَةِ (ص: ٤٣٢)، ولشيخنا العلامة محمد بن عبد الوهاب الوصابي رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة في هذا الموضوع بعنوان: «أدلة الجرح من الكتاب والسنة» مطبوعة.

كالمالح للطعام إن زاد أفسد، وإن قلّ أفسد وأسمح فيكون بقدر الحاجة إليه لا إفراط ولا تفريط.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا﴾ [الطلاق: ٣].

فالإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ له كتاب «المسند» يقع في خمسين مجلداً، وأما في باب الردود فليس له إلا جزء يسير لطيف في الرد على الجهمية والزنادقة^(١)، وهو إمام

(١) لا شك أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ له كلامٌ كثيرٌ في الرجال في كتب الجرح والتعديل، وهكذا الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي «صحيح البخاري» وبقية كتب السنة أبواب في الرد على الخوارج، والرد على المرجئة، والرد على الجهمية، وغيرهم من أهل البدع، وإنما القصد هنا أنهم لم يردوا الردود في أجزاء مستقلة إلا الشيء اليسير، ولم يشغلوا عن العلم الشرعي والدعوة إلى الله بكثرة الردود، ولا يعني هذا: الغفلة عن أهل البدع والأهواء؛ وقد كتبت مقالاً بعنوان: «لا بد لرموز الدعوة السلفية من معرفة رموز الدعوات المناوئة لها».

قلت فيه: «أيها الداعية السلفي المبارك: كما أنك تهتم بعلوم الشريعة فتدرس علم المسائل والوسائل، وعُقد العلم ومُلحه، فتدرس في علم المسائل: العقيدة، والفقه، وعلم التفسير، وعلم الحديث، وبقية علوم الشريعة.

وتدرس في علم الوسائل: علوم الآلة كاللغة والمصطلح وأصول الفقه؛ وهذا هو الأصل المبارك الذي تسير عليه الدعوة السلفية المباركة، والحمد لله.

لكن لا بد أن تجعل معرفة أحوال الدعاة المعاصرين من ضمن المواد العلمية التي لا غنى للداعية السلفي عن معرفتها، كعلوم الحديث التي تعرف من خلالها الثقة والصدوق والضعيف والمقبول والمردود، فتعرف من خلال دراسة هذه المادة من هم خصوم الدعوة السلفية والمناوئون لها فتُحذّر منهم، وتنقل كلام العلماء فيهم بعلمٍ وعدلٍ وبصيرةٍ وبقدر الحاجة والمصلحة الراجحة؛ فهذا العلم كالمالح للطعام إن زاد أفسد وإن قلّ أفسد فلا إفراط ولا تفريط.

فإنه من المعيب والخلل أن بعض رموز الدعوة السلفية والمستفيدين علمياً لا يهتمون بهذا الأمر فيخفى =

أهل السنة والجماعة، والإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ له «صحيح البخاري»، وله «الأدب المفرد»، وله كتب كثيرة في العلم، وله جزءٌ يسيرٌ لطيفٌ في مسألة: «القراءة خلف الإمام»، يردّ فيه على من يقول بعدم القراءة، وكتاب «رفع اليدين في الصلاة» رد فيه على الحنفية؛ لأنهم كرهوا رفع اليدين في الصلاة، هذا منهج السلف، ﴿وَأُولَئِكَ

عليهم حال بعض رموز الدعوات المخالفة للدعوة السلفية العتيقة خاصة ممن يلبس ثوب الدعوة السلفية ويتنسب إليها بل ربما يتأثر هذا الداعية السلفي بشبههم ويقع في شراكتهم، ويكون غنيمة باردة لهم، بسبب المبالغة في حسن الظن بهم وعدم معرفة شبههم والرد عليها إذا لزم الأمر.

ثم أيها الداعية السلفي أنت موجودٌ في وسط الساحة الدعوية، والمخالفون لها يحيطون بك من كل جهة إحاطة السوار بالمعصم؛ فقد تُسأل عنهم من هنا وهناك، فيكون جوابك سديداً وقولك رشيداً لتبقى الدعوة السلفية في صفاء ونقاء متميزة عن غيرها، لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، وتبقى الدعوات المخالفة للدعوة السلفية بين فرثٍ ودمٍ، قد علم كل أناس مشربهم.

وللفائدة: ينقسم أهل السنة والجماعة السلفيون من حيث النضوج العلمي والنضوج المنهجي إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: عنده نضوج علمي ونضوج منهجي.

القسم الثاني: عنده نضوج علمي وليس عنده نضوج منهجي.

القسم الثالث: عنده نضوج منهجي شكلي وليس عنده نضوج علمي.

القسم الرابع: ليس عنده نضوج علمي ولا منهجي.

وهم ينقسمون أيضاً (بالنسبة إلى الاشتغال بالعلم والمنهج) إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: انشغل بالعلم والمنهج.

القسم الثاني: انشغل بالمنهج دون العلم.

القسم الثالث: انشغل بالعلم دون المنهج ومعرفة الجماعات.

القسم الرابع: لم ينشغل لا بالمنهج ولا بالعلم.

الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدْنَهُمْ أَقْتَدَهُ ﴿[الأنعام: ٩٠]﴾^(١).

قال شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «على أنني أنصحكم أن تقبلوا على العلم النافع، ولا تشغلوا بالجرح والتعديل؛ فإن هذا يشغلكم.

أقبلوا - حفظكم الله - على حفظ القرآن، وعلى حفظ ما استطعتم من سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى تعلم اللغة العربية، وهكذا أيضاً دراسة العقيدة.

أقبلوا على العلم النافع؛ أنفع لكم من الكلام في فلان وفلان؛ اللهم إلا إذا رأيت الناس يغترون بهذا الرجل، وهو ملبسٌ مبتدعٌ ضالٌّ؛ فلك أن تبين شيئاً من ضلاله بحسب ما تعلم».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «المبتدعة لا تهتموا بهم، ويشغلوكم عن طلب العلم، تكفيهم لظمة على الطريق، إذا سجلت شريطاً أو في درسٍ أو في غيرها وإلا ركضة أو نطحة أو غير ذلك، ولا تشغل نفسك بهم، جزاك الله خيراً.

(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي -حفظه الله- معلقاً على هذه الفقرة: «ونتمنى أن يتفرغ عالمٌ للجرح والتعديل لرجال العصر على طريقة السلف الصالح ليخرج بمؤلف ينفع الله به في بابه» اهـ.

قلت: وأنا أتمنى لو أن عالماً متخصصاً ورعاً تقياً في هذا العصر يجمع في كتاب واحد جميع المجروحين المعاصرين، من أفراد، وأحزاب، وجماعات، وهيئات، ومواقع، وكتب، بالأدلة والبراهين، ويكون الكتاب نافعا من جهتين:

الجهة الأولى: التحذير من أهل البدع والأهواء بعلم ودين وعقل.
والجهة الثانية: إغلاق الباب أمام بعض الشباب السلفي المتهور في باب الردود والجرح والتعديل؛ فالجرح والتعديل فرضٌ كفائي إذا قام به البعض الكافي المتأهل سقط عن الآخرين.

(٢) شريط «محاضرة وأسئلة هاتفية من إيرلندا».

(٣) «تحفة المجيب» (ص: ٣٣٢).

نحن نُعِدُّكَ إلى أن تكون مرجعاً للمسلمين، إلى أن تكون مؤلفاً، إلى أن تكون داعياً إلى الله، فهذه هي وظيفة الأنبياء، ما نُعِدُّكَ فقط للرد على الإخوان المسلمين، وأصحاب جمعية الحكمة، ومَنْ أصحاب جمعية الحكمة حتى أننا نتشاغل بهم؟!».

وقال رَحِمَهُ اللهُ^(١): «الذي أنصح به إخواننا بالجد والاجتهاد في تحصيل العلم النافع، وألا يشغلوا أنفسهم بما لا يعينهم؛ فهذا الاختلاف وهذه الفرقة ناشئة عن فراغ، والشيخ الفلاني مصيبٌ، والشيخ الفلاني مخطئ! والشيخ فلان لا يؤخذ عنه العلم، والشيخ فلان كذا وكذا! فأنا أقول: يجب أن تحدثك نفسك أن تكون مثل الشيخ الفلاني أو أحسن».

وقال رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «ننصح إخواننا بالإقبال الكلي على طلب العلم؛ فهذا الاختلاف الموجود... بين أهل العلم هو ناشئ عن فراغ، فما أسهل أن تحفظ لك كلمات (فلان حزبي) أو (فلان عميل)، وتردها من هذا المجلس إلى هذا المجلس!، أريد أن تبدأ بحفظ القرآن، وبحفظ ما استطعت من أحاديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكذا اللغة العربية».

فأنا أقول: إن هذا الصراع عندهم ناشئ عن فراغ، أعجبهم هذا الكلام أم لم يعجبهم، فلو شغلتم أنفسكم بحفظ القرآن، وبتحصيل العلم النافع لما وجدتم وقتاً لهذا الكلام».

(١) «غارة الأشرطة» (٢/ ١٠٣).

(٢) «غارة الأشرطة» (٢/ ٤١١).

وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ**^(١): «إنني أنصح طلبة العلم بالإقبال الكلي على طلب العلم، وعدم الالتفات إلى هذه الأمور التي ليست بضائرة، فلا تشغل نفسك بالتعصب لفلان، ولا التعصب لفلان، بل أقبل على طلب العلم.

ففي ذات مرة كتب إلي أخ... وقال لي: إن الحزبية استفحلت عندنا فماذا أعمل؟ فنصحته، وقلت له: أقبل إقبالا كلياً على طلب العلم، ولا تلتفت إلى هذه الأمور، وكان متألماً من وضعهم، ويريد أن يرد عليهم؛ فقلت له: لا تشغل نفسك بالردود عليهم؛ فأنت طالب علم تحتاج إلى التزود من العلم، وإذا شغلت نفسك في هذا؛ تُشغَلْ عن حفظ القرآن، وعن تحصيل العلم النافع، فلا تشغل نفسك بهذا، وأقبل إقبالا كلياً على تحصيل العلم النافع».

وقال مرة: «يا طلبة العلم أقبلوا على العلم الشرعي، ونحن نكفيكم -إن شاء الله- الرد على أهل البدع».

وقال العلامة محمد أمان **رَحْمَةُ اللَّهِ**^(٢): «مشكلتنا: شُغْلُنَا في هذه الآونة الأخيرة بالجماعات وتكرر الأسئلة عن هذه الجماعات، ما هي السُّرورية، ما هي الجماعة الإخوانية، وما هي التبليغية، وما هي وما هي؟ الشباب بدلاً من أن يسألوا عن المسائل العلمية فيستفيدوا، شغلتهم هذه الجماعات، وهذا التحزب والانتماء، شغل الشباب للأسف الشديد...».

وقال العلامة أحمد النجمي **رَحْمَةُ اللَّهِ**^(٣): «إن المبالغة في هذه الأمور تخرج

(١) «غارة الأشرطة» (١/ ٧٤).

(٢) «شرح الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية».

(٣) «الفتاوى الجليلة» (ص: ٢٧-٢٨).

بطالب العلم عن نطاق الحق إلى الجدل، وتضييع الوقت في الكلام الذي لا ينتج عنه فائدة، بل يكون الإنسان في حلقة مفرغة! فهذا لا ينبغي.

بل يجب على طالب العلم أن يستغل وقته في طاعة الله، وفي البحث عن العلم، وحضور الحلقات، ولا بأس أن يسمع التحذير منهم من علماء أهل السنة وبيان صفاتهم حتى يحذرهم، أما أننا جعلنا كل أوقاتنا في الكلام فيهم، ولا ننشغل بطلب العلم الذي ينفعنا؛ فهذا لا شك خطأ كبير، وخطأ عظيم! اهـ.

وقال الشيخ الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ^(١) ناصحًا أحد الشباب: «نحن ننصحك والشباب الآخرين الذين يقفون في خطٍّ منحرفٍ فيما يبدو لنا، والله أعلم، ألا تضعوا أوقاتكم في نقد بعضكم بعضًا، وتقولوا كذا، وفلان قال كذا؛ لأنه **أولاً** هذا ليس من العلم في شيء».

وثانيًا: هذا الأسلوب يوغر الصدور، ويحقق الأحقاد، والبغضاء في القلوب، إنما عليكم بالعلم؛ فالعلم هو الذي سيكشف هل هذا الكلام في مدح (زيد) من الناس؛ لأن له أخطاء كثيرة، وهل مثلاً، يحق لنا أن نسميه صاحب بدعة؟ وبالتالي: هل هو مبتدع؟، ما لنا ولهذه التعمقات، أنا أنصح بأن لا تتعمقوا هذا التعمق؛ لأن الحقيقة نحن نشكو الآن هذه الفرقة التي طرأت على المتسيبين لدعوة الكتاب والسنة، أو نقول: نحن للدعوة السلفية، هذه الفرقة، والله أعلم، السبب الأكبر فيها هو حظ النفس الأمارة بالسوء، وليس هو الخلاف في بعض الآراء الفكرية، هذه نصيحتي».

(١) «جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث الكبرى» (٦ / ٣١٧-٣١٨).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ^(١): «... فإني أنصح أولئك الشباب أن يتورعوا عن تبديع العلماء وتكفيرهم، وأن يستمروا في طلب العلم حتى ينبغوا فيه، وأن لا يغتروا بأنفسهم، ويعرفوا حق العلماء وأسبقيتهم فيه، وبخاصة من كان منهم على منهج السلف الصالح...».

وقال الشيخ عبد السلام برجس رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «ينبغي لطالب العلم أن يحتز من هذا الباب -يقصد باب الجرح والتعديل- وأن يخشاه خشيةً عظيمةً، وأن يتعد عنه أول طلبه للعلم؛ لأن هذا الباب بابٌ وَعِرٌ المسلك، صعبُ المرتقى. فعلامة توفيق طالب العلم في أول أمره: أن يشتغل بحفظ المتون العلمية وأن يُقبل عليها حفظًا، وفهمًا، ودراسةً، وتكريرًا، ونحو ذلك.

وعلامة عدم توفيقه: أن يشتغل بمثل هذه الأبواب في أول الطلب؛ فليترك الطالب العناية بهذا الباب في أول طلبه، وليقبل على أصول العلم حتى يكون في ذلك توفيقه -إن شاء الله-».

وقال فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عمر بازمول - حفظه الله تعالى - مفوض الإفتاء بمكة المكرمة^(٣):

«من صور الانحرافات: أن يقول الإنسان: (أنا سلفي)؛ وأخلاقه وتعامله وطريقة أخذه ورده مع الناس جاهلية ما هي سلفية!

● ويقول: أنا سلفي... وإذا استدان من الناس لا يردّ الدين، وإذا مر

(١) «السلسلة الصحيحة» تحت حديث (٣٠٤٨).

(٢) «الرد العلمي على منكري التصنيف» (ص: ٥٧-٥٨).

(٣) من شريط «منهج السلف في التعامل مع الانحرافات العقيدية والمنهجية».

بالناس وهم عوام مساكين جُهال؛ بدل ما يحتويهم ويوجههم ويرغبهم؛ يُكشّر في وجههم، ويتعد عنهم، ولا يرد **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**! يتركهم في ضيق لا يعلمه إلا الله ويُعطي صورة سيئة عن السلفية.

• مفهوم السلفية أيضًا تغير!

• مرة سألوا الشيخ ابن عثيمين، قالوا له: من يقول: أنا سلفي، ويدعو إلى السلفية؟! قال: السلفية إن كانت حزبية؛ لا تجوز؛ لا تصح!

• ركّز كلامه على قضية السلفية كاسم، ولكنها في الداخل أصبحت حزبًا وهذا يخالف السلفية، فهو إنّما أنكر الحزبية في السلفية ولم ينكر السلفية.

• السلفية مفهومها تغير!

• أنا أعرف بعض الناس لا يعرف من السلفية إلا الردود؛ هي همهم ليلاً

ونهارًا!

• العلم عنده هو الردود، يعرف من السلفية بس إذا جلس يتكلم عن فلان وفلان، بمناسبةٍ وبغير مناسبة، ويظن أن هذه هي السلفية! هذا ليس من منهج السلف، لا أحد يضحك عليك، لا أحد يُحرّف عليك الحقيقة؛ هذا ليس منهج السلف؛ ليس منهج السلف هو الردود! ليس منهج السلف هو فقط الكلام في فلانٍ وعلان!

• ولكي يُثبت أمامك أنه سلفي: إذا جلس المجلس يتكلم عن فلان، ويهرج عن فلان، ويعلق عن فلان، ويأتي بالرد الفلاني؛ لكي يثبت أنّه طالب علم يأتي بهذه الردود ويصورها ويعطيك إيّاها! هذا ليس منهج السلف! الذي قال لك بأن هذا منهج السلف تراه غلطان!

• منهج السلف: اتباع ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، الرد في محله، والكلام في الجرح والتعديل في محله، والقيام بأمر العبادة والسلوك والمنهج في محله، وكل شيء له محله وله ميزانه، أما أنك تعرض السلفية بهذه الصورة، وتبغى من الناس أن لا ينكروا عليك؛ فلا والله، أنت شوهدت السلفية! لا والله، أنت شوهدت السلفية! هذا غلط.

• السلفية: منهجٌ إصلاحٍ ودعوة.

• الذي ينبغي أنّه إذا أخطأ الإنسان على طول يدمره ويكسره، وما يخلّي له منسم يرجع فيه للحق، هذا ما هو سلفي، وإن قال: أنا سلفي!.

• السلفية: رحمة!

• أعرف بعض أسيادنا ستة عشرة سنة يناصح في المخالف، ولا أحد يدري عنه؛ رحمة! مو على طول كسر؛ لا! ستة عشرة سنة يناصح، ويتأنّى ما يستعجل، أعرف من أهل العلم من يصنع هذا.

• والذي يظن أن الردود، وأنّ الكلام في فلان، وفلان، وفلان، وإسقاط فلان، وكذا، ونحو ذلك، بدون أن يكون لديه توازن، وتعلّم للعلم على وجهه، وأخذ الأمور بطريقتها الصحيحة، ترى ما هو سلفي؛ وإن جلس من الصبح إلى الليل يقول: أنا سلفي!، وإن جلس يردد آيات وأحاديث من الصبح إلى الليل!.

• الخوارج كانوا يرددون آيات وأحاديث! وهو خارجي باسم سلفي؛ لأن هذا من صور الخروج عن الجماعة الإسلامية، هذا من صور تشويه السلفية، الذي يجلس ما له هم غير الكلام في فلان وفلان من الدعاة، الذي يخطئ يخطئه، وما يزن الأمور بميزانها!

- هل في أحد سليم من الخطأ؟
- ما في أحد، كل ابن آدم خطأ.
- الله عز وجل مع الكفار يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوْا﴾

[المائدة: ٨].

- لما أنت تتعامل مع الخطأ من هذا الشخص كأنه كافر، وكأنه خرج من الملة والدين؛ هل هذا عدل؟!
- كل شيء ضعوه بميزانه، ولذلك هؤلاء اندهشوا لما أحد المشايخ الكبار تكلم عن خطأ فلان ثم بعد شهر شهرين يقول: ما في مانع اسمعوا له! كيف خطأه هنا، وهنا يقول كذا؟!!
- نعم؛ هذا عالم، هذا فاهم، هو يريد أن يتألف هذا الرجل، ويريد من هذا الرجل أن يصلح حاله، ويعطيه فرصة، في نفس الوقت تكلم عليه بقدر الخطأ الذي أخطأ فيه ورده، وبين له الصواب، ويرجو -إن شاء الله- أنه تقبل هذا الصواب، وخلص، بلاش إهانات! تزيد الفجوة، نحاول نتألف.
- ترى يا جماعة: حتى السلفية من المفاهيم التي انحرفت عند بعض الناس، وينبغي الانتباه إلى هذا».



(٢٨) زِيغ بعض الدعاة بسبب الطمع وحب المال

لا شك أن النفوس قد جُبلت على حب المال؛ قال تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَيْتَهُ لِحَبِّ الْحَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]^(١).

وروى البخاري ومسلم^(٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَا يَبْتَغِي ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ».

وروى البخاري ومسلم^(٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَكْبُرُ ابْنُ آدَمَ، وَيَكْبُرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ الْمَالِ، وَطُولُ الْعُمُرِ».

وقد حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ من فتنة المال، فروى البخاري ومسلم^(٤) من حديث عمرو بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فَتْحِ الْبَارِي» (٥ / ٣٩٨): «وَقَدْ أَخْبَرَ -تَعَالَى- عَنِ الْإِنْسَانِ: ﴿وَلَيْتَهُ لِحَبِّ الْحَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، وَ «الْحَيْرِ» هُنَا: الْمَالُ اتِّفَاقًا».

وَقَالَ فِي «مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ» (٢ / ٦٦٩): «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْتَهُ لِحَبِّ الْحَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أَي: وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ، وَهُوَ الْمَالُ لَشَدِيدٌ، وَفِيهِ مَذْهَبَانِ:

(أَحَدُهُمَا): أَنَّ الْمَعْنَى: وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الْمَحَبَةِ لِلْمَالِ.

(وَالثَّانِي): وَإِنَّهُ لَحَرِيصٌ بِخَيْلٍ مِنْ مَحَبَةِ الْمَالِ، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ».

(٢) «الْبُخَارِيُّ» (٦٤٣٦)، «مُسْلِمٌ» (١٠٤٩).

(٣) «الْبُخَارِيُّ» (٦٤٢١)، «مُسْلِمٌ» (١٠٤٧).

(٤) «الْبُخَارِيُّ» (٣١٥٨)، «مُسْلِمٌ» (٢٩٦١).

«فَابْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ».

لذلك تجد بعض الدعاة يضعف ضعفا شديدا أمام المال، فتجده في الدعوة والعبادة والعقيدة سنيا، وفي المعاملة المالية جنيا احتياليا!، يأخذ المال من حله وحرامه!

قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ^(١): «قد يكون الشخص سلفيا في عقيدته، ولكنه ليس سلفيا في تربيته وسلوكه» اهـ.

- فمن الدعاة مَنْ اتجه للتجارة، وترك الدعوة.
- ومن الدعاة مَنْ اتجه للسياسة من أجل المال، والجاه، والمناصب، وترك الدعوة.

- ومن الدعاة مَنْ سافر إلى بعض البلاد لطلب الرزق، وترك الدعوة.
- ومن الدعاة مَنْ خطفته بعض الجماعات والأحزاب، وترك الدعوة.
- ومن الدعاة مَنْ اتجه إلى الرقية على الممسوسين والمسحورين لغرض التوصل إلى المال بثتى الحيل حتى إن بعضهم يدخل في اليوم الواحد من المال ما لا يربحه بعض التجار!.

حقا لقد فتن المال خلقا كثيرا، وهذا مصداق لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»^(٢).

(١) «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (٧٨١).

(٢) صحيح. رواه «الترمذي» (٢٣٣٦) عن كعب بن عياض الأشعري رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني =

ومن الأدلة على أن سبب زيغ كثير من الناس هو المال: قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:
«أَلْفَقَرُ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُصَبَّنَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيَ...»^(١).

قال سفيان الثوري **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(٢): «الْعَالَمُ: طَبِيبُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَالْمَالُ: الدَّاءُ، فَإِذَا كَانَ الطَّبِيبُ يَجْرُ الدَّاءُ إِلَى نَفْسِهِ كَيْفَ يَعَالِجُ غَيْرَهُ؟!» اهـ.

قال ابن المبارك **رَحِمَهُ اللَّهُ** في هذا الصنف من الدعاة:

يَا جَاعِلَ الْعِلْمِ لَهْ بَازِيَا	يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
اِحْتَلَّتْ لِلدُّنْيَا وَلَكِذَاتِهَا	بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالْبُدَيْنِ
فَصِرْتَ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا	كُنْتَ دَوَاءً لِلْمَجْرَانِينَ
أَيُّنَ رَوَايَاتِكَ فِيمَا مَضَى	عَنِ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيرِينَ
وَدَرَسُوكَ الْعِلْمَ بِأَثَرِهِ	وَتَرَكُوكَ أَبْوَابَ السُّلَاطِينِ
تَقُولُ أَكْرَهْتُ فَمَاذَا كَذَا	زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطُّيُنِ ^(٣)

فالواجب على الدعاة وطلاب العلم الصبر على الفقر، لذلك كان يكرر

الشنقيطي **رَحِمَهُ اللَّهُ** صاحب «أضواء البيان» هذا البيت:

الْجُوعُ يُطْرِدُ بِالرَّغِيفِ الْيَاسِ فَعَلَامُ تَكْثُرُ حَسْرَتِي وَوَسَاوِسِي

= في «السلسلة الصحيحة» (٥٩٢)، وحسنه شيخنا الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١٠٩٣)، رحمه الله على الجميع.

(١) حسن. رواه «ابن ماجه» (٥) عن أبي الدرداء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وحسنه الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «السلسلة الصحيحة» (٦٨٨).

(٢) حسن. أخرجه أبو نعيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «حلية الأولياء» (٦/٣٦١)، وذكره الذهبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «سير أعلام النبلاء» (٧/٢٤٣)، «تذكرة الحفاظ» (١/١٥٢)، «تاريخ الإسلام» (١٠/٢٣٣).

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (١/٦٣٧)، «سير أعلام النبلاء» (٩/١١٠).

وهذه سنة الله في أن جعل غالب العلماء الربانيين والدعاة وطلاب العلم فقراء، حتى قال أحدهم:

قلت للفقير: أين أنت مُقيم؟ قال لي: في عمائم الفقهاء!
إنَّ بيّني وبينهم لإخاءٌ وعزيرٌ عليّ تركُ الإخاءِ!
وقال آخر في بيان الفرق بين الفقيه والفقير:

إنَّ الفقيهَ هو الفقيرُ وإنَّما راءُ الفقيرِ تجمعتُ أطرافُها
وقد فضل ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم العظيم: «مفتاح دار السعادة»
العلم على المال من خمسين وجهًا!.

فوصيتي لنفسي وللدعاة هي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لنا جميعًا: «... وَارْضَ
بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ؛ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ...»^(١).

قال الشاعر:

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِينَا لَنَا عِلْمٌ وَلِلْجَهَّالِ مَالٌ
فَكُنْزُ الْمَالِ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَكُنْزُ الْعِلْمِ بَاقٍ لَا يَزَالُ

وقال العلامة المحقق تقي الدين محمد ابن دقيق العيد رحمه الله:

أَهْلُ الْمَنَاصِبِ فِي الدُّنْيَا وَرَفَعَتِهَا أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَرْدُؤُونَ عِنْدَهُمْ
قَدْ أَنْزَلُونَا؛ لَأَنَّا غَيْرُ جِنْسِهِمْ مَنَازِلَ الْوَحْشِ فِي الْإِهْمَالِ بَيْنَهُمْ
فَمَا لَهُمْ فِي تَوْقِي ضُرْنَا نَظَرٌ وَمَا لَهُمْ فِي تَرْقِي قَدْرْنَا هِمٌّ
فَلَيْتَنَا لَوْ قَدَرْنَا أَنْ نَعْرِفَهُمْ مِقْدَارَهُمْ عِنْدَنَا أَوْ لَوْ دَرَوْهُ هُمُ

(١) حسن. رواه «أحمد» (٨٠٩٥)، «الترمذي» (٢٣٠٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٣٠)، «صحيح الجامع» (١٠٠)، رحمة الله على الجميع.

لَهُمْ مُرِيحَانٌ مِّنْ جَهْلٍ وَفَرَطٌ غِنَى وَعِنْدَنَا الْمُتَعَبَانِ: الْعِلْمُ وَالْعَدَمُ! ^(١)



(١) ينظر: «كنوز الذهب في تاريخ حلب» (١/ ١٠٢)، «موارد الظمآن لدروس الزمان» (٢/ ١٨٠).

كان شيخنا مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ يكرر هذه الأبيات كثيرًا كما أفادنا بذلك فضيلة الشيخ حسن عليوة - حفظه الله -.

(٢٩) ضعف القدوة وغيابها أحياناً، خاصة في باب السلوك ومكارم

الأخلاق

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «العقيدة الواسطية»^(١): «وأهل السنة يدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(٢)...».

قال العلامة صالح الفوزان -حفظه الله- في «شرح الواسطية»^(٣) معلقاً على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم هم: أي: أهل السنة (مع هذه الأصول)؛ أي: التي تقدم ذكرها؛ أي: مع قيامهم بها علماً وعملاً يتحللون بصفات هي من مكملاتها وثمراتها (وهي الأخلاق)».

ولأهمية الأخلاق ألف العلماء كتباً مستقلة في الأخلاق، فألف أبو الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة عظيمة بعنوان: «أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وألف ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللَّهُ «مكارم الأخلاق»، وألف الخرائطي رَحِمَهُ اللَّهُ «مكارم الأخلاق»، وألف البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب «الأدب المفرد»، وألف الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب «الشمال المحمدية والخصائل المصطفوية»، وألف البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب «الأنوار في شمائل

(١) «العقيدة الواسطية» (ص: ٢٩).

(٢) حسن. رواه «أحمد» (٧٤٠٢)، «أبو داود» (٤٦٨٢)، «الترمذي» (١١٦٢) عن أبي هريرة رَحِمَهُ اللَّهُ عَنَّهُ، وقال الألباني في تحقيق «سنن أبي داود» (٤٦٨٢): «حسن صحيح»، وصححه شعيب في تحقيق «مسند أحمد» (٧٤٠٢)، رحمة الله على الجميع.

(٣) «شرح العقيدة الواسطية» (ص: ١٦٨).

النبي المختار»، وألف ابن حزم **رَحْمَةُ اللَّهِ** كتاب «الأخلاق والسَّير في مداواة النفوس».

والأخلاق ليست على درجةٍ واحدةٍ، فمنها ما هو واجبٌ، ومنها ما هو مستحبٌ، ولمكانة الأخلاق وأهميتها في الإسلام أمر الله نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يقتدي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم أكمل الناس أخلاقًا، حيث قال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وأمرنا أن نقتدي به **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهو أكمل الناس أخلاقًا، حيث قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال الله عن أخلاق نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ».

وفي لفظ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١).

والعلماء والدعاة هم ورثة الأنبياء في العلم والأخلاق؛ فينبغي أن يكون الداعية طليق الوجه، حليماً، صبوراً، كريماً، ملازماً للورع، والتواضع، والوقار، وجميع مكارم الأخلاق ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وأن يتجنب ما يذهب المروءة ويزيل الهيبة؛ مثل كثرة الضحك، والمزاح، وأن يحافظ على مظهره الخارجي، وغير

(١) صحيح، رواه أحمد في «المسند» (١٤ / ٥١٢)، (٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، والحاكم في «المستدرک» (٤٢٢١)، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص: ١١٨)، «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤٥)، وشعيب في تحقيق «مسند أحمد» (١٤ / ٥١٢) (٨٩٥٢)، رحمة الله على الجميع.

ذلك^(١).

قال العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «حُسن الخُلُق وحُسن المعاملة الطيبة، ربما تكون أبلغ وأبلغ من ألفِ موعظة» اهـ.

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ^(٣): «كنت أظن أن المشكلة في العالم الإسلامي هي ابتعادهم عن فهمهم لحقيقة «لا إله إلا الله»، ولكنني مع الزمن صرت أتبين أن هناك مشكلة أخرى في هذا العالم تضاف للمشكلة الأساسية، وهي بعدهم عن التوحيد.

والمشكلة الأخرى: أن أكثرهم لا يتخلقون بأخلاق الإسلام الصحيحة إلا بقدر زهيد...».

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» لقول الله تعالى: ﴿وَلَخِفَضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]:

«بلين جانبك، ولطف خطابك لهم، وتوددك وتحببك إليهم، وحسن خلقك والإحسان التام بهم، وقد فعل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك كما قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فهذه أخلاقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكمل الأخلاق التي يحصل بها من المصالح العظيمة ودفع المضار ما هو مشاهد فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه

(١) للاستزادة في هذا الموضوع: انظر كتاب: «أخلاق العلماء» للأجري رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) شريط «أسئلة من لندن».

(٣) «تفريغ سلسلة فتاوى جده للشيخ الألباني» الإصدار ٢ (١٥ / ٣).

والاقتداء به أن يكون كلاً على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول، فظيعة.

إن رأى منهم معصية أو سوء أدب هجرهم ومقتهم وأبغضهم لا لين عنده ولا أدب لديه ولا توفيق قد حصل من هذه المعاملة من المفاصد وتعطيل المصالح ما حصل ومع ذلك تجده محتقراً لمن اتصف بصفات الرسول الكريم وقد رماه بالنفاق والمداهنة وقد كَمَل نفسه ورفعها وأعجب بعمله فهل هذا إلا من جهله وتزيين الشيطان وخدعه له.

وقد رأى العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ في المنام شيخه العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ، بعد موته بليالٍ، على حال حسنة، فسأله: ما أعظم ما نفعلك عند الله؟ فقال: «نفع الخلق» أو قال: «الإحسان إلى الناس، وكان محباً للأطفال؛ يداعبهم، ويضاحكهم، ويقبلهم، ويأنس بهم، ويطرب لبراءتهم، وفي ذات الوقت يعلمهم من الآداب ما يقتضيه المقام، بعبارة تتسع لها مداركهم». قلت: وهذا من أفضل الأخلاق وأحسنها^(١).



(١) «ثمرات التدوين من مسائل ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ» (ص: ٤١).

(٣٠) العنصرية في بعض الدعاة إما بالحسب، أو النسب، أو البلد، أو

الغنى.

اعلم -رحمني الله وإياك-، أن ميزان التفاضل بين الناس ومقياس الكرامة عند الله تعالى هو التقوى، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

فقد ذكرت هذه الآية ثلاثة أشياء: المساواة في الخلق، وتعارف المجتمع الإنساني، وحصر التفاضل بالتقوى والعمل الصالح.

والمراد بالمساواة بين الناس: المساواة في الأصل والمنشأ، فهم جميعاً من أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ.

أما اختلاف الألسنة والألوان والمواهب والطباع والاستعدادات والغنى والفقر، فهذه الأشياء لا ينبغي أن تكون مدعاةً للتفاخر والتعاضم على الآخرين، فالأكرم عند الله الأتقى والأصلح في نفسه ولأمة المسلمة، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١).

وقد حارب صلى الله عليه وسلم هذه الأخلاق النازلة الدنيئة؛ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظَمَهَا بِأَبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ:

بَرِّتَيْيْ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنٌ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ»، قَالَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

(١) رواه «مسلم» (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾ [الحجرات: ١٣].

والحاصل: أن أساس التفاضل في الإسلام هو تقوى الله تعالى، ولكن من ضعف دينه لا يحكم بميزان الشرع وإنما بالعادات والتقاليد والأعراف والأهواء؛ فالغني منهم يحتقر الفقير، وصاحب النسب يحتقر وضع النسب، والأبيض يحتقر الأسود، والعربي يحتقر العجمي، وهكذا، وإن كان المحقر أفضل منهم علماً وثقياً ودعوةً ونفعاً للأمة في بلاده، لكن هذا ميزان من انحرف من الناس وليس ميزان أهل العلم والتقوى.

قال العلماء: العلم رَحِمَ بين أهله، وَصَلَةُ خير بين أصحابه وَحَمَلَتْه.

وقال بعض العلماء: العوام ينسبون بالأولاد، والأغنياء بالأموال، والعلماء بالعلم^(٢).

فكم من العلماء العظماء من الموالى والأعاجم^(٣)، فقانون العلم والتقوى فوق كل القوانين، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وعن عامر بن واثلة أبي الطفيل، أن نافع بن عبد الحارث، لقي عمر بن الخطاب بِعُسْفَانَ، وكان عمر، استعمله على مكة، فقال عمر: من استخلفت على

(١) صحيح. رواه «الترمذي» (٣٢٧٠) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع»

(٧٨٦٧)، وصححه شيخنا الوادعي في «الصحيح المسند» (٧٨٩)، رحمة الله على الجميع.

(٢) «النكت في المسائل المختلف فيها بين الشافعي وأبي حنيفة» (ص: ٢٨).

(٣) وانظر لمزيد الفائدة: «فتح المغيث» للسخاوي (٤/ ٣٩٣-٣٩٩)، فقد ذكر باباً مستقلاً في هذه

المسألة بعنوان: «الموالى من العلماء والرواة».

أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبنى، قال: ومن ابن أبنى؟ قال: رجل من موالي، قال عمر، فاستخلفت عليهم مولى؟!، قال: إنه قارئ لكتاب الله تعالى، عالم بالفرائض، قاضي، قال عمر، أما إن نبيكم ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ». رواه مسلم وغيره عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١).



(١) «مسلم» (٨١٧)، «أحمد» (٢٣٢)، «ابن ماجه» (٢١٨).

(٣١) الاهتمام بالمظهر أكثر من المخبر خلل في التربية

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وأنعم عليه بالمظهر الجميل، والمخبر السويّ الجليل؛ قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَفَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٨].

واكتمال جمال الإنسان بصلاح المخبر الذي يُبرزُ حسنَ المظهر، ونقاء الجوهر الذي يثمر طيب المنظر.

ولئن كان المظهر هو محلّ اهتمام الخلق ومُنتهى إدراكهم؛ فإن المخبر هو محلّ نظر الله تعالى، فينبغي الاهتمام به أكثر. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ؛ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ؛ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٢).

فينبغي للداعية والمربي أن يهتم بالمخبر أكثر من المظهر فيربي طلابه، وقبل ذلك نفسه على الإخلاص، والورع، والخشية، والخوف من الله، والتواضع، والمراقبة، وجميع أعمال القلوب.

(١) تقدم تخرجه.

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٥٢)، «مسلم» (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**^(١): «اعلم أن الجمال ينقسم قسمين: ظاهر، وباطن، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته كما في الحديث الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»، وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال، فتكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتست روحه من تلك الصفات؛ فإن المؤمن يعطى مهابة وحلاوة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه، ومن خالطه أحبه، وهذا أمرٌ مشهودٌ بالعيان؛ فإنك ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورة وإن كان أسود أو غير جميل، ولا سيما إذا رزق حظاً من صلاة الليل؛ فإنها تنور الوجه وتحسنه.

وقد كان بعض النساء تكثر صلاة الليل، فقليل لها في ذلك، فقالت: إنها تحسن الوجه، وأنا أحب أن يحسن وجهي^(٢).

ومما يدل على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر: أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه اهـ.

قلت: وهذا كلامٌ نفيسٌ قيّمٌ من الإمام ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**؛ فتمعن فيه أيها القارئ لعلك تظفر بالجمال المنشود.



(١) «روضة المحبين» (ص: ٢٢١).

(٢) الأصل في التهجد والعبادة: أن تكون لوجه الله.

(٣٢) الاستدلال بأخطاء العلماء على صحة مذهبه الخاطئ!

العلماء والدعاة ليسوا بمعصومين من الخطأ؛ فكل ابن آدم خطأ، لكن من العيب الكبير أن تجد بعض الدعاة يخطئ في بعض المسائل المنصوص عليها، أو المُجمَع عليها، أو المسائل التي يكون الخلاف فيها ضعيف جداً، فإذا أُخْرِجَ بَحْثٌ عن أخطاء بعض العلماء التي توافقه على خطئه ويستدل بها على صحة قوله، فيقول: إن فلاناً من العلماء قال بهذا القول... وهكذا، فنقول له: أقوال العلماء يُحْتَجُّ لها بالأدلة ولا يُحْتَجُّ بها كالأدلة، ويستدل لها ولا يستدل بها؛ فالعالم دليلٌ إلى الدليل، وليس قوله دليلاً مستقلاً عن الدليل.

فيا عجباً من دعاة تقول لهم: قال الله، قال رسوله ﷺ؛ فيقولون لك: لكن قال فلان وفلان! (١).

(١) فائدة: أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر». (لا أصل له بهذا اللفظ)، والذي صحَّ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هو ما أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣١٢١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٢٣٩-٢٤٠)، والخطيب البغدادي في «الفتاوى والمتفق» أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أراهم سيهلكون، أقول: قال النبي ﷺ، ويقولون: قال أبو بكر وعمر»، صححه العلامة أحمد شاكر في تحقيق «المسند» (٣١٢١).

وجاء بلفظ: «والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله، أحدثكم عن رسول الله ﷺ وتحدثونا عن أبي بكر وعمر»، صححه محققا «زاد المعاد» (٢/٢٠٦) شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط.

انظر كتابي: «إسعاف الأخيار بما اشتهر ولم يصح من الأحاديث والآثار والقصص والأشعار» (٢/٢٦٣).

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «ليس الاختلاف حُجَّة، وبيان السُّنة حجة على المختلفين من الأولين والآخرين».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «وليس لأحد أن يحتج بقول أحد في مسائل النزاع وإنما الحجة: النص والإجماع، ودليل مستنبط من ذلك تقرر مقدماته بالأدلة الشرعية لا بأقوال بعض العلماء؛ فإن أقوال العلماء يحتج لها بالأدلة الشرعية لا يحتج بها على الأدلة الشرعية» اهـ.

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «ولسنا ممن يعرف الحق بالرجال وإنما ممن يعرف الرجال بالحق، ولسنا ممن يعرض الحق على آراء الخلق، فما وافقه منها؛ قبله، وما خالفه؛ رده! وإنما نحن ممن يعرض آراء الرجال وأقوالها على الدليل، فما وافقه منها؛ اعتد به وقبله، وما خالفه؛ خالفه».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤): «أما أن نقعد قاعدةً، ونقول: هذا هو الأصل، ثم تُردُّ السنة لأجل مخالفة تلك القاعدة!؛ فلعمر الله، لهدم ألف قاعدةٍ لم يؤصلها الله ورسوله أفرض علينا من ردِّ حديثٍ واحدٍ» اهـ.



(١) «أعلام الحديث» (٣/ ٢٠٩٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٦/ ٢٠٢).

ولمزيد الفائدة: انظر كتاب «الاحتجاج بالخلاف حقيقته وحكمه» للدكتور أسامة بن محمد الشيبان.

(٣) «الفروسية» (ص: ٤١).

(٤) «إعلام الموقعين» (٢/ ٣٦٨).

(٣٣) ضعف التحاكم للكتاب والسنة عند الخلاف

إن مما يتضمنه الإيذان بالله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وجوب الرجوع عند النزاع إلى الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾: نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله، جليه وخفيه، ولو لم يكن في كتاب الله وسنة رسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه، ولم يكن كافياً لم يأمر بالرد إليه؛ إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع، وقد أجمع الناس أن الرد إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد موته اهـ.

فالواجب على الدعاة قبل غيرهم إذا دبَّ خلافٌ ونزاعٌ بينهم أن يبادروا في سرعة البرق إلى التحاكم إلى كتاب الله وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم قدوة للآخرين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]. فإذا ظهر الحقُّ بأدلته لفلانٍ؛ لزم الآخر قبوله والانصياع والإذعان لحكم الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

(١) «إعلام الموقعين» (١ / ٣٩).

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(١): «فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحدٍ مخالفته، ولا اختيار لأحدٍ هاهنا، ولا رأي ولا قول، كما قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]؛ ولهذا شدد في خلاف ذلك؛ فقال: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال **رَحِمَهُ اللَّهُ** في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]: «أي: عن أمر رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وسبيله، ومنهاجه، وطريقته، وسنته، وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك؛ قبل، وما خالفه؛ فهو مردودٌ على قائله وفاعله كائنًا من كان»^(٢).

وإن تعجب فاعجب، والأعاجب جمّة، من بعض الدعاة إلى الله الذين يدعون القريب والبعيد، والصغير والكبير، والرجل والمرأة، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، إلى التحاكم إلى الكتاب والسنة في خطبهم، ومحاضراتهم، ودروسهم، وكتبهم، فإذا اختلف هو مع بعض الدعاة تجده في حقيقة الأمر من أبعد الناس عن التحاكم للكتاب والسنة في هذه المسألة، وصدق الله القائل: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ^(٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٢٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٨٢).

إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿ [النور: ٤٨-٤٩] . وقال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤] .

فإذا دُعي إلى التحاكم للشرع يحيص ويميص، ويلف ويدور، ويحلف الأيمان المغلظة أن خصمه كذابٌ ومراوغٌ، ولن يقبل بحكم الشرع، ويستمر النزاع والخلاف بينهم ويذهب كلٌّ في طريق، وما رأيت خلافاً بدأ في الدعوة والتأم قط إلا أن يشاء الله، ثم تكون مآلات هذا الخلاف أن يسقط بعضهم -إلا أن يشاء الله- في حل المعاصي والتحزبات والبدع والخرافات وفي أحضان الأحزاب والجماعات الذين يقولون له كما قال ملك غسان لكعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين هجره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَقُّ بِنَا؛ نُوَاسِكَ» ^(١) .

والخلاصة: أن أخطاء الدعاة المختلفين كثيرة، منها:

١- لم يجلسوا مع بعضهم البعض، ويناقشوا المسائل المختلف فيها بروح الأخوة، ويردّوا المسائل المختلف فيها بكل تجرّد للكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

٢- لم يحتكموا لكبار الدعاة في بلادهم، ويرضوا بحكمهم ويكون فيصلاً للنزاع وإطفاءً للفتنة، وللأسف أنك تجد العامة تحتكم للدعاة في مسائل كبيرة، ويرضون بحكمهم، ويسلمون تسليماً، وبعض الدعاة للأسف لم يفعلوا كما فعل العامة، فكلٌّ يرى نفسه أكبر من الآخر، والله يقول لنبية داود عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ ﴾ [ص: ٢٦] .

(١) متفق عليه: «البخاري» (٤٤١٨)، «مسلم» (٢٧٦٩).

٣- لم يردوا المسائل التي اختلفوا فيها إلى الراسخين في علوم الشريعة من أهل السنة في بلدهم، فإن لم يتيسر ذلك: يرفعوا قضيتهم إلى أكبر عالم سنة على وجه الأرض ثم يقبلوا بحكمه، وهذا سهل وميسر في هذا الزمان والله الحمد.

٤- في بعض الأحيان يحل مشاكل الدعاة والمعلمين والخطباء والناصحين بعض الوجهاء أو مشايخ القبائل، وقد كانوا في غنى عن هذا لو قبلوا الإصلاح من قبل أهل العلم.

٥- في بعض الأحيان تصل مشاكل الدعاة إلى أقسام الشرطة وتحل هناك!.

٦- قد تصل بعض مشاكل الدعاة أحيانا إلى المحاكم والقضاء، ويشمت بنا الأعداء في كل ما تقدم؛ لأنهم لم يستجيبوا لصوت الحق ونداء السماء، وهما الوحيان: الكتاب والسنة؛ فانفرط العقد عليهم.

٧- بعض الدعاة يدعو خصمه للمباهلة على مسائل خلافية فرعية، والمباهلة لا تكون إلا في مسائل العقيدة، أو القضايا المعلومة علما عاما بين المسلمين فرضيتها أو تحريمها، وتستعمل في أضيق الأحوال وليس في كل حال^(١).

(١) هذا هو الراجح من أقوال أهل العلم أن المباهلة تكون في القضايا المتعلقة بالعقيدة خاصة، أو المسائل الهامة جدًّا، كالخصام مع الملحدين والكفرة والمبطلين، ولا تكون في النزاعات المالية أو العلمية؛ لأن المباهلة تتضمن اللعن والإبعاد والطرده من رحمة الله عز وجل، ولا ينبغي أن يقع ذلك من مسلمين بسبب خلاف مالي أو نحوه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فوائد قصة أهل نجران: «وفيها: مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة، وقد دعا ابن عباس إلى ذلك، ثم الأوزاعي، ووقع ذلك لجماعة من العلماء». «فتح الباري» (٨/ ٩٥).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «لا يجوز سحب هذه الواقعة (المباهلة) أو هذا الحكم الشرعي إلى =

وأخيراً: أجدني أصرخ صرخةً مُلحةً من أعماق قلبي إلى إيجاد علماء عقلاء حكماء منصفين يقومون بدور الوساطة بين المختلفين والمتخاصمين من دعاة الحق والتوحيد والسنة في أنحاء العالم، ويتولى ذلك في كل بلد أناس على درجة عالية من الوعي والفهم والإدراك والحكمة والخبرة والعلم والحلم والدين، يعتمدون مع المختلفين لغة الحوار والإقناع والتعقل، كل ذلك مدعوماً بلغة العلم والدليل، ويكون هدفهم تقديم مصلحة الدعوة على مصلحة الداعية، ورأب الصدع، وتصفية النفوس بين الدعاة والعلماء، وترتيب البيت السلفي وترميمه.

وصدّق العلامة محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللهُ^(١)، حيث قال: «لو رزق الله إخواننا هؤلاء عقولاً تزن الأمور بعواقبها، وإخلاصاً يذيب الحسد، ويذهب بالأنانية؛ لعلّموا أن الخير كل الخير في الاجتماع، وأنّ القوة كلّ القوة في الاتحاد، وأنّ الخروج على الجماعة؛ أهلك من قبلنا، وهم في نهاية القوة؛ فكيف لا يهلكنا، ونحن في نهاية الضعف؟».

وقال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «والاجتماع الذي

الأمر المادية لسبيين اثنين:

أولاً: لأنّ القصة جاءت في الأمور العقديّة كما يقولون اليوم.

وثانياً: الأمور المادية جعل لها الإسلام نظاماً وقاعدة؛ فقال: «البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر»، فتحل هذه القضية المادية بهذه القاعدة الشرعية، فلم يبق هناك مجال للجوء إلى المبالغة التي شرعها الله اهـ. «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (٧٠٣).

وقريب من تفصيل الشيخ الألباني، قال الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله على الجميع.

(١) «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللهُ» (٣ / ٢٧٦).

(٢) «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ» (١٢ / ١٦٩).

فيه نقص كبير خير من الافتراق الذي يظن فيه خير كثير».

فيا معشر السلفيين الغرباء في العالم، اعتدلوا، وسووا صفوفكم، وتراصوا، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، وسدوا الخلل، ولا تذروا فرجات للشيطان، ومن وصل صفاً وصله الله، ومن قطع صفاً قطعه الله **عَزَّوَجَلَّ**، ولينوا في أيدي إخوانكم، وليل أمركم أولوا الأحلام والنهي.

يا عقلاء الدعوة السلفية، أما علمتم أن غالب المصالح الدينية والدنيوية لا تتم إلا بالتوافق لا بالتفارق والشقاق والترشق، وبالتطوع لا بالتنازع، وبالتراحم لا بالتراحم، وبالتفاهم لا بالتخاصم، وبالتآخي لا بالتلاحي، وبالتقارب لا بالتباعد، وبالتكامل لا بالتآكل؛ فإنه متى حصل الاختلاف بين أهل الحق فات كل خير، وحل كل شر، وصدق الله القائل: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفَسُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].



الفصل الثاني:

ضعف العلم عند الداعية يسبب زغلاً كثيراً في

الدعوة

الفصل الثاني: ضعف العلم عند الداعية يسبب زغلاً كثيراً في الدعوة

**(٣٤) قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: أنصاف المتعلمين هم منشأ الشر والفتن في
الدعوة**

إن الناظر في الخلافات والصراعات الدعوية يجد أكثر من يشعلها: بعض طلاب العلم، كما ذكر ذلك الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ في «البدر الطالع»^(١)، حيث قال رَحِمَهُ اللهُ في ترجمة علي بن قاسم حنش: «ومن محاسن كلامه الذي سمعته منه: الناس على طبقات ثلاث:

فالطبقة العالية: العلماء الأكابر، وهم يعرفون الحق والباطل، وإن اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم الفتن؛ لعلمهم بما عند بعضهم بعضاً.

والطبقة السافلة: عامة على الفطرة، لا ينفرون عن الحق، وهم أتباع من يقتدون به، إن كان محققاً كانوا مثله، وإن كان مبطلاً كانوا كذلك.

والطبقة المتوسطة: هي منشأ الشر، وأصل الفتن الناشئة في الدين، وهم الذين لم يمعنوا في العلم حتى يرتقوا إلى رتبة الطبقة الأولى، ولا تركوه حتى يكونوا من أهل الطبقة السافلة؛ فإنهم إذا رأوا أحداً من أهل الطبقة العليا يقول ما لا يعرفونه مما يخالف عقائدهم التي أوقعهم فيها القصور فَوَقَّوْا إليه سهام

(١) «البدر الطالع» ترجمة علي بن قاسم حنش (١/٤٧٣).

التقريع، ونسبوه إلى كل قولٍ شنيع، وغيروا فطر أهل الطبقة السفلى عن قبول الحق بتمويهات باطلة، فعند ذلك تقوم الفتن الدينية على ساق» اهـ.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ^(١): «أفضل الأشياء: التزيد من العلم؛ فإنه من اقتصر على ما يعلمه، فظنه كافياً؛ استبد برأيه» اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «وقد قيل: إنما يفسد الناس أربعة: - وذكر منهم -: نصف فقيه» اهـ.

وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ^(٣): «احذر أن تكون «أبا شبر»، فقد قيل: العلم ثلاثة أشبار، من دخل في الشبر الأول تكبر، ومن دخل في الشبر الثاني تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث علم أنه ما يعلم» اهـ.

وقال العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللهُ^(٤): «ينبغي لنا جميعاً ألا نمكّن الفوضويين من الدعوة؛ فإنهم سيحطمون الجماعة وستذكرون».

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ^(٥): «أنصح القائمين على الدعوة ألا يتسرعوا وألا يستفزههم الطائشون، فالطائشون سببٌ لضرب الدعوات» اهـ.

(١) «صيد الخاطر» (ص: ١٢٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١٨ / ٥)، «الرد على البكري» (٧٣٠ / ٢).

ولمزيد الفائدة: ينظر: «الاعتصام» للشاطبي (٧-٦ / ٢) عند قوله تعالى: ﴿فَالْمَا أَلْزَيْنَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْعٌ﴾ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ﴿[آل عمران: ٧٠].

(٣) «حلية طالب العلم» (ص: ١٩٨)، وينظر: «تذكرة السامع والمتكلم» (ص: ٦٥).

(٤) «السير الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» (ص: ٤٣٨).

(٥) «غارة الأشرطة» (١ / ٣٠٥).

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ^(١): «ولكن بعض طلبة العلم رضي بما عنده من العلم وأصبح يجادل به من يخالفه، وهذا سببٌ من أسباب الفرقة والاختلاف...».

قلت: لكن لا ينسحب ويعمم كلام العلماء على جميع طلاب العلم في أصقاع^(٢) المعمورة، فهناك كوكبةٌ كبيرةٌ من الدعاة وطلاب العلم، أهل عقلٍ وحِلْمٍ وأدبٍ ودينٍ، وهم سفراء العلماء الذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون؛ فهؤلاء لهم كل التقدير والإجلال والاحترام.



(١) «كتاب الترجمة» له رَحِمَهُ اللهُ (ص: ٢٠١).

(٢) قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ في «لسان العرب»: «كل ما يذكر في ترجمة (صقع) بالصاد فالسين فيه لغة. قال الخليل: كل صاد تحيء قبل القاف، وكل سين تحيء قبل القاف، فللعرب فيه لغتان» اهـ

(٣٥) عدم توفر بعض شروط الدعوة في الداعية يسبب خللاً في الدعوة

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ^(١): «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث:

- ١ - رفيقٌ بما يأمر، رفيقٌ بما ينهى،
- ٢ - عدلٌ بما يأمر، عدلٌ بما ينهى،
- ٣ - عالمٌ بما يأمر، عالمٌ بما ينهى» اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «لابد من ثلاثة: العلم، والرفق، والصبر، العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده». ولا شك أن الأصل في الدعوة هو الرفق، والأدلة على ذلك كثيرة متكاثرة، وكذلك العدل في الدعوة إلى الله واجبٌ من الواجبات، ولا تتحقق هذه الأمور إلا بالعلم؛ لذلك لا ينبغي للداعية أن يبادر إلى إنكار ما يراه منكراً حسب علمه القاصر حتى يتحقق من عدم وجود الخلاف السائغ والمعتبر فيه، وحتى لا يحصل ظلمٌ وجورٌ وعدم عدل، هذا هو الأصل، لا سيما في المسائل التي قد يحصل بسببها خلافٌ وشر.

والمنكرات قسمان:

القسم الأول: المنكرات الظاهرة التي يعلمها العالم والجاهل، والخاص

(١) صحيح. رواه: أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٧٩)، وذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٥٦)، والسَّفَّارِينِيّ في «لوامع الأنوار» (٢/ ٤٢٩-٤٣٠).
(٢) «الاستقامة» (٢/ ٢٣٣).

والعام، كترك الصلاة، والصيام، والزكاة، ومثل ارتكاب الكذب، والظلم، والغش، والخيانة، والزنا، وشرب الخمر، وأكل حقوق الناس؛ فهذه المنكرات ينبغي لكل مسلم أن ينكرها بالأساليب المرعية والطرق الشرعية، فكل الناس علماء بها، وإن تفاوت علمهم بها.

القسم الثاني: المنكرات التي في حكمها شيءٌ من الخفاء، أو اختلف فيها العلماء المجتهدون؛ فهذه المنكرات لا يتكلم فيها إلا العلماء، ومن عرف حكمها جيداً ممن تضرع بالعلم الشرعي، بالأساليب المرعية والطرق الشرعية كما تقدم في القسم الأول.

قال النووي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ^(١): «إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة، كالصلاة، والصيام، والزنا، والخمر، ونحوها، فكل المسلمين علماء بها. وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، ومما يتعلق بالاجتهاد، لم يكن للعوام مدخلٌ فيه، ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء.

ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه؛ فلا إنكار فيه» اهـ. وليس من الحكمة أن يتعجل الداعية في الإنكار لمجرد قول عالمٍ سمعه أو قرأ له فتوى قبل هضم المسألة والإحاطة بها علماً؛ فقد يكون في المسألة خلافٌ بين العلماء، وهناك أدلةٌ أخرى لا يعلمها، وقد يكون الصواب هو القول الآخر الذي لا يعلمه الداعية الآن.

(١) «شرح مسلم» (٢/ ٢٣).

والله عَزَّجَلَّ يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «إذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى أقصى حد يصل إليه السعي». وإذا لم يلتزم الداعية بهذا وتكلم فيما لا يعلمه؛ فإنه سيفسد، وهو يظن أنه من المصلحين، ويتسبب في نزاعاتٍ وخصوماتٍ بين المسلمين؛ ولذلك قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «من عمل بغير علم؛ كان ما يفسد أكثر مما يصلح» اهـ. وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «طلبنا هذا الأمر ونظرنا فلم نجد أحداً عمل عملاً بغير علمٍ إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح».



(١) «مفتاح دار السعادة» (١ / ١٥٤).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص: ٢٤٤)، وفيه انقطاع، ومعناه صحيح.

(٣) حسن. أخرجه أحمد في «الزهد» (ص: ٣٨٧).

(٣٦) عدم الحكمة في الدعوة إلى الله

قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «الحكمة: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي».

زاد ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «والمكان الذي ينبغي».

ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أَيضًا: «والله تعالى أورث الحكمة آدم وبنيه، فالرجل الكامل من له إرثٌ كاملٌ من أبيه، ونصف الرجل -كالمرأة- له نصف ميراث، والتفاوت في ذلك لا يحصيه إلا الله تعالى، فكل نظام الوجود مرتبطٌ بهذه الصفة؛ أي: صفة الحكمة، وكل خللٍ في الوجود وفي العبد فسببه الإخلال بها، فأكمل الناس أوفرهم نصيبًا، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراثًا، ولها ثلاثة أركان: العلم، والحلم، والأناة، وآفاتُها وأضدادُها: الجهل، والطيش، والعجلة؛ فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عجول، والله أعلم» اهـ.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ أي: كل أحدٍ على حسب حاله وفهمه وقوله

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٤٩).

(٢) «فتاوى نور على الدرب» (١٢/ ٢٢٤ و ٢٢٧ و ٢٣٨)، «شرح العقيدة السفارينية» (ص: ٨١)،

«اللقاء الشهري» رقم (٤٠).

(٣) «تفسير السعدي» (ص: ٤٥٢).

وقبوله^(١).

ومن الحكمة: الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين؛ فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب» اهـ.

فالداعي إلى الله كقائد السفينة الحكيم؛ قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَلَكِتَبَ وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، والرباني: مأخوذ من ربان السفينة، وهو القائد الحكيم الخبير الذي يقود السفينة في خضم الأمواج المتلاطمة والرياح العاصفة والأخطار المتلاحقة والمحدقة بالسفينة فيخرج بها بإذن الله إلى بر الأمان؛ فينجو هو والسفينة والركاب والبضائع المحملة وأموال الناس، والفضل في هذا لله ثم بحكمته وخبرته، والله عَزَّجَلَّ يريد من الداعية أن يكون هكذا^(٢).

قال الشيخ ربيع المدخلي رَحِمَهُ اللهُ^(٣): «السلفية تحتاج إلى عقلاء، تحتاج إلى رحماء، تحتاج إلى حكماء، تحتاج قبل ذلك إلى علماء، فإذا كانت هذه الأمور ليست موجودة في السلفيين، فأين تكون السلفية؟ تضيع! -بارك الله فيكم».

(١) وفي نسخة: «وانقياده».

(٢) يفسر البعض الرباني؛ فيقول: هو الذي يُعَلِّم صغار العلم قبل كبارهم. وهذا التفسير صحيح لكنه يدخل في التفسير العام الذي ذكرناه، وهناك تفسير آخر للرباني، وهو العالم الذي جمع بين العلم والعمل، وهناك أقوال أخرى، انظرها في «مفتاح دار السعادة» لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (١/ ١٢٥ - ١٢٦).

(٣) «مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ ربيع المدخلي رَحِمَهُ اللهُ» (١٤ / ٩٠).

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ^(١): «الآن، الهرج كثيرٌ، والكلام كثيرٌ، والقال والقليل كثيرٌ، وذلك مما يُقسي القلوب، وفَقْنَا الله وإياكم للإيمان الصادق، والعمل الصالح.

وأوصيكم -يا إخوانه-: بالتأخي فيما بينكم، والبعد عن أسباب الشقاق والخلافات، لا تُثر أنت مسألةً تؤدي إلى الخلاف، وأنت لا يجرك الشيطان بمجرد أن يخطئ أخوك يجرك إلى الخلاف والخصومة، تعلّموا الصبر، تعلموا الحكمة، أنتم الآن في هذا الوقت بأشد الحاجة إلى: الحلم، والصبر، والحكمة، واللطف.

لا نقول: اسكت وجامل وداهن، انصح، واصبر، واحلم، لوجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والله ستستقيم أموركم يا أبناءنا، وتتلاحمون وتتآخون فيما بينكم. أنا أوصيكم -يا إخوة:

بتقوى الله ومراقبته، والتأخي والتعاون على البر والتقوى، والبعد عن أسباب الفتن وأسباب الخلافات».



(١) «الذريعة إلى بيان مقاصد كتاب الشريعة» (٢/ ٥٧٦).

(٣٧) ضعف الخبرة والبصيرة في الدعوة إلى الله

قلة خبرة بعض الدعاة وضعف بصيرتهم في الدعوة سببت أخطاءً فادحةً في الدعوة؛ لذلك لا بد للداعية من البصيرة في الدعوة.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «على بصيرةٍ في ثلاثة أمور:

الأول: على بصيرةٍ فيما يدعو إليه، بأن يكون عالماً بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه؛ لأنه قد يدعو إلى شيءٍ يظنه واجباً، وهو في شرع الله غير واجب؛ فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به، وقد يدعو إلى ترك شيءٍ يظنه محرماً، وهو في دين الله غير محرّم؛ فيحرّم على عباد الله ما أحلّه الله لهم.

الثاني: على بصيرةٍ في حال المدعو، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فُتْرَدُ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا؛ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»^(٢).

الثالث: على بصيرةٍ في كيفية الدّعوة» اهـ.

(١) «شرح دعاء قنوت الوتر» (ص: ٦)، «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (١٤ / ١٥١)، كتاب

«العلم» (ص: ١٦٩)، «شرح الثلاثة الأصول» (ص: ٢٢)، «زاد الداعية إلى الله» (ص: ١٢).

(٢) متفق عليه: «البخاري» (١٤٥٨)، «مسلم» (١٩).

أي: بصيرة بوسائل الدعوة وكيفيةها.

فمن البصيرة: مراعاة حال المدعوين، إذ ليس من الحكمة استخدام أسلوب واحد في الدعوة مع الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والمتعلم والجاهل، والرئيس والمرؤوس، والهادئ والغضوب، بل لا بد من تنويع أسلوب المخاطبة كلُّ بما يناسبه ويرجى نفعه وإفادته به.

إن الداعية الناجح هو الذي يعطي كل إنسانٍ ما يقدر عليه من نصائح وما يحتاج إليه من أفكارٍ سليمةٍ وتوجيهاتٍ كريمةٍ، ويحاول أن يقنعه بالأسلوب الذي يناسبه، ويناسب مداركه وثقافته ومكانته.

ومن الأمور التي قد تخفى على بعض الدعاة:

أن الداعية قد يتعلم العلم الشرعي وأسلوب الدعوة في بلدٍ ما فيتأثر به ثم ينقل ذلك الأسلوب الدعوي من تلك البلاد إلى بلاده، وقد تكون بلاده لا يناسبها هذا الأسلوب مطلقاً، بل تحتاج إلى أسلوبٍ آخر لا يخالف الشرع؛ فلكل بلدٍ أسلوبه الدعوي؛ فالواجب عليه أن ينقل الحق الذي تعلمه بالأسلوب المناسب لبلاده^(١).



(١) هناك كلامٌ للشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله - يؤيد ما ذكرته، وهي صوتية بعنوان: «طريقة الدعوة إلى الله».

(٣٨) عدم التدرج في الدعوة، وعدم تقديم الأولويات

إن التدرج في الدعوة إلى الله منهج الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ويعتبر من أهم المراحل التي تيسر قبول دين الإسلام، وتحمل تكاليفه، وتطبيقه في الواقع بيسر وسهولة.

ومعنى التدرج في الدعوة إلى الله: التقدم خطوة خطوة، والبَدْء بالأهم فالمهم؛ للترقي بالناس المدعوين إلى أعلى المراتب، فكما يقال: من أراد الوصول إلى السطح فليصعد من الدرجة الأولى والدور الأول، ويواصل صعوده حتى يصل. وكما يقال: طعام الكبار سَمُّ الصغار؛ فالطفل طعامه اللبن، فإذا أكل اللحم وهو طعام الكبار قد يموت.

ومن معاني الرباني في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيَ يَمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، الرباني: هو الذي يعلم صغار العلم قبل كبارهم^(١).

ومن أهم دعائم التدرُّج: هو علم هذه الأولويات، حتى يتسنى للداعية أن يعلم من أين يبدأ، وما هو الشيء الذي يجب أن يبدأ به قبل غيره، فلا يكفي أن يكون الداعية عالماً بأحكام الدين، حافظاً لها، بل يحتاج كذلك إلى أن يكون ملماً قَدْر الإمكان بواقع المجتمع الذي يعيش فيه، فيتعرف على ما فيه من طبائع

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي «زاد المعاد» (٣/ ١٠): «إن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويعلمه، فمن علم، وعمل، وعلم؛ فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات».

وصفات ويدرسها، ويمعن النظر فيها، ثم يشخص ما فيه من علل وأمراض، حتى يتمكن من علاجها؛ فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، و«مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهَلَهُ مَنْ جَهَلَهُ»^(١).

ومن الأحاديث الدالة على التدرج في الدعوة: ما قاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَرُدَّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا؛ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»^(٢).

فهذا الحديث يعتبر أصلاً أصيلاً، ومنهجاً قوياً في التدرج في الدعوة إلى الله، وتقديم الأولويات، لكن وللأسف تجد بعض من قلَّ علمه وعقله يحذّر المسلم الجديد حديث العهد بالإسلام في بلاد الكفر من فلانٍ وعلان الذي ربما لا يعرفه بعض خواص المسلمين ومن عاش في بلاد الإسلام، فتجده يحذّره منه ويجلب عليه بخيله ورجله!، وربما يهجره ويزجره!، أو يمتحنه بآخر فتنة حصلت في الدعوة وما موقفه منها؟!، فأين فقه الأولويات، كتعليم التوحيد وأصول الإيمان، وأركان الإسلام، ومحاسن الإسلام!؟.

(١) صحيح. رواه «أحمد» (٣٩٢٢)، «الحاكم» (٧٤٢٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٩٥٦٠)

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأصله في الصحيحين، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٥١)، رحمة الله على الجميع.

(٢) تقدم تخريجه.

نعم، لا بأس أن يُدَلَّ حديث العهد بالإسلام على أهل السنة والجماعة، ويُعرَّف بأكبر علمائها ورموزها، والنهر الذي ينهل منه، أما الدخول به في بنايات الطريق وفي هذه الأنفاق المظلمة، وهو ليس معه النور الكافي، فأخشى أن ينطفئ نوره بالكلية، وتكون أنت سبب هذه الضحية.

قال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «اعلم أن تقديم الأصلح فالأصلح، ودرء الأفسد فالأفسد، مركزُ في طبائع العباد نظرًا لهم من رب الأرباب... ولا يقدم الصالح على الأصلح إلا جاهل بفضل الأصلح، أو شقي متجاهل لا ينظر إلى ما بين المرتبتين من التفاوت» اهـ.

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «لا ريب أن المرشدين هم أطباء المجتمع، ومن شأن الطبيب: أن يهتم بمعرفة الأدوية ثم يعمل على علاجها بادئًا بالأهم فالأهم، وهذه طريقة أنصح الأطباء، وأعلمهم بالله، وأقومهم بحقه وحق عبادته، سيد ولد آدم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم؛ فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعثه الله بدأ بالنهي عن أعظم أدواء المجتمع، وهو الشرك بالله سبحانه، فلم يزل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حين بعثه الله يحذر الأمة من الشرك ويدعوهم إلى التوحيد إلى أن مضى عليه عشر سنين، ثم أمر بالصلاة، ثم ببقية الشرائع، وهكذا الدعاة بعده: عليهم أن يسلكوا سبيله، وأن يقتفوا أثره، بادئين بالأهم فالأهم.

ولكن إذا كان المجتمع مسلمًا ساغ للداعي أن يدعو إلى الأهم وغيره، بل يجب عليه ذلك حسب طاقته؛ لأن المطلوب إصلاح المجتمع المسلم، وبذل الوسع

(١) «قواعد الأحكام» (١/ ٤-٥).

(٢) «مجموع فتاوى ابن باز» (١/ ٣٢١-٣٢٢).

في تطهير عقيدته من شوائب الشرك ووسائله، وتطهير أخلاقه مما يضر المجتمع ويضعف إيمانه، ولا مانع من بداءته بعض الأوقات بغير الأهم، إذا لم يتيسر الكلام في الأهم، ولا مانع أيضاً من اشتغاله بالأهم وإعراضه عن غير الأهم، إذا رأى المصلحة في ذلك، وخاف إن هو اشتغل بهما جميعاً أن يخفق فيهما جميعاً» اهـ.

وقال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ^(١): «أهل السنة ينكرون كل مُنكر يوجد على ظهر الأرض، ويقدمون الأهم فالأهم، فهم ينكرون التمسح بأتربة الموتى، وهم ينكرون تشييد القباب، وهم ينكرون الضرائب والجمارك التي أنهكت المسلمين، وهم ينكرون التبرج والسفور، وهم ينكرون أيضاً الاختلاط في الجامعة» اهـ.



(١) «إجابة السائل» (ص: ٢١).

(٣٩) عدم الاهتمام بقضايا المجتمع الكبرى والاهتمام بقضايا

هامشية

من الأخطاء الشائعة والزلات الذائعة في الدعوة إلى الله:
عدم الاهتمام بقضايا المجتمع الكبرى والاهتمام بقضايا هامشية ومسائل
جانبيهة.

فليس من الحكمة أبداً أن يكون المجتمع من حولك يعج بالشرك بجميع
صوره وأشكاله وأصنافه وألوانه كالذبح للقبور والنذر لها والطواف حولها
والتمسح بها ودعائها من دون الله، وذبح التوحيد على عتبات المشعوذين، وبناء
القباب والمشاهد على الأضرحة والقبور، وهكذا انتشار السحر والشعوذة،
والحروز، والتمايم، وغير ذلك من أنواع الشرك وصنوفه وأشكاله وألوانه، التي
شَرَّقت وغَرَّبت وعمَّت وطمَّت بلاد المسلمين، وبعض من ينتسب إلى دعوة
التوحيد والسنة مشغولٌ ببنيات الطريق: اهجروا فلاناً، وحذروا من فلانٍ من
إخوانه ورفقاء دربه، فترك ما هو واجبٌ عليه من الدعوة إلى التوحيد والتحذير
من الشرك، بجميع الوسائل المشروعة ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاًراً.

وليس من الحكمة أبداً أن تكون البدعة بجميع صورها وأشكالها وأصنافها
وألوانها منتشرة في مجتمعك، وأحاطت بك من كل مكان إحاطة السوار بالمعصم،
كبدع التشيع، وبدع التصوف والخرافات، وبدع الخوارج، وغير ذلك من البدع
التي لا تُحصى عدداً.

والبعض ممن ينتسب إلى العلم، وإلى دعوة التوحيد والسنة، لم يرفع لذلك

رأساً، ولم يشغل نفسه بالرد عليهم، ودحض شبههم، وكشف عوارهم بكل وسيلة شرعية، وإنما وجه سهامه وشغل وقته بالرد على إخوانه ورفقاء دربه من طلاب العلم والدعاة إلى الله، من أهل التوحيد والسنة.

وليس من الحكمة أبداً أن تتفشى المعاصي والكبائر في البلاد كالربا والزنا، وشرب الخمر، والمخدرات، والعقوق، وقطع الطريق، وغيرها من الموبقات والمهلكات التي أصبحت كالسيل الجرار المتدفق؛ فجرف أناساً وغرق فيه آخرون، وبعض من ينتسب إلى العلم وإلى دعوة التوحيد والسنة لم يلتفت لهذا، وإنما متكئ على أريكته، مشغول بالتحذير عبر الواتساب، والفيسبوك، وتويتر، والمقاطع الصوتية، وشبكات الانترنت، بهجر بعض إخوانه من أهل السنة والتوحيد، وربما يكون هذا الأخ المتكلم فيه والمحذر منه في بلاد الكفر ينشر التوحيد والسنة، والمحذر في رغدٍ من العيش وفي أمنٍ وأمانٍ يحذر منه بغير دليل ولا برهان.

وليس من الحكمة أبداً أن تُحاك المؤامرات الكبرى على الإسلام والمسلمين من الدول الكافرة كاليهود، والنصارى، والمشركين، والملاحدة، ومن الليبراليين، والعلمانيين الذين يمكرون بالإسلام مكرًا كَبَّارًا، مكر الليل والنهار، فجمعوا كيدهم وأتوا صفًا واحدًا؛ فاجتمع من الداخل اثنان وسبعون معسكرًا من معسكرات أهل البدع والأهواء مع غيرهم من دول الكفر في الخارج، كلهم وجه سلاحه الفتاك لضرب معسكر التوحيد والسنة.

وللأسف فإن بعض دعاة التوحيد والسنة قد اشتغل بعضهم ببعض بسبب قضايا جانبية هامشية؛ فاختلف جنود هذا المعسكر المبارك، أصحاب العقيدة

الصحيحة والمنهج المستقيم نتيجة لاختلاف قاداتهم (علمائهم)، وكانت النتيجة أنهم لم يوجهوا أسلحتهم القوية التي لا تُصد ولا تُرد، إلى معسكرات أهل الكفر والإلحاد، ومعسكرات أهل البدع والأهواء، وفساق الشهوات والشبهات، وإنما وجهوا أسلحتهم إلى نحور بعضهم بعضًا!

فقل لي بربك: متى يكون النصر؟!، والله يقول: ﴿إِنْ تَصْرُوهَا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ﴾

[محمد: ٧].

ومن أروع الأمثلة في التعاون بين العلماء الربانيين حتى لو كان بينهم خلاف أو تهاجر عندما يراد الدفاع عن بيضة الإسلام ودحر أهل البدع والأهواء، وترك القضايا الجانية:

ما يُروى أنه كان بين القاضي ابن عبدون وأبي عثمان سعيد ابن الحداد تهاجرًا، واضطرًا يومًا من الأيام إلى مناظرة أحد أهل البدع.

فقال ابن عبدون: تقدم يا أبا عثمان، فلم يجبه!

فقال: تقدم يا أبا عثمان فليس هذا وقت مهاجرة، فلسانك سيف الله، وصدرك خزانة الله^(١)، فتقدم ابن الحداد لمناظرة المبتدع؛ فبُهِت الذي ابتدع، وانقلب هذان العالمان بنعمة من الله وفضل.

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ^(٢): إذا اجتمع أعداء الإسلام على المسلمين،

(١) «رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية» (٢ / ٧٥).

(٢) ينظر: «سلسلة الهدى والنور» (شريط رقم: ٦٦٦)، وله كلامٌ قريبٌ مما أثبتته متفرقًا في «سلسلة الهدى والنور»، منها: مقطع صوتي، بعنوان: «الحرب بين الإسلام والعلمانية، والتفصيل في حال الجماعات الإسلامية».

وكانت لهم حملة شعواء على الإسلام والمسلمين أو على بعضهم؛ فليس من الحكمة التحذير من بعض المسلمين المخالفين لنا في هذا الوقت خاصة، أو كما قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

قلت: فما بالك بالتحذير ممن هو معك في العقيدة والمنهج، ومحارب معك من جميع الجهات، ولكنه اختلف معك في بعض المسائل الجزئية التي يسوغ فيها الخلاف، اللهم فقهنا في الدين.
فيا إخواني في الله:

- الاختلاف يشغل الناس بعضهم ببعض.
- ويصرف الدعوة السلفية عن تحقيق أهدافها العظمى وغاياتها الكبرى التي حملنا الله إياها:
- ✓ من تبليغ الرسالة والدعوة إلى التوحيد والسنة.
- ✓ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ✓ ونشر الدين الصافي في بقاع الأرض.
- ✓ والتصدي لمكايد الأعداء الذين يحاربون الإسلام والسنة من الداخل والخارج.

ولا يخفى عليكم أن الفتوحات الإسلامية والانتصارات توقفت في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، بسبب الانشغال بقتال معاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في الشام والخوراج في العراق، فلم يتفرغ علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** لتوسعة الدولة الإسلامية، ونشر الإسلام في هذه الفترة بسبب هذا العارض الذي حدث في زمنه من انشغال المسلمين بعضهم ببعض، فرضي الله عنهم جميعاً.

ولله در الشاعر الغيور طاهر الحسني حفظه الله^(١)، حين قال في قصيدة له بعنوان: «كفى خلافات».

يا عصابة الحق يا أهل المروءات
ناشدتكم أغمدوا أسيافكم كرمًا
دعوا الخلافات لا كانت؛ فإن لها
ما في الخلافات من خير ولا رشد
أخ يعادي ويطفئ في العداة أخا
وذا يسفه هذا دون ما حُجج
فيم الخلاف ونهج الحق يجمعكم
فيم الخلاف وما منكم ذووا بدع
فيم الخلاف وأنتم أمة وسط
حتى ولو زل منكم أو هفا أحد
فلا تصبوا عليه سوط أحرفكم
ولا إلى الشر تلقوه بحدتكم
لكلكم هفوة لا شك أو زلل
لا بأس بالنصح في رفق يزينه
والحق ليس بمحصور على أحد
الحق في سنة المختار شمس ضحى
ترفقوا يا بني قومي ببعضكم
صرنا جزيئات في الدنيا مجزأة
لا تفسدوا اليوم ما أصلحتموه ولا
رصوا الصفوف على الأعداء واتحدوا

ناشدتكم أطفئوا نار الخلافات
وضمدوا بالإخا كل الجراحات
وقع السيوف على جيد وهامات
مادام منشؤها الاثبات للذات
بغير جرم سوى محض اتهامات
وذاك يجرح هذا دون إثباتات
وتهتدون بأثار وآيات
ضلوا السبيل وتاهوا في المتاهات
لها المنيران من بين الجماعات
وجانب الحق في بعض المسارات
وتنزلوا فيه أنواع العقوبات
ولا تزيده بعدًا بالقساوات
ومن من الناس لم يخلق بزلات
ما أجمل النصح في لطف العبارات
وليس حكرًا على بعض الشعارات
وفي هدى الله خلاق السموات
فإنكم قلّة بين البريات
فهل تريدون تجزيء الجزيئات
تهدموا ما بنيتم بالعداوات
إن التوحد سر الانتصارات

(١) أحد شعراء الدعوة السلفية في اليمن، محافظة إب.

دعوا التنازع فيما بينكم فمتى
كفى صراعاتٍ يا قومي فما عكفت
سهام أعدائنا تدمي جوانبنا
قد أجمعوا كيدهم ضد الهدى علناً
هم يفرحون إذا ثارت عداوتنا
هم يعبثون بنا في كل ناحية
بالمكر من كل صوبٍ يحدقون بنا
أتتقي أسهم الأعداء أدرعنا
هذي النداءات بالأشعار أطلقها
سأرفع الصوت مبوحاً لأجمعكم
أسعى لإصلاح ذات البين مجتهداً
فإن فرقة أهل الحق تجرحني

يحقق النصر غرقى في النزاعات؟
فينا المذلة إلا بالصراعات
يرموننا من جميع الاتجاهات
وقربوا بينهم كل المسافات
ويبذرون بذور الاختلافات
ونحن ننفخ نيران الشقاقات
ونحن نفرق في بحر الجدالات
أم ضرب إخوتنا بالمشرفيات
فهل ستوقظكم يوماً نداءاتي؟
عسى تلم شتات الشمل أصواتي
لا أبتغي غير رأب الانصداعات
وتستزيد وأيم الله أهاتي



(٤٠) عدم تفريق بعض الدعاة بين جهاد الدعوة وجهاد السيف

إن بعض الشباب المتحمس في الدعوة إلى الله يخطب خطب عشواء في الدعوة، كعمياء تخضب مجنونة^(١)، فتجده لا يفرق بين جهاد الدعوة وجهاد السيف من حيث الأسلوب، فجهاد الدعوة الأصل فيه أن يكون بالرفق واللين، وجهاد السيف الأصل فيه أن يكون بالشدة والغلظة، قال تعالى في جهاد السيف: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة].

(١) يقال هذا المثل للدلالة على أن من يقومون بالعمل، وهم لا يجيدون منه شيئاً، وإنما يزيدون الأمر سوءاً، والطين بلة؛ فالعمياء لا ترى أين تضع الخضاب للمجنونة!، والمجنونة لا تثبت في مكانها من أجل تلقي الخضاب للزينة!.

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (٤/ ١٧٨): «أمر تعالى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين، وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة. وقد تقدم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: بُعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربعة أسياف: سيف للمشركين: ﴿فَإِذَا أَسْلَحَ الْأَشْهُرُ الْخُرُفُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، وسيف للكفار أهل الكتاب: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وسيف للمنافقين: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣]، وسيف للبغاة: ﴿فَقَاتِلُوا آلِي بَنِي قَيْنٍ حَتَّى يَقَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

وهذا يقتضي أنهم يجاهدون بالسيوف إذا أظهروا النفاق، وهو اختيار ابن جرير اهـ.

وقال تعالى في جهاد الدعوة: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿طه: ٤٣-٤٤﴾.

والدعوة إلى الله تعالى نوعٌ من الجهاد، بل هي أعظم من جهاد السيف، بل هي أصله وأشبهه؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَهَدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]^(١)، أي: بالقرآن والحجة والبرهان؛ لأن الآية مكية بالإجماع، ولم يكن هناك جهاد بالسيف.

وقد بين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** طريق الدعوة إليه؛ فقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].



(١) وقد أشرت إلى هذه المسألة في كتابي: «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دور الحديث السلفية في الديار اليمنية» الهدف العاشر بعنوان: «الحرص على تعليم المجتمع المسلم العلم الشرعي الصحيح، ونشره في كل مكان، وهذا من أفضل الجهاد في سبيل الله، كما قال علماء السلف والخلف».

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «ولهذا كان الجهاد نوعين: جهاد باليد والسنان، وهذا المشارك فيه كثير.

والثاني: الجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين؛ لعظم منفعته، وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه؛ قال تعالى في سورة الفرقان -وهي مكية-: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ تَزْيِيرًا﴾، فهذا جهادٌ لهم بالقرآن، وهو أكبر الجهادين. وانظر: «مفتاح دار السعادة» (١/ ٧٠).

(٤١) عدم تفريق بعض الدعاة بين النصيحة والفضيحة

لا شك أن النصيحة الصحيحة مشروعة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾ [العصر: ١-٣].

وقال نوح عَلَيْهِ السَّلَام لقومه: ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢].

وقال هود عَلَيْهِ السَّلَام لقومه: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِللَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

لكن ينبغي أن يُعلم أن النصيحة لها ضوابط وآداب شرعية، من ذلك: أن تكون النصيحة سرًّا؛ فقد قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «من وعظ أخاه سرًّا؛ فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية؛ فقد فضحه وشانه»^(٢).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ:

تَعَمَّدَنِي بِنُصْحِكَ فِي أَنْفِرَادِي وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ
وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي فَلَا تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهُ^(٣)
بهذه الكلمات اليسيرة حدّد الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ الفرق بين النصيحة

(١) رواه «مسلم» (٥٥) عن تميم الداري رَحِمَهُ اللَّهُ عَنَّهُ.

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نُعَيْمٍ (٩/ ١٤٠)، «شرح النووي على مسلم» (٢/ ٢٤).

(٣) «الديوان المنسوب للشافعي» (ص: ١٥).

والفضيحة، وبين النصيح والتوبيخ، وبين ناصح أمين وفاضح مهين، فالدين النصيحة، لكن شريطة الالتزام بآداب النصيحة الشرعية، ومعرفة حدودها، والإخلاص في توجيهها، فليست كل النصائح سواء، وليس كل الناصحين أمناء، وليس كل المنصوحين بتوجيههم سعداء، فكم من نصيحة وجهت بشكل خاطئ أدت إلى شقاق وجفاء.

✓ فالتزموا الأمانة والإخلاص في نصحكم.

✓ والسرية في توجيهكم لإخوانكم دعاة المنهج السلفي.

✓ والتزموا الرفق.

✓ وتخيروا الأوقات المناسبة، والظروف الملائمة لكم ولهم.

هذا وللنصيحة مجالات شتى، وطرق عدة، وأساليب متعددة، وأهداف متنوعة، لكن الأهم أن نلتزم بضوابطها وآدابها، خصوصاً النصيحة سرّاً، وكل شخص يُنصح بما يناسبه بالآداب الشرعية والضوابط المرعية. لأن مقصدك من النصيحة أن تدلّ الغير على الخير، وأن ترشده إلى الحق، وتهديه إلى عيوبه، حتى تنير بصيرته، فيقلع عن خطئه، ويعدل سلوكه، وينبغي لكل ناصح أن يمتلك من الفطنة والذكاء والكياسة، إضافة إلى الخبرة والإمام بموضوع النصيحة والمنصوح ما يجعله أهلاً لنصح الآخرين، على أن يدرك تماماً أن هدف النصيحة العام هو تصحيح عيوب وأخطاء الغير، وليس إشاعة أفعاله السيئة أو فضحه بين الناس^(١).

(١) فقد شاع أن شاباً تاب على يد بعض الجماعات المنحرفة؛ فكانوا يطلبون منه الوقوف أمام الناس

في المسجد ليذكر أعماله السيئة التي عملها وتاب منها ليتعظ الناس ويكون هذا سبباً في =

وفي مَعْرِضِ التفريق بين النصيحة والفضيحة؛ يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ^(١):
«النصيحة: إحسانٌ إلى مَنْ تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له
وعليه؛ فهو إحسانٌ مُحْضٌ يصدر عن رحمة وَرَقَّة.

ومراد الناصح بها: وجه الله ورضاه، والإحسان إلى خَلْقِهِ؛ فيتَلَطَّفُ في بذلها
غاية التَلَطُّفِ، ويحتمل أذى المنصوح وَلَائِمَّتِهِ، ويعامله معاملة الطبيب العالم
المشفق للمريض المُشَبَّعِ مرضًا، وهو يحتمل سُوءَ خُلُقِهِ وشراسته ونفرتة، ويتَلَطَّفُ
في وصول الدواء إليه بكلِّ ممكنٍ؛ فهذا شأنُ الناصح.

وأما المُؤَنَّبُ: فهو رَجُلٌ قَصَدَهُ التعيير والإهانة، وَدَّمَ مَنْ أَنَبَهُ وَشَتَمَهُ في
صورة النصيح؛ فهو يقول له: «يا فَاعِلَ كذا وكذا، يا مُسْتَحِقًّا الدَّمَ والإهانة» في
صورة ناصح مُشْفِقٍ.

وعلامة هذا: أنه لو رأى من يحبه ويحسن إليه على مثل عمل هذا أو شر منه
لم يعرض له ولم يقل له شيئًا، ويطلب له وجوه المعاذير، فإن غلب قال: «وأني
ضمنت له العصمة؟ والإنسان عرضةٌ للخطأ، ومحاسنه أكثر من مساويه، والله
غفور رحيم»، ونحو ذلك.

فيا عجبًا، كيف كان هذا لِمَنْ يُحِبُّهُ دون مَنْ يبغضه؟ وكيف كان حَظُّ ذلك
منك التأنيب في صورة النصيح، وحَظُّ هذا منك رجاء العفو والمغفرة وطلَبَ

= هدايتهم، ففعل ذلك، وفي المرة الثالثة قال: لقد سترني الله عَزَّوَجَلَّ عمرًا طويلاً، وفضحتني هذه
الجماعة، وصدق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَاقِي إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ». متفق عليه:
«البخاري» (٦٠٦٩)، «مسلم» (٢٩٩٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) «الروح» (ص: ٣٥١-٣٥٢).

وجوه المعاذير؟

وَمِنْ الْفُرُوقِ بَيْنَ النَّاصِحِ وَالْمُؤْتَبِ: أَنَّ النَّاصِحَ لَا يَعَادِيكَ إِذَا لَمْ تَقْبَلْ نَصِيحَتَهُ، وَقَالَ: «قَدْ وَقَعَ أَجْرِي عَلَى اللَّهِ، قَبِلْتَ أَوْ لَمْ تَقْبَلْ»، وَيَدْعُو لَكَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَلَا يَذْكُرُ عَيُوبَكَ وَلَا يُبَيِّنُهَا فِي النَّاسِ، وَالْمُؤْتَبُ بِضَدِّ ذَلِكَ» اهـ.

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحدٍ وَعَظُوهُ

سراً،

حتى قال بعضهم: «مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ نَصِيحَةً، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ فَإِنَّمَا وَبَّخَهُ».

وقال الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمن يَسْتُرُ وينصح، والفاجر يَهْتِكُ ويُعَيِّرُ».

وقال عبد العزيز بن أبي رَوَادٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ إِذَا رَأَى الرَّجُلَ مِنْ أَخِيهِ شَيْئًا؛ يَأْمُرُهُ فِي رَفْقٍ؛ فَيُؤْجَرُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُخْرِقُ بِصَاحِبِهِ؛ فَيَسْتَغْضِبُ أَخَاهُ وَيَهْتِكُ سِرَّهُ...» اهـ.

فيا أيها الداعية اللبيب الأريب النجيب إذا سمعت عن أخيك أو قرأت له بعض الأخطاء الواضحة البينة؛ فلا تشهر به على المنابر، في الخطب، والمحاضرات، والدروس، والمجالس الخاصة والعامة، والكتابة في وسائل التفاضل الاجتماعي، لكن المطلوب منك هو المبادرة في نصحه سراً، إما بالزيارة أو المهاتفة أو المكاتبة، برفقٍ ولينٍ، بالتي هي أحسن للتي هي أقوم، هذا إذا كنت تريد بنصحك وجه الله والدار الآخرة، وتريد نصحه لا فضحه^(٢).

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص: ٨٢).

(٢) ويستثنى من ذلك: إذا لم يتراجع المنصوح علانيةً، وكانت أخطاؤه منتشرة؛ فلا بأس بأن يُنشر =

قال علامة اليمن عبد الرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «وكم من عالمٍ أخطأ في مسألة فلم يهتم إخوانه من العلماء بأن يزوروه ويذاكروه فيها، أو يكتبوه في شأنها، بل غاية ما يصنع أحدهم أن ينشر اعتراضه في مجلة أو رسالة يشنع على ذلك العالم ويجهّله، أو يبدّعه ويكفره؛ فتكون النتيجة عكس المطلوب» اهـ.

وقال علامة القصيم عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢):
«ومن أعظم المحرمات وأشنع المفاصد: إشاعة عثراتهم -أي: عثرات العلماء-، والقذح فيهم -و- في غلطاتهم.

وأقبح من هذا وأقبح: إهدار محاسنهم عند وجود شيء من ذلك.
وربما يكون - وهو الواقع كثيرًا - أن الغلطات التي صدرت منهم لهم فيها تأويلٌ سائغٌ، ولهم اجتهداهم فيه، معذورون، والقادح فيهم غير معذور.
وبهذا وأشباهه يظهر لك الفرق بين أهل العلم الناصحين، والمنتسبين للعلم من أهل البغي والحسد والمعتدين.

فإن أهل العلم الحقيقي قصدهم التعاون على البر والتقوى؛ والسعي في إعانة بعضهم بعضًا في كل ما عاد إلى هذا الأمر، وستر عورات المسلمين، وعدم إشاعة غلطاتهم، والحرص على تنبيههم، بكل ما يمكن من الوسائل النافعة،

= النصح له علانيةً لسبيين:

- ١ - حتى لا يغتر الناس بأخطائه المنشرة.
- ٢ - حتى لا يقال: لماذا لا تناصحه سرًا قبل التحذير منه علانية؟
- (١) «صفة الارتباط بين العلماء في القديم» (ص: ١٠).
- (٢) «الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة» (ص: ٩٠).

والذَّب عن أعراض أهل العلم والدين، ولا ريب أن هذا من أفضل القربات. ثم لو فرض أن ما أخطأوا فيه أو عثروا ليس لهم فيه تأويل ولا عُذر، لم يكن من الحق والإنصاف أن تهدر المحاسن، وتمحي حقوقهم الواجبة بهذا الشيء اليسير، كما هو دأب أهل البغي والعدوان؛ فإن هذا ضرره كبير، وفساده مستطير؛ أي عالم لم يخطئ؟ وأي حكيم لم يعثر؟».

وقال الشيخ محمد بن علي فركوس -حفظه الله-^(١): «وليس مِنْ طُرُق النصيحة: ترميرها على شبكات الإنترنت والصحف والمجلات، وغيرها، إذا لم يأذن فيها المنصوح له، فَإِنْ أَذِنَ؛ فَإِنَّهُ يُرَاعَى الجانب الأخلاقي في التعامل بالنصيحة معه؛ تقصُّداً لتعميم فائدة النصيحة؛ ذلك لأن هذه الوسائل موضوعة ابتداءً للإعلام والتشهير والتبليغ، وقد تُسْتَعْمَل -غالبًا في بعض الشبكات ووسائل الإعلام- للتعير والإهانة والذم في صورة النصيحة؛ الأمر الذي يَقْضي بمُنَافَتِهَا للنصيحة في قَالِبِهَا السَّرِّي والأخلاقي؛ لأنها -بهذا الشكل- تدخل في التأنيب والتشنيع» اهـ.

ومن مفاصد عدم التزام آداب النصيحة: إظهار الخلاف الخاص بالدعوة وأهلها أمام العامة والطوائف الضالة والأحزاب المنحرفة وخصوم الدعوة، وهذا يؤدي بدوره إلى ضعف الدعوة السلفية وأهلها، وذهاب هيبتها وهيبة علمائها، وشماتة أعداء الدعوة بالدعوة وأهلها، وزعزعة ثقة العامة في الدعوة السلفية وفي حملتها، وكفى بها من مفسدة، فيا ليت قومي يعلمون.

(١) «الكلمة الشهرية» رقم (٤٩).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ^(١): «اجتماع الناس على كلمة واحدة لا شك أنه سببٌ للنصر؛ ولهذا ينبغي لطلبة العلم وللعلماء أن لا يُظهروا خلافهم ونزاعهم أمام العامة، اختلاف الآراء لا بد أن يكون، أما كون كل واحدٍ منهم يعيب على الآخر إن خالفه، هذا خطرٌ عظيمٌ جدًّا؛ لأن العامة ترى هذا النزاع؛ فلا تثق بواحدٍ منهم، على أن العامة أيضًا سوف يتفرقون؛ فالنزاع لا شك أنه سببٌ للخذلان والفشل وتمزق الأمة» اهـ.

قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].



(١) «تفسير سورة آل عمران» (٢/ ٣١٤).

(٤٢) تقديم العلم على الرحمة في الرد على المخالف، منهج مخالف

لمنهج القرآن الكريم

إن الناظر في ردود بعض الدعاة على المخالفين يجد أن علمه يسبق رحمته في الرد عليهم، فيشد عليهم ويغلظ عليهم بلا رحمة، ويضيّق عليهم الخناق، ويضع الحواجز في جميع الطرق؛ فلا يترك لهم منفذاً، بل ولا ثقب إبرة في الرجوع إلى الحق!

بخلاف طريقة الراسخين في العلم، كشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ مثلاً؛ فإن من ينظر في مناظراته لخصومه يجده يناقشهم، وتجد الرحمة واضحة جليّة في نقاشه لهم، ويحتمل لخصمه الأعذار، ويفتح له طرقاً كثيرةً للتراجع والعودة إلى الحق، فإذا كانت هذه الرحمة في حق أهل البدع والأهواء؛ فأهل السنة من باب أولى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «أهل السنة هم أعلم بالحق، وأرحم بالخلق» اهـ.

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «ما ناظرت أحداً قط على الغلبة، ووددت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الله الحق على يديه!» اهـ.

وهكذا سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ من تتبع ردوده على

(١) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٥٨).

(٢) «المجموع» (١/ ١٢)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٩).

المخالفين، وجد فيها الحلم والعلم والرحمة، وقد أُلّف في منهجه في الرد على المخالفين كتاب: «أصول ابن باز في الرد على المخالفين»، وكتاب: «منهج سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الرد على المخالفين»^(١).

وكتاب: «شذور ولطائف في آداب الرد على المخالف، وملحق بعنوان: الكاشف لمنهج ابن باز في الرد على المخالف»^(٢).

وفي هذه الكتب^(٣) بيانٌ لطريقة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ في الرد على المخالفين، وأن الرحمة في ردوده تسبق علمه وحججه وبراهينه^(٤).

(١) تأليف: الأمير نايف بن ممدوح بن عبد العزيز آل سعود.

(٢) تأليف: حمد بن عبد العزيز بن حمد بن عتيق.

(٣) وخلاصة هذه الكتب: أن ردود الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ على المخالف تتميز بالعدل والإنصاف، ومراعاة مكانة المخاطب، وإعطائه قدره، وترغيبه في أن يعود عن خطئه، والتواضع، وخفض الجناح، وعدم الاستعلاء والتكبر والترفع في مخاطبة المخطئ، وعدم التشفي والانتصار للنفس، والرحمة والشفقة بالخلق، ومحبة الخير لهم، وتحبيبهم في الخير، وتغليب جانب الرفق واللين على جانب الشدة والعنف، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح للخلق، وعدم المجاملة أو المحاباة، وإحياءه لسنة الرد على المخالفين، مع تقيده بالأدب النبوي الكريم؛ فجمع بين هدي السلف في الردود على المخالف، وبين التأدب بآداب السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، إذ المراد هو التصويب وإرشاد ذلك المخطئ، وليس التشفي وإسقاط الآخرين.

(٤) قال العلامة عبد المحسن العباد -حفظه الله- واصفًا منهج الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

- «منهجه سديد؛

- يقوم أهل السنة ولا يقاومهم،

- وينهض بهم ولا يناهضهم،

- ويسمو بهم ولا يسمهم،

- منهج يجمع ولا يفرق،

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ موصياً أهل السنة قبل موته^(١): «... وأن ينصحوا الناس بالتي هي أحسن، ويتعدوا عن الأساليب القاسية والشديدة؛ لأننا جميعاً نعتقد أن الله عَزَّجَلَّ حين قال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَلْهُمْ بِآتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ إنما ذلك لأن الحق في نفسه ثَقِيلٌ على الناس، ثَقِيلٌ على النفوس البشرية، ولذلك هي تستنكف عن قبولها إلا ما شاء الله، فإذا انضم إلى ثقل الحق على النفس البشرية عذر آخر وثقل آخر، وهو القسوة في الدعوة كان ذلك تنفيراً للناس عن الدعوة بدلاً من أن ندعوهم إليها، وقد تعلمون جميعاً قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِّينَ»^(٢)، وختاماً، أسأل الله عَزَّجَلَّ ألا يجعل منا مُنْفَرِّين، وإنما أن يجعلنا حكماً عاملين بالكتاب والسنة» اهـ.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «اجعل المخالف للحق كأنه مريض تريد مُعالجته، لا كأنه مجرم تريد مُعاقبته».

قلت: هذا هو المنهج الصحيح، الذي سلكه الأنبياء والمرسلون في دعوتهم، ومن تدبر القرآن الكريم يجد أن من عجائب القرآن ولطائفه: تقديم الله عَزَّجَلَّ للرحمة على العلم، وفي هذا إشارة إلى تلازم الرحمة مع العلم، بل وسبقها إياه، إذ

= - ويلم ولا يمزق،

- ويسدد ولا يبدد،

- ويسر ولا يعسر». «الحث على اتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرها» (ص: ٦١).

(١) شريط: «وصية الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ قبل موته» من «سلسلة الهدى والنور».

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٧٠٢)، «مسلم» (٤٦٦) عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «دروس الحرمين» (١٤٣).

إِنَّ الْعِلْمَ بِلَا رَحْمَةٍ عَقُوبَةٌ وَنَقْمَةٌ، وَشَتَاتٌ وَفَرْقَةٌ، وَاقْرَأْ إِنْ شِئْتَ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا اَلْكِتَابَ اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ اَلْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩]؛ فالعلم بدون رحمة يدمر ولا يعمر، ويهدم ولا يردم، ويفسد ولا يصلح.

ومن أمثلة تقديم الرحمة على العلم في القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١-٢].

وكان رسولنا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم الخلق بالله، ومع ذلك فهو أرحم الخلق بالخلق، بل كان أساس مبعثه الرحمة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ اِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فتأس أيها الداعية المبارك بنبيك صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكن رحيمًا بالمدعوين؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأختم هذه المسألة بهذه اللطيفة:

وهو أن العلماء رَحِمَهُمُ اللّٰهُ جعلوا أول حديث يتعلمه طالب العلم من شيخه هو حديث الرحمة المسلسل بالأولية^(١) الذي رواه أبو داود والترمذي عن عبد الله

(١) ينظر: «العروس المجلية في أسانيد الحديث المسلسل بالأولية» (ص: ٥) للحافظ صفي الله محمد

احمد البخاري الأثري (١١٦٠ هـ - ١٢٠٠ هـ)، تخرج العلامة مُحَمَّدُ مَرْتَضَى الزَّيْدِيُّ (١١٤٥ هـ -

١٢٠٥ هـ).

بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(١).



= والحديث المسلسل بالأولية: هو الحديث الذي تسلسل بكونه أوّل حديث سمعه كلّ راوٍ في الإسناد من شيخه فقد تسلسل بأوليّه وقعت لأكثر رواته إلى سفيان بن عيينة، حيث كان أوّل حديث سمعه كلّ واحد منهم من شيخه، وأكد كلّ منهم ذلك بقوله: «وهو أوّل حديث سمعته منه». ينظر: «الحديث المسلسل بالأولية من طريق الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ».

(١) «سنن أبي داود» (٤٩٤١)، «سنن الترمذي» (١٩٢٤)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تحقيق «سنن أبي داود» (٤٩٤١)، رحمه الله على الجميع.

(٤٣) المجاوزة والمجازفة والظلم، وعدم التزام الأدب وضبط النفس في

الرد على المخالف

إن الجرح والتعديل نعمةٌ من نعم الله الكريم، يحفظ الله به الدين الصافي المتين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «هذه الأمة والله الحمد، لم يزل فيها من يتفطن لما في كلام أهل الباطل من الباطل ويرده».

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «لولا من يُقيم الله لدفع ضرر أهل البدع؛ لفسد الدين، وكان فسادُه أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإنَّ هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأمَّا أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً» اهـ.

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «ولولا هذا الجرح والتعديل لتلاعب الناس الكاذبون بالسُّنة، واختلط المعروف بالمنكر، ولم يتبين ما هو صحيحٌ وما هو باطلٌ» اهـ.

قلت: لكن هناك في زماننا من تجاوز الحد في الرد على الخصوم، والله يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۖ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨]، وكان من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا

(١) «مجموع الفتاوى» (٩/ ٢٣٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣٢).

(٣) «رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة» (ص: ٢١).

وَالْغَضَبُ...»^(١).

ونعوذ بك يا الله أن نكون ممن إذا خاصم فجر، وإذا أسيء إليه زَجَرَ،
وانحدر إلى ارتكاب عظيم الشر.

وأذكر هنا بعضاً من صور المجاوزة والمجازفة في الرد على المخالف:

- كتكفير من ليس بكافر.
- وتبديع من ليس بمبتدع.
- وتفسيق من ليس بفاسق.
- وهجر من لا يستحق الهجر.
- والتحذير ممن لا يستحق التحذير.
- والكلام في أعراض الخصوم، ونسائهم، ودينهم، ومكاسبهم،
ومعاشيهم، وفي مأكَلهم ومشربهم، وفي علمهم، وفي أحسابهم وأنسابهم وبلدانهم
وفي عربيتهم وأعجميتهم، وفي طولهم وقصرهم وألوانهم!...
- فهذا -والله- من التجاوز، والنبى ﷺ حين التقط حصى الجمار،
قال: «بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ-أي: فارموا- وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ»^(٢)، فالجمار، وهي الجمار لا
تُرْمى إلا بحصى قَدَرها الشرع، وهكذا الزاني، وهو الزاني يُرمى بحجرٍ معتدلٍ لا

(١) صحيح. رواه «النسائي» (١٣٠٥) عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في تحقيق «سنن
النسائي» (١٣٠٥)، «صحيح الجامع» (١٣٠١)، وشيخنا الوادعي في «الجامع في القدر»
(ص: ٣٤)، رحمه الله على الجميع.

(٢) صحيح. رواه «أحمد» (١٨٥١)، «النسائي» (٣٠٥٧) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني
في «السلسلة الصحيحة» (٢١٤٤)، رحمه الله على الجميع.

صغير ولا كبير، والمخالف من باب أولى يُرمى بما يستحق وبميزان الشرع، ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق].

فلا بد لهذا الصنف من تطبيق حدود الشرع وضوابطه على الموافق والمفارق؛ بهذا تنتصر الدعوة إذا أردتم نصرها لا نصر أنفسكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة» اهـ.

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «أنا في سعة صدر لمن يخالفني؛ فإنه وإن تعدى حدود الله في بتكفير، أو تفسيق، أو افتراء، أو عصبية جاهلية، فأنا لا أتعدى حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل وأجعله مؤتمًا بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس حاكمًا فيما اختلفوا فيه» اهـ.

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «تحرس السنة بالحق، والصدق، والعدل، ولا تحرس

(١) «مجموع الفتاوى» (٦٣ / ٢٨) بتصرف يسير.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣ / ٢٤٥).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٧ / ١٨٢).

قلت: ومن صور التجاوز وظلم المخالفين: ما ذكره ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «رأيت الناس لا يعصمهم من الظلم إلا العجز، ولا أقول: العوام، بل العلماء، كانت أيدي الخنابلة مبسوطة في أيام ابن يونس، فكانوا يستطيّلون بالبغي على أصحاب الشافعي في الفروع، حتى ما يمكنوهم من الجهر بالبسملة والقنوت، وهي مسألة اجتهادية، فلما جاءت أيام النظام، ومات ابن يونس، وزالت شوكة الخنابلة، استطال عليهم أصحاب الشافعي استطالة السلاطين الظلمة، فاستعدوا بالسجن، وآذوا العوام بالسعايات، والفقهاء بالنبذ بالتجسيم. قال: فتدبرت أمر الفريقين، فإذا بهم لم تعمل فيهم آداب العلم، وهل هذه إلا أفعال الأجناد؛ يصلون في دولتهم، ويلزمون المساجد في بطالتهم؟!». «كشاف القناع» (٣ / ٢٠٥).

بكذبٍ، ولا ظلمٍ، فإذا رد الإنسان باطلاً بباطلٍ، وقابل بدعةً ببدعةٍ، كان هذا مما ذمه السلف والأئمة» اهـ.

لذلك يجب على الداعية قبل الشروع في الرد على المخالف -سواء كان الرد مشافهةً أو كتابةً- أن يراعي الآداب والضوابط الشرعية؛ حتى يكون لهذا الرد ثمرته المطلوبة، ولا يؤدي إلى مفسد شرعية تربو على مفسد ترك الرد.

ومن أهم هذه الضوابط والآداب في الرد على المخالف ما يلي:

أولاً: أن يكون الرّاد موصوفاً بالعلم الشرعي الصحيح الموافق لسنة النبي ﷺ، لا سيما في المسألة التي يريد الرد عليها ومناقشتها، بعد تحديد موضع النزاع وتحريره، وأن يكون الكلام بعلمٍ ودليلٍ ومأخذٍ صحيحٍ في الاستدلال.

ومن ذلك: التوثق والتثبت من كلام المردود عليه من كتبه أو صوتياته المؤكدة، أو من الثقات الأثبات أهل العقل والدين والرزانة والاعتدال، لا من الظنون والأوهام، وكلام كل من هَبَّ وَدَرَجَ، وأيضاً يورد كلام المردود عليه بدون حذفٍ أو بترٍ أو تصرفٍ فيه.

ثانياً: ملازمة الرّاد للإخلاص والتجرد لله تعالى في رده وبعده عن الهوى، والعصبية، والتشفي، وهذا يلزم عليه أشياء كثيرة، من أهمها: العدل مع المخالف، وإنصافه، وتجنب ظلمه والاعتداء عليه وعلى عرضه بالسب والشتم، والاحتقار والازدراء والتنقص، والدخول في أمورٍ جانبيةٍ ليس لها علاقة بالمسألة المردود عليها، كل هذا ليس من الأدب ولا من الإنصاف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ^(١): «فإنَّ الرَّدَّ بمجرَّد الشَّتْم والتَّهْوِيل لا يعجز عنه أحدٌ» اهـ.

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: من أحب أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم؛ فعليه بالخلوة، وقلة الأكل، وترك مخالطة السفهاء، وبُغْضِ أهل العلم الذين ليس معهم إنصافٌ ولا أدبٌ» اهـ.

وقال الشيخ محمد بن علي فركوس -حفظه الله-^(٣): «الشَّتِيمَةُ والوقِيعَةُ والتَّهْجُمُ عند النَّقاش حيلةٌ العاجز وبضاعةُ المُفْلِس» اهـ.

وقد ذكر الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ أحد عشر سبباً تقريباً تؤدي إلى عدم العدل والإنصاف في الرد على المخالف^(٤)، فمن أحب الوقوف عليها رجع إليها في المصدر المذكور.



(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٨٦).

(٢) «بستان العارفين» (ص: ٥٣)، «المجموع» (١/ ١٣)، «تهذيب الأسماء» (١/ ٥٥).

(٣) «الكلمة الشهيرة» رقم (١٢٦).

(٤) «أدب الطلب ومنتهى الأرب» (ص: ٤٠-١١٩).

(٤٤) عدم ضبط بعض المسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الخلاف مما أدى إلى كثرة الخلاف المذموم الذي يؤدي بين الفينة والأخرى إلى تمزيق الدعوة

هناك بعض المسائل التي يكثر فيها الخلاف والنزاع والخصومات وتمزق بسببها الدعوة بين الفينة والأخرى، تحتاج من طلاب العلم والدعاة إلى الله إلى وقفة علمية جادة، وتحرير هذه المسائل تحريراً دقيقاً، وضبطها ضبطاً وثيقاً، وإشباعها دراسةً وبحثاً من جميع جوانبها، كمسألة التبديع، والتحزيب، والهجر، والجمعيات والمؤسسات الخيرية، وبقية المسائل التي يكثر فيها الخلاف والخوض منذ ثلاثة عقود تقريباً، وبهذا تهدأ الدعوة ويذهب صداها وتصدعها إن شاء الله، ويُحكَم على كل مسألة بما تستحق.

أما أن تبقى مثل هذه المسائل مُهمَلةً، وكل واحد يأخذ بالفتوى التي تروق له من فتاوى علمائنا المعاصرين، فهذا نقص واضح، وعيب فاضح.

قال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ^(١): «صحيح يا إخوان: أن بعض إخواننا إذا لم تكن على ما يهوى سَمَّاكَ حزبياً! لعلكم قرأتم كلام ابن بطة في «الاعتصام» للشاطبي ينقل أنه يتوجع من أهل عصره، إن قنَّتْ؛ قالوا: «شفعوي» من الشافعية، وإن قال: الدعاء للحكام، وذِكْرُ الحكام في الخطبة ليس بصحيح؛ قالوا: «خارجي»!

(١) كتاب: «من فقه الإمام الوادعي» (١ / ٥١).

فَرَضِيَ النَّاسُ غَايَةً لَا تُدْرَكُ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ نَتَّقِيَ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنَّ أَعْدَاءَ الدَّعْوَةِ يَحْرَصُونَ غَايَةَ الْحِرْصِ عَلَى تَفْرِقَةِ أَهْلِ السَّنَةِ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

بَعْضُهُمْ أَدْنَى حَاجَةٍ تَنْظِيمٍ مِنْ أَجْلِ عَمَلٍ يَتَعَلَّقُ بِالدَّعْوَةِ؛ يَقُولُونَ: حِزْبِيَّةٌ!، وَهَكَذَا! وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ! أَنْتُمْ تَرْمُونَنَا بِالْحِزْبِيَّةِ، وَمَاذَا فَعَلْتُمْ لِلْإِسْلَامِ؟! اهـ.

قُلْتُ: مِنْ أَجْلِ هَذَا لَا بَدَّ مِنْ ضَبْطِ الْمَسَائِلِ الَّتِي يَسُوغُ فِيهَا الْخِلَافُ سِوَاءَ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسَائِلُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ أَوْ مِنَ الْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ الْفَقْهِيَّةِ، وَيَتَلَخَّصُ ضَابِطُ الْمَسَائِلِ الَّتِي يَسُوغُ فِيهَا الْخِلَافُ فِي ثَلَاثِ نَقَاطٍ:

النقطة الأولى: أَنْ لَا يَكُونَ فِي الْمَسْأَلَةِ الْمَخْتَلَفِ فِيهَا دَلِيلٌ صَرِيحٌ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ أَوْ إِجْمَاعٍ مُتَحَقِّقٍ.

فَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ يَسُوغُ فِيهَا الْخِلَافُ، وَلَا نَخْتَلِفُ مِنْ أَجْلِهَا؛ لِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى النَّظَرِ وَالِاجْتِهَادِ، وَالْعُلَمَاءُ لَيْسُوا سِوَا سِوَاسِيَّةٍ فِي هَذَا الْبَابِ، وَقَدْ وَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى لِبَعْضِهِمْ مَا لَمْ يَهَبْ لْغَيْرِهِ مِنْ قُوَّةِ النَّظَرِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْإِسْتِنْبَاطِ، وَلَا فَرْقَ فِي هَذَا بَيْنَ مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ وَمَسَائِلِ الْفَقْهِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(١): «وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْخَطَأَ فِي دَقِيقِ الْعِلْمِ مَغْفُورٌ لِلْأُمَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَهَلَكَ أَكْثَرُ فَضَلَاءِ الْأُمَّةِ».

النقطة الثانية: أَنْ تَكُونَ الْمَسْأَلَةُ فِيهَا نَصٌّ صَحِيحٌ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ السَّنَةِ، لَكِنْ

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (٢٠ / ١٦٥).

هذا النص غير صريح في الدلالة على المراد.

ووقوع الخلاف هنا في الفهم الذي جعله الله تعالى متفاوتاً بين الخلق؛ فهذا من اختلاف الأفهام الذي لا يضر الاختلاف فيه.

النقطة الثالثة: أن تكون المسألة فيها نصٌّ صريح في الدلالة لكنه متنازعٌ في صحته، أو يكون له معارض قوي من نصوص أخرى.

مع التنبيه أن الخلاف السائغ المقبول: هو ما كان صادراً من أهل العلم والدين، وأما العامة، وأشباههم، فلا قيمة لخلافهم، ولا عبرة بفتواهم أصلاً.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ^(١): «ويؤسفنا كثيراً؛ أن نجدَ في الأمة الإسلامية فئةً تختلفُ في أمورٍ يسوغُ فيها الخلافُ، فتجعل الخلافَ فيها سبباً لاختلاف القلوب، فالخلافُ في الأمة موجودٌ في عهد الصحابة، ومع ذلك بقيت قلوبهم متفقةً، فالواجب على الشبابِ خاصّة، وعلى كلِّ المستقيمين أن يكونوا يداً واحدة، ومظهرًا واحدًا؛ لأنَّ لهم أعداء يتربصون بهم الدوائر.

ونعلم جميعاً أنَّ التفرُّقَ أعظمُ سلاحٍ يفتتُ الأمةَ ويفرِّقُ كلمتها، ومن القواعد المشهورة عند النَّاسِ: أنك إذا أردتَ أن تنتصرَ على جماعةٍ فاحرصْ على التفرقة بينهم؛ لأنَّهم إذا اختلفوا صاروا سلاحاً لك على أنفسهم، وليس أحدٌ بمعصوم، لكن إذا خالفك شخصٌ في الرَّأي في آية أو حديث مما يسوغُ فيه الاجتهاد؛ فالواجبُ عليك أن تتحمَّلَ هذا الخلافَ، بل أنا أرى أنَّ الرَّجل إذا خالفك بمقتضى الدليلِ عنده لا بمقتضى العنادِ أنَّه ينبغي أن تزدادَ محبةً له؛ لأنَّ

(١) «الشرح الممتع» (٤ / ١٥٩).

الذي يخالفك بمقتضى الدليل لم يصانعك ولم يجابك، بل صار صريحاً مثلما أنك صريح، أما الرجلُ المعاندُ؛ فإنه لم يرد الحقَّ.



(٤٥) الهجر بغير قواعد علمية وضوابط شرعية ومراقبة رب البرية أرهق الدعوة السلفية إرهاقاً عظيماً

لقد قرر كبار علماء السلف والخلف أن الهجر وسيلة وليس غايةً، وهو دواءٌ، فإذا نفع المريض نفعاً راجحاً؛ أعطي هذا الدواء، وإذا أضر به ضرراً راجحاً؛ فلا يُعطى له، وإنما يُعطى دواءً آخر.

وإليك خلاصة كلام كبار أهل العلم في هذا العصر في هذه المسألة:

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ^(١) في هجر من لم ينتفع بالهجر قولته المشهورة في قصة العاصي الذي ذهب إلى المسجد لأول مرة ليصلي فيه فوجده مغلقاً؛ فقال: «أنت مسكّر وأنا مبطل» منك يا مسجد وليس مني، وله كلامٌ نفيسٌ جداً في هذه المسألة؛ بمعنى: أن البعض يفرح بالهجر.

وقال الإمام الفقيه المفسر ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «الواجب على من كان له قرناء فيهم بدعةٌ أن ينصحهم ويبين لهم أن ما هم عليه بدعة، لعل الله أن يهديهم على يديه حتى ينال أجرهم.

فإن أصرّوا على ما هم عليه من البدعة:

فإن كانت البدعة مكفرةً؛ وجب عليه هجرهم والبعد عنهم.

وإن لم تكن مكفرةً؛ فلينظر: هل في هجرهم مصلحة؟

(١) شريط «من هو الكافر؟، وما هي البدعة المكفرة؟».

(٢) «فتاوى نور على الدرب» (٢/٤)، «شرح رياض الصالحين» (٤/٢١٩-٢٢٠).

إن كان في هجرهم مصلحة؛ هجرهم.

وإن لم يكن في هجرهم مصلحة؛ فلا يهجرهم؛ وذلك لأن الهجر دواء؛ إن كان يرجى نفعه؛ فليفعل، وإن لم يرج نفعه؛ فلا يفعل» اهـ.

وشن العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ هجوماً قوياً على من يتوسع في مسألة الهجر، وقال^(١): «هذه فكرةٌ خارجية».

وقال العلامة عبد المحسن العباد -حفظه الله-^(٢): «إذا لم تترتب على الهجر مصلحة؛ فوجوده مثل عدمه».

وقالت اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ^(٣): «إذا لم يكن في الهجر ردعٌ له ويخشى أن يزيد شره؛ فإنه لا يهجر، ولكن يُستمر معه في النصيحة...» اهـ.

وسُئِلَ العلامة ربيع بن هادي المدخلي رَحِمَهُ اللهُ^(٤): هل أتباعُ المبتدع يُلحقون به في الهجر؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: «المخدوع منهم يُعلم يا إخوة، لا تستعجلوا، علموهم وبينوا لهم؛ فإن كثيراً منهم يريد الخير، حتى من هؤلاء الصوفية! والله لو هناك نشاط سلفي لرأيتهم يدخلون في السلفية زرافاتٍ ووحداً.

(١) «الأجوبة السديدة في فتاوى العقيدة» (ص: ١٦٨-١٦٩ و ١٩٨-١٩٩)، «غارة الأشرطة» (٢/ ٨٧-٨٨).

(٢) «شرح سنن أبي داود» باب: «حكم الصلاة في ثياب تشف البشرة».

(٣) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢٥/ ٣٢٦) رقم الفتوى (١٥٩٣١).

(٤) محاضرة بعنوان: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخطُ لكم ثلاثاً» (ص: ٣٨).

فلا تكن القاعدة عندكم فقط: هجر، وهجر، وهجر!

الأساس هداية الناس، وإدخال الناس في الخير.

الهجر هذا قد يُفهم غلطاً، إذا هجرت الناس كلهم؛ مَنْ يدخل في السنة؟! إذا وضعنا السدود والحواجز بيننا وبينهم بالهجر وبين السنة، متى يدخلون في السنة؟

الهجر هذا يا إخوانه في وقت الإمام أحمد... الدنيا مليئة بالسلفيين، وإذا قال الإمام أحمد: فلان مبتدع؛ سقط!، أما الآن فعندك السلفية كالشعرة البيضاء في الثور الأسود؛ فلا يُهَجَّر إلا المبتدع المستكبر المعاند، أما المخدوعون فتأنَّ بهم، ويُدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فقد يستجيب منهم الكثير.

الأساس: هداية الناس وإنقاذهم من الباطل والضلال، فادعوهم وقربوهم، وقدموا للناس الكتب والرسائل العلمية النافعة، والأشرطة العلمية، واستخدموا كل وسائل الدعوة المشروعة، ومنها: الخطب والمحاضرات، فسيحصل بذلك الخير الكثير إن شاء الله، ويكثر إن شاء الله سواد السلفيين، وما تخسرون كثيراً من الناس.

كل الناس ضالون عندك!، ولا تنصح ولا شيء ولا بيان؟! غلط!؛ هذا معناه: سد أبواب الخير في وجوه الناس، فلا يكن عندكم فقط هجر، هجر!

القاعدة الأساسية: هداية الناس وإدخالهم في السنة، وإنقاذهم من الضلال، هذه القاعدة عندكم، واصبروا، واحلموا، وكذا وكذا، ثم من عاند بعد البيان الواضح، فأخر الدواء الكي، أما الكي من أول مرة، هذا غلط بارك الله فيكم.

فليكن أيها الإخوة القاعدة عندكم: انتشال الناس، والله كثير من الناس

يريدون الخير، يريدون الجنة يا إخوان، يريدون الخير، فلتكن أساليبكم حكيمة، والله الأساليب الحكيمة الرحيمة التي يشعر أنك لست متعالياً عليه، وأنتك ما تريد إهانته، لكن تواضع له، ألن جانبك، ترفق به» اهـ.

قلت: فلا أدري أين ذهب الشباب المتحمس - في مسألة الهجر - بفتاوى كبار علماء هذا العصر؟

ولله در الشاعر الغيور المحب فضيلة الشيخ الدكتور محمد ابن العلامة ربيع المدخلي - حفظه الله -، حيث كتب هذا النداء من القلب إلى أهل التوحيد والسنة في كل مكان:

حسبي وحسب القوا في حين أنظمها	إني إلى ساحة الأحباب أهديها
هي العتاب وتنبيه وتذكرة	لمن يعي راية التوحيد يعليها
فيم التنافر يا أحباب مستعر	فيم التباغض والشيطان يوريها
ألستموا إخوة قد قال خالقنا	في محكم الوحي آيات ونديها
فأصلحوا ذات بين واتركوا جدلاً	ولتتقوا ربكم جهراً وخافيتها
إن الفساد لذات البين حالقة	نصيحة من رسول الله يسديها
أراكموا قد نسيتم في معارككم	من شوهوا الدين بالبدعات تشويها
أين الكلام على الإخوان قد شمتوا	فينا وللقوم من أيد تغذيتها
نسيتم الرفض يغزوننا وحاصرنا	من الجهات لها أطماع تنويها
صوفية فرحوا في شغلهم وسعوا	إلى البروز ولا أسد تحاميتها
كذاك أيضاً بنو علمان قد عبثوا	مهرولين إلى التغريب تشبيها
وكل ذلك منسي وأشغلهم	تنابز بينكم طعناً وتشويها
فلتعملوا هدنة مثل الأنام ولو	لمدة تضعوا أوزاركم فيها
هذي النصوص من القرآن تأمركم	بالاعتصام بحبل الله تنبيهها

وسنة المصطفى المختار ترشدكم
 وغيبة حرم الرحمن مجلسها
 والهجر فوق ثلاث لا يجوز بلا
 أما التنازع بالألقاب كارثة
 دعوا التفرق يا أحباب وائتلفوا
 وطاعة لأولي السلطان منهجنا
 وما رأينا دواعي للخلاف ترى
 يا رب ألف قلوب المخلصين بلا

إلى الأخوة كالبنيان تشبيها
 لمسلم فاحذر الآثام تجنيها
 حق كفسق وبدعات لداعيها
 في سورة علمت؛ فاعمل بما فيها
 ويعلم الكل إثباتاً وتنزيها
 في العرف والصبر إن ضرا نلاقيها
 ملموسة غير أوهام نعانيها
 غلٌ ولا شنان، رب عافيهـا



(٤٦) سلسلة هجر من لم يهجر

هذه المسألة شبيهة بالماس الكهربائي^(١)، فلو أن شخصاً وضع يده على سلكٍ مجروح؛ فإنَّ الكهرباء تمسكه، ومن مسك فيه؛ مسكته الكهرباء وهكذا، سلسلة ليس لها نهاية، وهذه القاعدة يعترض عليها من وجهين:

الوجه الأول: أنه قد يكون المهجور مبتدعاً أو فاسقاً عندك وعند بعض علماء أهل السنة، وليس مبتدعاً ولا فاسقاً عند علماء آخرين من أهل السنة؛ فهذا الصنف لا يلزم هجره من قبل من لا يرون ذلك، ولا يلزم ترك هجره من قبل من يرى هجره، وتكون المسألة اجتهادية يسوغ فيها الخلاف؛ لأن الحكم على الأشخاص الذين لم يتفق أهل السنة على تبديعهم مسألة اجتهادية، فلماذا يطالب الآخرون بهجره وهم غير مقتنعين بتبديعه؛ لأن أدلة من بدّعه غير كافية وغير مقنعة للعلماء الآخرين الذين لم يروا تبديعه^(٢).

(١) كما قال ذلك فضيلة الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله.

(٢) كلامي هنا ليس على المبتدع المتفق على تبديعه بين أهل السنة السلفيين، وإنما الكلام على شخص هو من أهل السنة أصلاً، ثم اختلف فيه علماء أهل السنة والجماعة المعتبرون بسبب بعض المسائل التي صدرت منه، فمنهم من بدّعه بسببها، ومنهم من لم يبدّعه إبقاءً على الأصل، وقالوا: لا يُنقل عن الأصل إلا بدليل واضح يبيّن مقيع، والأصل بقاء ما كان على ما كان؛ فمثل هذا لا ينبغي أن نختلف من أجله، وتنشق الدعوة السلفية بسبب هذا الخلاف، أما من اتفقوا على تبديعه أو تفسيره أو تكفيره فليس لأحد أن يخالف هذا الاتفاق.

ولا يدل كلامي هذا على جواز الاستدلال بخلاف العلماء كما تقدم ذكره في إحدى فقرات هذا الكتاب، وهي: «الاستدلال بأخطاء العلماء على صحة مذهبه الخاطئ»، بل الواجب على من

تبين له الصواب بدليله وبرهانه من أحد الفريقين أن يأخذ بالصواب بدليله، ولا يهجر من لم =

ثانياً: قد يكون مبتدعاً أو فاسقاً فسق شهوة، لكن اختلف أنا وأنت في تقدير المصلحة في هجره وعدم هجره حسب تقدير المصالح والمفاسد؛ فيرد الاختلاف إلى العلماء في تقدير المصلحة والمفسدة في الهجر وعدمه.

قال العلامة مقبل الوادعي **رَحِمَهُ اللهُ**^(١) إجابة على سؤال قال فيه السائل: ما حكم هجر من لم يهجر؟

فقال **رَحِمَهُ اللهُ**: «أن تهجر الذي لم يهجر المبتدع، توسعت بارك الله فيك، ما عندك دليل من لم يهجر المبتدع هجرناه، حتى المثال الذي يقال: من لم يكفر الكافر فهو كافر أيضاً ليس بمستقيم، بل من لم يكفر الكافر المتفق عليه؛ مثل أن يقول: اليهودي ما هو كافر أو النصراني ما هو كافر؛ مثل هذا يكفر؛ لأنه مكذب للقرآن؛ فإن الله قد كفرهم في القرآن، لكن شخص يقول: تارك الصلاة ليس بكافر، وآخر يقول: تارك الصلاة كافر؛ فهي مسألة اختلف فيها علماءنا **رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى** اهـ.



= يوافقه من إخوانه السلفيين.

(١) «الأجوبة السديدة في فتاوى العقيدة» (١/ ١٦٧-١٦٩).

(٤٧) سلسلة تبديع من لم يبدع

لقد اشتهرت هذه المقولة أو هذه القاعدة في أوساط بعض طلاب العلم، وأقول: هذه القاعدة ليست على إطلاقها، بل يفصل في ذلك، فإذا كان المبتدع متفقاً عليه بين أهل العلم أنه مبتدعٌ، محاربٌ للسنة وأهلها؛ فنعم، أما إذا كان مختلفاً فيه^(١)؛ فبعض العلماء يبدعونه وبعض العلماء لا يبدعونه؛ فهذه القاعدة لا تنطبق عليه، تماماً كقاعدة من لم يكفر الكافر؛ فهو كافرٌ، هل هي على إطلاقها؟

الجواب: لا، وإنما المراد من لم يكفر الكافر الأصلي كاليهودي أو النصراني فهذا كافرٌ، أو لم يكفر الكافر المتفق على كفره، كمن أتى ناقضاً من نواقض الإسلام، كسب الله مثلاً، أما الشخص المختلف في تكفيره كتارك الصلاة مثلاً، فالذي يرى تكفير تارك الصلاة لا يكفر من لا يرى تكفيره، وهكذا، أما إذا التزمنا بهذه القاعدة؛ فإنه يحصل بالتزامها مفاصد كثيرة وخطيرة، كالإزام العلماء وطلاب العلم والعامّة بها، وامتحان الناس بهذا الشخص المختلف فيه، وإقامة

(١) قد يبدع الرجل ويُحذّر منه، وهو من أهل السنة.

- مثال ذلك: حذر جمعٌ من أئمة السنة كالذهلي والرازيين من الإمام البخاري صاحب الصحيح، ولم يوافقهم الإمام مسلم على ذلك، ومع ذلك لم يبدعوا الإمام مسلماً ويلحقوه بالبخاري؛ لأنه لم يوافقهم على تبديع البخاري والتحذير منه؛ فتنبه!
- ثانياً: يلزم من هذه القاعدة، وهي: «تبديع من لم يبدع» بغير حجة ولا برهان أن يبدعوا شيخهم إذا كان أحد العلماء الثقات بدّعه، بدون حجة ولا برهان، وإن لم تبدعوا شيخكم؛ لأن العالم الفلاني الثقة بدّعه؛ فإنكم تلحقون به. ينظر: «مجموع الفتاوى» (٢٠٧/١٢)، «سير أعلام النبلاء» (١٢/٤٦٠).

الولاء والبراء على هذه المسألة، وتمزيق نسيج المجتمع المسلم على هذه الأوهام وهذه الجهالات، والدعوة إلى التقليد الأعمى الذي نجى الله الدعوة السلفية منه، وقد رد على هذه القاعدة الباطلة العاطلة كبار علماء العصر.

فقد سئل العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ عن هذه المسألة، حيث قال السائل ^(١):

هناك بعض القواعد يا شيخ يعمل بها بعض الشباب ومن ضمنها قاعدة: «من لم يكفر الكافر فهو كافر» ثم «من لم يبدع المبتدع فهو مبتدع»، وقاعدة أخرى: «من لم يكن معنا فهو ضدنا!»؛ ما رأيك في هذه القواعد يا شيخ؟

فأجاب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أين جاءت هذه القواعد، ومن قعدها؟ هذا يذكرني بنكتة تروى في بلادنا الأصيلية ألبانيا، حكاه في بعض المجالس والذي رَحِمَهُ اللهُ، القصة تقول: بأن رجلاً عالمًا زار صديقًا له في بيته ثم لما خرج من عنده كَفَره، قيل له: لم؟ عندنا عادة في بلادنا، وهي عادة أظن مطردة في بلاد الأعاجم، يعظمون أو يحترمون أو يوقرون العلماء ببعض الأعراف والتقاليد التي تختلف

(١) «سلسلة الهدى والنور» رقم الشريط (٧٧٨).

وهكذا رد على هذه القاعدة وأبطلها:

العلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في شريط «الدُّرر في أجوبة عَبَسَ وَشَفَرَ».

والعلامة عبد المحسن العباد - حفظه الله -؛ فقد قُدِّم له سؤال: من لم يبدع المبتدع، هل يلحق به؟ (مقطع صوتي).

والعلامة صالح السحيمي - حفظه الله -؛ فقد قُدِّم له سؤال: قاعدة من لم يبدع المبتدع فهو مبتدع، وقد ذكر لها عدة ضوابط جيدة. (مقطع صوتي).

والعلامة صالح الفوزان - وفقه الله -، في شريط مسجل بعنوان: «دروس التفسير بالحرم» بتاريخ ١٤ رجب ١٤٣٣ هـ، وغيرهم كثير.

باختلاف البلاد، منها: الرجل مثلاً دخل الغرفة ونزل عليه، فهو حين يخرج ينبغي أن يدار النعل بحيث أن العالم لا يتكلف أن يلف ويدور كأنه داخل وإنما يجد النعل مهيناً ليدخل قدميه فيه، فهذا العالم لما زار صديقه وخرج وجد النعلين كما هما؛ يعني: ما احترم الشيخ تركهما كما هما؛ فقال الرجل العالم: إن هذا كفر!، لماذا؟! لأنه لم يحترم العالم، والذي لا يحترم العالم لا يحترم العلم، والذي لا يحترم العلم لا يحترم الذي جاء بالعلم، والذي جاء بالعلم هو محمد ﷺ، وهكذا سيوصلها إلى جبريل، إلى رب العالمين، فإذا: هو كافر!.

هذا سؤال أو هذه قاعدة ذكرتني بهذه الخرافة، ليس شرطاً أبداً أن من كفر شخصاً وأقام عليه الحجة أن يكون كل الناس معه في التكفير؛ لأنه قد يكون هو متأولاً، ويرى العالم الآخر أنه لا يجوز تكفيره، كذلك التفسير والتبديع، فهذه في الحقيقة من فتن العصر الحاضر، ومن تسرع بعض الشباب في ادعاء العلم.

فالمقصود: أن هذا التسلسل أو هذا الإلزام غير لازم أبداً، هذا أمرٌ واسعٌ، قد يرى عالمٌ أمراً واجباً، ويراه الآخر ليس كذلك، وما اختلف العلماء من قبل ومن بعد إلا لأن باب الاجتهاد لا يلزم الآخرين بأن يأخذوا برأي الذي يوجب الأخذ بالرأي الآخر، إنما هو المقلد الذي لا علم عنده؛ فهو من يجب عليه أن يقلد، أما إذا كان عالمًا كالذي كفر أو فسق أو بدع ولا يرى مثل رأيه؛ فلا يلزمه أبداً أن يتابع ذلك العالم... اهـ.

وسئل الشيخ صالح الفوزان -وفقه الله-^(١): ما حكم الذين يلزمون الناس

(١) شريط مسجل بعنوان «دروس التفسير بالحرم» بتاريخ ١٤ رجب ١٤٣٣ هـ.

بتبديع بعض الدعاة، وبناء الولاء والبراء على ذلك، وهجر من لم يبدع؟
 فأجاب بقوله: «لا تلتزم بهذا، ولا تطعمهم في هذا، قل: أنا بريء من هذا
 ومعافيني الله من هذا، ولا أدخل فيه، ولا أعرف عنه [شيئاً] اهـ.
 قلت: لا شك أن بعض الدعاة ممن ينتسب إلى العلم قد أصيب بفايروس^(١)
 الإلزام والتتبع لكل من لم يلتزم بما ألزموه به.
 سواء كان من العلماء أو الدعاة أو العامة.
 ومن لم يلتزم بهذا الفايروس ولم يصب به؛ يتحور هذا الفايروس عند
 المصابين به إلى سلالة أشد خطورة!.

(١) تنبيه: قد يقول قائل: لماذا استخدمت كلمة (فايروس)؟ والجواب: أن كتابة هذا البحث كان في
 زمن انتشار الفايروسات، لاسيما فايروس كورونا، وجميع طبقات المجتمع يتكلمون بهذه اللغة،
 وعندهم خوفٌ شديدٌ من هذه الفايروسات، فقلت: لعل الكتابة بهذا الأسلوب في هذا الموضوع
 تكون أقوى في التأثير وأبلغ في النفع، وتؤدي الغرض، وتخفف المرض أو تزيله بإذن الله، ولا
 شك أن الأمراض التي تصيب الإنسان منها ما هو حسي، ومنها ما هو معنوي، والمعنوي أخطر،
 والكل يحتاج إلى علاج.

وقد قال **صلى الله عليه وسلم**: «... وَإِنَّهُ سَيُخْرِجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ
 بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصَلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به
 نبيكم **صلى الله عليه وسلم**، لغيركم من الناس أخرى أن لا تقوم به». حسن. رواه «أحمد» (١٦٩٣٧)،
 «أبو داود» (٤٥٩٧)، عن معاوية بن أبي سفيان **رضي الله عنه**، وحسنه الألباني في تحقيق «سنن أبي
 داود» (٤٥٩٧)، وشعيب في تحقيقه للمسنَد (١٦٩٣٧)، رحمة الله على الجميع.

قال الشيخ عبد المحسن العباد -حفظه الله-، في «شرح سنن أبي داود» الشريط (٢٣١): «الكَلْب: هو
 الداء الذي يحصل من الكَلْب الذي أصيب بداء الكَلْب، فإذا عَضَّ أحداً؛ فإنه يحصل لذلك
 العضوض بسبب هذه العضة ضررٌ وألمٌ يصل إلى جميع جسده، ولا يبقى منه مفصل أو عِرْق إلا
 دخله».

✓ فَيُذَكِّرُ السَّالِمِينَ مِنْ قَبْلِ الْمَصَابِ بِهَذَا الْفَايَرُوسِ.

✓ وَيُحَذِّرُ مِنْهُ، وَمَنْ دَعَوْتَهُ، وَمَنْ عِلْمُهُ، وَمَنْ الْإِسْتِفَادَةُ مِنْهُ.

✓ وَيَحَاوِلُونَ إِسْقَاطَهُ بِجَمِيعِ وَسَائِلِ التَّشْوِيهِ وَالتَّحْذِيرِ.

وكانه من رءوس المبتدعة، وهو من إخوانهم السلفيين من أهل العقيدة الصحيحة والمنهج المستقيم، وقد وافقهم في (٩، ٩٩) تسعة وتسعين وتسعة من عشرة، لكنه لم يوافقهم في الحكم على رجل، أو جهة معينة، وهذه مسألة فرعية جزئية يسوغ فيها الخلاف؛ فلا أدري من أين جاءت هذه البلية وأصابها بعض دعاة الدعوة السلفية؟

وبعد التتبع والاستقراء في كلام أهل العلم كالإمام الشاطبي، والإمام ابن عثيمين، وغيرهما، رحمة الله على الجميع، تبين:
أن هذا الفايروس وغيره جاء نتيجة لنقص في فيتامين العلم، أو الدين، أو العقل، أو كلهم جميعاً^(١).

فنتج عن هذا الإلزام والتتبع من الشرور والمفاسد في الدعوة ما لا يحصي عددها إلا الله، كل ذلك بسبب الهوى، وشهوات النفوس الخفية، اللهم إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

فأنصح إخواني وأحبابي الدعوة المصابين بهذا الفايروس بالأخذ بأسباب النجاة وأسباب الشفاء والعافية؛ فقد قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ما أنزل الله عزَّجَلَّ داءً، إلا

(١) ينظر: مقدمة الكتاب؛ فقد ذكرت مرجع كلام الإمام الشاطبي، وكلام الإمام ابن عثيمين **رَحِمَهُمَا اللَّهُ**.

أنزل له دواءً، عَلِمَهُ مِنْ عِلْمِهِ، وَجِهْلُهُ مِنْ جِهْلِهِ»^(١).

فدواء هذا المرض الفتاك، والفايروس المدمر:

- التوبة الصادقة إلى الله.

- والتزود من طلب العلم الشرعي.

والعمل بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة ظاهراً وباطناً، والتحاكم إليهما؛ قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «ومن لم يتداوَّ ويستشفِ بالكتاب والسنة؛ فلا شفاه الله».

وأنصحهم كذلك:

- بترك التقليد الأعمى.

- والتعصب المقيت.

- واتباع الهوى.

وأنصح الأصحاء الذين نجاهم الله من الإصابة بهذا الفايروس وسلالاته المتحورة منه: أن يلتزموا أكثر بالإجراءات الاحترازية الشرعية، والتدابير الوقائية النافعة، التي تركها من أصيب بهذا الفايروس.

(١) صحيح. رواه «أحمد» (٣٩٢٢)، و«الحاكم» (٧٤٢٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٩٥٦٠).

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٥١)، «صحيح الجامع» (١٨٠٩)، رحمه الله على الجميع.

(٢) «زاد المعاد» (٣٢٣ / ٤)، «الطب النبوي» (ص: ٢٦٧).

وأنصحهم: أن يأخذوا بغرز العلماء الكبار، كابن باز، وابن عثيمين، والألباني، والوادعي، والعبّاد، والسّحيمي، والفوزان، واللّحيّدان، والغُدّيّان، وعبد العزيز آل الشيخ، وجميع كبار علماء الدعوة السلفية في هذا العصر، رحم الله من مات منهم ومتعّ بالأحياء.



(٤٨) عدم ضبط وفهم مسألة: متى يخرج الرجل من دائرة أهل السنة والجماعة؟

هذه المسألة من أخطر المسائل في أوساط الدعوة والدعاة، وهي جديرة بأن تحرر تحريراً كافياً شافياً وافياً في غير هذا المختصر.

وقد بين العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ أن الرجل يخرج من دائرة أهل السنة والجماعة بأمرين:

- ١- أن يخالف أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة؛ فيبدع بذلك بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع^(١).
- ٢- أن يخالف في جزئيات كثيرة تنزل منزلة ذلك الكلي؛ فيبدع بذلك، إذا توافرت الشروط وانتفت الموانع^(٢).

وضابط التمييز بين الأصول والفروع:

هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣) حيث قال: «بل الحق أن الجليل من كل واحد من الصنفين -يعني: من المسائل الاعتقادية أو من المسائل

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٣٧١-٣٧٢).

(٢) وهناك أمر ثالث يبدع به الشخص، وهو أن يخالف في أمر جزئي اشتهر به أهل البدع، وأصبح شعاراً لهم؛ مثل: انتقاص الصحابي؛ فإن كان ينتقص جميع الصحابة فهو كلي، وإن انتقص صحابياً واحداً فهو جزئي.

مثال آخر: تأويل الاستواء، هذا جزئي؛ لأنه لم يؤول كل الصفات وإنما أول هذه الصفة فقط، وقد اشتهر بتأويل الاستواء أهل البدع من المتكلمين؛ مثل الأشاعرة والمعتزلة.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٦ / ٥٦) بتصرف.

العملية الفقهية - هو من مسائل الأصول، والدقيق منهما من مسائل الفروع».

• **أولاً:** بيان الجليل من المسائل العلمية الاعتقادية، وأنه من الأصول.

من أمثلة ذلك:

- الإيمان بأركان الإيمان الستة.
- وإثبات العلو المطلق لله تعالى؛ أي: علو الذات، والقدر، والقهر.
- والإيمان بعذاب القبر، والإيمان بالميزان، والصراط.
- وأن الإيمان قولٌ، وعملٌ، واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.
- وأن مصدر التلقي عند أهل السنة: الكتاب، والسنة، والإجماع؛ فمن خالف السلف في مصدر التلقي لم يكن منهم ولا على هديهم.
- ومن أصول أهل السنة والجماعة: أنهم لا يكفرون أحداً من المسلمين إلا إذا ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام.
- ومن أصول أهل السنة والجماعة: وجوب طاعة ولاية أمور المسلمين ما لم يأمرُوا بمعصية، فإذا أمرُوا بمعصية فلا تجوز طاعتهم فيها، وتبقى طاعتهم بالمعروف في غيرها.
- ومن أصول أهل السنة: تحريم الخروج على ولاية أمور المسلمين إذا ارتكبوا مخالفةً دون الكفر لأمره **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بطاعتهم في غير معصية الله...
- ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

- ومن أصول أهل السنة والجماعة: محبة أهل بيت رسول الله ﷺ وتوليهم.

- ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء الذين آمنوا وكانوا يتقون.

• **ثانيًا:** بيان الجليل من المسائل العملية الفقهية، وأنه من الأصول كذلك؛ كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وتحريم الفواحش، والخمر... هذه من الأصول؛ لأنها جليلة عظيمة.

• **ثالثًا:** بيان الدقيق من مسائل العقيدة، وأنه من الفروع لا من الأصول.

• من أمثلة ذلك: ما ذكره العلامة ابن عثيمين رحمه الله^(١) حيث قال:

- «اختلف العلماء رحمهم الله في رؤية الرسول ﷺ ربه - في ليلة الإسراء والمعراج -، هل رآه بعينه - يعني: في الدنيا - أم رآه بقلبه؟^(٢).

- وهل الموزون يوم القيامة هو العمل أو العامل أو صحائف الأعمال أو جميعها؟

- وهل عذاب القبر يقع على الروح فقط دون البدن، أو يقع على البدن دون الروح، أو يقع عليهما معاً.

(١) «شرح العقيدة السفارينية» (١/ ٣٠٧-٣٠٩) بتصرف.

(٢) حصل خلاف في أول الأمر في مسألة الرؤيا ثم حصل بعد ذلك الاتفاق على أن النبي ﷺ لم ير ربه في الإسراء والمعراج رؤية بصرية.

ينظر: «الرد على الجهمية» (ص: ١١٤)، «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص: ٢٢)، «شرح العقيدة الطحاوية» (١/ ٢٢٤).

- واختلف العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَيضًا في الجنة التي أَسْكَنَهَا آدَمُ؛ هل هي جنة الخلد أم جنة في الدنيا؟

- واختلف العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ في النار؛ هل هي مؤبدة أم مؤمدة؟^(١).
ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكل هذه المسائل من العقائد، والقول بأن العقيدة ليس فيها خلاف على الإطلاق غير صحيح؛ فإنه يوجد من مسائل العقيدة ما يعمل فيه الإنسان بالظن».

قلت: كل هذه الأمثلة التي ذكرها الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ من المسائل العقدية الفرعية، وليست من الأصول التي إذا خالفنا فيها أحدًا أخرجناه من السنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «ولا ريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفورٌ للأمة، وإن كان ذلك في المسائل العلمية، ولولا ذلك لهلك أكثر فضلاء الأمة».

• رابعًا: بيان الدقيق من مسائل الفقه، وأنه من الفروع كذلك، من أمثلة ذلك: جميع السنن والمستحبات وجميع المكروهات كراهة تنزيه^(٣).

(١) قلت: نقل جمعٌ من العلماء الاتفاق على عدم فناء الجنة والنار. ينظر: ((التذكرة)) (٢/ ١٤٤)، (١٤٩)، «الأصول والفروع» (١٤٥)، «الإقناع» (١/ ٦٧ - ٧٠)، «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص: ١٠٣)، «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٠٧)، «بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (١/ ٤٦٩)، «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (ص: ٣٥١)، ((فتاوى نور على الدرب)) لابن باز (٤/ ٣٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين - الفاتحة والبقرة)) (١/ ٨٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ١٦٥).

(٣) ينظر باب «المكروه» من كتابي: «تسهيل الوصول إلى زُبدة علم الأصول» (ص: ٦٣-٦٥).

- كدعاء الاستفتاح في الصلاة.
- والتثليث في الوضوء.
- والرَّمْل للآفاقي في الطواف في الأشواط الثلاثة.
- تعجيل الفطر وتأخير السحور.
- ومثال المكروهات:
- إغماض العينين في الصلاة.
- التحدث بعد العشاء لغير حاجة.
- الأخذ والإعطاء بالشمال.
- المشي في نعل واحدة.
- وغير ذلك من المسائل الفقهية الكثيرة، كل هذه فروع وليست بأصول.
- والخلاصة:
- أنه من خالف أصلاً واحداً من أصول أهل السنة والجماعة العلمية الاعتقادية أو العملية الفقهية فقد خرج من دائرة أهل السنة والجماعة إذا توافرت الشروط وانتفت الموانع كما قرر ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ وغيره.
- ومن أكثر الخلاف في الفروع والجزئيات في المسائل العلمية العقدية أو في المسائل العملية الفقهية بما يساوي أصلاً من الأصول؛ فإنه يخرج من دائرة أهل السنة والجماعة كذلك؛ مثل:
- تخصيص الذبح في اليوم الثالث من وفاة الميت صدقةً له.

- والتهليل الجماعي أثناء اتباع الجنازة.

- وتلقين الميت بعد موته.

- وبدع في الذكر.

- وبدع في الصلاة.

- وبدع في الجنائز.

- وبدع في الزكاة.

- وبدع في الصيام.

- وبدع في الحج.

- وبدع في العمرة.

- وبدع في النكاح...

فهذه البدع بمجموعها قد تساوي أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة، أو بعضها قد يساوي أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة، فالميزان في تقدير هذه الأمور يعود إلى كبار العلماء؛ بمعنى: هل هذه الجزئيات التي وقع فيها هذا الشخص تخرجه من دائرة أهل السنة والجماعة أو لا؟ المرجع في ذلك هم أهل العلم الكبار الراسخون الربانيون من أهل السنة والجماعة.

ثم اعلم أن هذه المخالفات الفرعية الكثيرة تدل على أن المخالف لا يسير على أصول أهل السنة والجماعة، ولا على منهج صحيح منضبط.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «ويجري مجرى القاعدة الكلية: كثرة الجزئيات؛ فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة؛ عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضاً» اهـ.

قلت: ومع هذا البيان والتوضيح؛ فإن مسألة إخراج المسلم من دائرة أهل السنة والجماعة أمرٌ شديدٌ يجب أن تُرد إلى العلماء الراسخين من أهل السنة والجماعة.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «إخراج الناس من السنة أمرٌ شديد» اهـ.

وقال علماء اللجنة الدائمة^(٣): «... أمانة هذه الفرق -يعني: الثنتين والسبعين- التي بها تعرف: مفارقة الكتاب والسنة والإجماع بلا تأويلٍ يتفق مع لغة القرآن وأصول الشريعة، ويعذر به صاحبه فيما أخطأ فيه» اهـ.

فإدخال من ليس من أهل السنة في دائرة أهل السنة، وإخراج من كان من أهل السنة من دائرة أهل السنة أمرٌ شديدٌ، والحكم على الأديان أشد من الحكم على الأبدان.

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤): «نشكو من الثورة التي ثارت بين أهل السنة، حيث إنه إذا ظهر فيهم من خالف أهل السنة في بعض المسائل، بدَّعوه

(١) «الاعتصام» (٢/ ٧١٢).

(٢) رواه الخلال في كتاب «السنة» (٢/ ٣٧٣).

(٣) «فتاوى اللجنة الدائمة» المجموعة الأولى (٢/ ٢٢٣).

(٤) «سلسلة الهدى والنور» شريط (٧٣٤)، «جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث

الكبرى» (٦/ ٢٦٥).

وأخرجوه من أهل السنة، وكان حسبهم أن يقولوا: إنه أخطأ، ثم عليهم أن يقيموا عليه الحجة من الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، أما أن يزيدوا في الفرقة فرقةً وخلافاً، فهذا ليس من عادة أهل السنة والجماعة أبداً.

فلا يجوز أن ينبذ من يخطئ في مسألة على التفصيل السابق، سواء كانت المسألة عقدية أو فقهية؛ فلا يجوز أن يضلل، بل يعامل بالتي هي أحسن».



(٤٩) التبديع بالمعاصي

لا شك أن المعاصي فسوقٌ، ويسمى أهلها فساق الشهوات، والبدع كذلك فسوقٌ ويسمى أهلها فساق الشبهات، والبدعة تسمى بدعة ومعصية، والمعصية تسمى معصية ولا تسمى بدعة، وفساق الشبهات أشد خطراً من فساق الشهوات.

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ^(١): «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية». وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «قبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة، وقبور أهل البدعة من الزهاد حفرة، فساق أهل السنة أولياء الله، وزهاد أهل البدعة أعداء الله» اهـ.

فمن وقع في المعاصي كشرب الخمر مثلاً، أو الزنا، أو الربا أو التصوير أو غير ذلك من المعاصي لا يقال عنه: مبتدعٌ وإنما يقال: هو عاصٍ وفاسقٌ بشهوته، أما من وقع في البدع كأن يكون خالف أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة أو أغرق في الجزئيات؛ فإنه يبدع إذا توافرت الشروط وانتفت الموانع.



(١) صحيح. أخرجه البيهقي في «السنن» (٩٠٠٩).

(٢) «طبقات الحنابلة» (١ / ١٨٤).

(٥٠) الخلاف بسبب الترحم على بعض أهل البدع

لقد اشتهر نكير بعض الدعاة على بعض في مسألة الترحم على أهل البدع، والحق أن يقال: إن الميت من أهل البدع لا يخلو من حالين:

الأولى: من كانت بدعته مكفرة، وقد قامت عليه الحجة: فهؤلاء لا يجوز الترحم عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

والحال هذه ليست محل البحث والخلاف.

الثانية: من كانت بدعته غير مكفرة، ولا تخرجه بدعته عن الإسلام: فهذا حكمه حكم عامة المسلمين؛ تجوز الصلاة عليه، ويُدعى له بالمغفرة والرحمة في الصلاة على الجنازة وخارجها.

ولا أعلم أحداً من أهل السنة قال بمنع الترحم على أهل البدع مطلقاً، فهذا قول الخوارج المارقين وأهل الضلال المنحرفين عن الحق المبين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «لا خلاف في جواز الترحم على المؤمنين» اهـ.

قلت: وفَسَّاقُ الشبهات من المؤمنين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «فكُلُّ مُسْلِمٍ لم يعلم أنه منافق؛ جاز

(١) «جلاء الأفهام» (ص: ١٥٩).

الاستغفار له والصلاة عليه، وإن كان فيه بدعة أو فسق» اهـ.

وقال العلامة ربيع المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «أما الترحم على أهل البدع؛ فإنه يجوز الترحم عليهم، وهذا شيء عليه السلف الصالح، ومنهم: أحمد بن حنبل، ودل على ذلك نصوص من كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومن سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي ينازع في هذا جاهل ضال» اهـ.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تفصيلٌ بديعٌ في هذه المسألة، حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «من علم منه النفاق والزندقة؛ فإنه لا يجوز لمن علم ذلك منه الصلاة عليه، وإن كان مظهرًا للإسلام؛ فإن الله نهى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة على المنافقين؛ فقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَقُصْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، وقال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦].

وأما من كان مظهرًا للفسق مع ما فيه من الإيمان كأهل الكبائر؛ فهؤلاء لا بد أن يصلي عليهم بعض المسلمين، ومن امتنع من الصلاة على أحدهم زجرًا لأمثاله عن مثل ما فعله، كما امتنع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة على قاتل نفسه،

(١) «منهاج السنة النبوية» (٥ / ٢٣٥).

(٢) «مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ ربيع بن هادي المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ» (١٤ / ١٥٩).

(٣) «الفتاوى الكبرى» (٣ / ١٨).

ومن العلماء المعاصرين الذين نصوا على جواز الترحم على أهل البدع:

الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (٦٦٦).

والإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «فتاوى الحرم المكي» (١٤١٢هـ) شريط رقم (١٥).

والإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز» (١٣ / ١٦١).

وعلى الغال، وعلى المدين الذي لا وفاء له، وكما كان كثيرٌ من السلف يمتنعون من الصلاة على أهل البدع كان عمله بهذه السنّة حسناً.

فإذا كان في ذلك مثل هذه المصلحة الراجحة كان ذلك حسناً، ومن صلى على أحدهم يرجو له رحمة الله، ولم يكن امتناعه مصلحة راجحة، كان ذلك حسناً، ولو امتنع في الظاهر ودعا له في الباطن ليجمع بين المصلحتين كان تحصيل المصلحتين أولى من تفويت إحدهما.

وكل من لم يعلم منه النفاق وهو مسلمٌ؛ يجوز الاستغفار له، والصلاة عليه، بل يشرع ذلك، ويؤمر به، كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ﴾ [محمد: ١٩].

وكل من أظهر الكبائر؛ فإنه تسوغ عقوبته بالهجر وغيره، حتى ممن في هجره مصلحة له راجحة؛ فتحصل المصالح الشرعية في ذلك بحسب الإمكان، والله أعلم اه^(١).

قلت: والخلاصة: أنه إذا كان في إظهار الترحم على أهل البدع تلميع لهم، وفتنة للآخرين، وتغريب بالعامّة فيترحم على أهل البدع سرّاً.



(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي -حفظه الله-، معلقاً على هذه الفقرة: «وأيضاً: فإن الترحم على المبتدع والعاصي ليس لإجلاله، بل رحمة به لعل الله أن يغفر له، فليس قولك في شأن مبتدع أو فاسق: رَحِمَهُ اللَّهُ، كقولك: قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ».

(٥١) الخلاف في وسائل الدعوة: هل هي توقيفية أم اجتهادية؟

يحصل بين بعض الدعاة خلافٌ شديدٌ في هذه المسألة، وهي مسألة اجتهادية يسوغ فيها الخلاف، وقد اختلف فيها كبار علماء العصر: فمن العلماء من قال: وسائل الدعوة توقيفية، وهو قول أكثرهم^(١). ومن العلماء من قال: وسائل الدعوة اجتهادية^(٢). ومن العلماء من قال بالتفصيل^(٣)، وهو الحق. فالوسائل المشروعة التي لا تخالف الكتاب والسنة مشروعة، والوسائل التي تخالف الكتاب والسنة ممنوعة^(٤).

(١) ينظر: رسالة: «الحجج القوية على أن وسائل الدعوة توقيفية» للشيخ عبد السلام بن برجس رحمهُ اللهُ، وقال في خلاصة الرسالة: «ومن قال: إن وسائل الدعوة توقيفية: شيخ الإسلام ابن تيمية، والتويجري، وبكر أبو زيد، والألباني، وابن باز، وغيرهم»، رحمة الله على الجميع. قلت: وكذلك الشيخ ابن عثيمين رحمهُ اللهُ كما في «لقاء الباب المفتوح» لقاء رقم (١٣٥).

(٢) كالشيخ عبد المحسن العباد -حفظه الله- على سبيل المثال. مقطع صوتي «هل وسائل الدعوة توقيفية».

(٣) كالشيخ مقبل الوادعي رحمهُ اللهُ، كما في «قمع المعاند» (٢/ ٣٩٦-٣٩٧)، والشيخ صالح الفوزان كما في «الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة» (ص: ٢٤-٢٥) حيث قال: «مناهج الدعوة توقيفية، أما الوسائل التي جدّت؛ فيستفاد منها»؛ ففرّق بين المناهج والوسائل، والشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- قال: «من قال: إن وسائل الدعوة توقيفية فقد أخطأ، ومن قال: إن وسائل الدعوة اجتهادية فقد أخطأ، والصواب: التفصيل» (مقطع صوتي).

(٤) قال الشيخ عبد العزيز البرعي -حفظه الله- معلقاً على هذه الفقرة: «الذي يظهر أن الخلاف صوري، فمن قال: وسائل الدعوة اجتهادية قال: يشترط ألا تصطدم بنص، والذين قالوا: هي توقيفية، جعلوا كل فرعٍ مرتبطاً بأصل، فجعلوا أشياء كثيرةً من المستجدات الدعوية داخلية =

مثال الوسائل المشروعة التي لا تخالف الكتاب والسنة: استخدام الإعلام
ووسائل التواصل الحديثة بالطريقة الصحيحة في بث الخير وتصحيح المفاهيم...
مثال الوسائل الدعوية التي تخالف الكتاب والسنة: الأناشيد والتمثيلات
الإسلامية زعموا،...



= ضمن أدلة نشر العلم أو ضمن أدلة الدعوة إلى الله هي نفسها يسميها الآخرون اجتهادية،
فالتقى الجميع والحمد لله اهـ.

(٥٢) عدم الموازنة في فقه المفسد والمصالح، وفقه المآلات

لا شك أن تقدير المصالح والمفاسد والموازنة بينهما في الدعوة ليس أمراً هيئاً، بل هو دقيقٌ جداً كدقة ميزان الذهب، وهو والحمد لله، منضبطٌ بضوابط الشرع ونصوصه وقواعده، ولا يصلح أن يقوم به إلا أهل العلم الراسخون، الذين عرفوا نصوص الكتاب والسنة، ودرسوا مقاصد التشريع الإسلامي، وميزوا بين أولويات الأحكام، وعرفوا كما قال شيخ الإسلام خير الخيرين وشر الشرين حتى يقدموا عند التزاحم خير الخيرين ويتركوا شر الشرين في العمل^(١)، فليس كل ما يُعلم يقال، ولا كل ما يقال قد جاء زمانه، ولا كل ما جاء زمانه جاء مكانه، ولا كل ما جاء زمانه ومكانه جاء رجاله، ولا كل ما حضر رجاله حضرت أحواله، ولا كل ما حضرت أحواله أمن عواره^(٢).

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**^(٣): «إن الشريعة مبناه على تحصيل المصالح بحسب الإمكان، وألا يفوت منها شيء، فإن أمكن تحصيلها كلها؛ حصلت، وإن تراحت ولم يمكن تحصيل بعضها إلا بتفويت البعض؛ قدّم أكملها وأهمها وأشدّها طلباً للشرع» اهـ.

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** (١٠/٥١٢)، «الاستقامة» (١/٤٣٩).

(٢) «نفائس الأصول في شرح المحصول» للقرافي **رَحْمَةُ اللَّهِ** (٦/٢٦٩٠) بتصرف.

تنبيه: هناك دورة علمية نفيسة في فقه الموازنة بين المفاسد والمصالح للشيخ سليمان الرحيلي حفظه الله، أنصح بسماعها (أقيمت الدورة في الإمارات، وتجدها في موقع الإمام الآجري).

(٣) «مفتاح دار السعادة» (ص: ٣٤٧).

فبعض من يعملون في حقل الدعوة إلى الله لا يحسنون الموازنة المذكورة، ولا يرجعون إلى أهل العلم الذين يحسنون هذا، فاستمروا في الدعوة يخبطون خبط عشواء؛ فضرروا أنفسهم وأضروا غيرهم.
وصدق القائل:

رَامَ نَفْعًا فَضَرَّ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَمِنْ الْبِرِّ مَا يَكُونُ عَقُوقًا^(١)
قال الشيخ العلامة زيد المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «إن الطيش والمغامرة والعشوائية في ميدان الدعوة إلى الله أمورٌ ليست رشيدةً، وتصرفات غير سليمة؛ بل إنها تفسد الأمور، وتدمر المعمور، وكم لها من عواقب وخيمة، ونتائج سقيمة، تتنافى مع الآثار الحسنة التي ثمرها الدعوة النبوية المستقيمة، وحقاً إن العاقل اللبيب ومحِب الحق الحبيب لتكفيه الإشارة عن صريح العبارة».



(١) «الديوان المنسوب للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ» (ص: ٦٧).

(٢) «مجموعة رسائل الشيخ زيد المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ» (ص: ١٨).

(٥٣) مسابقة بعض الصغار للكبار في التبديع، والتفسيق، والهجر،**وغير ذلك من المسائل العظام**

إن من يعيش في الساحة الدعوية يرى ويسمع هذا الواقع الذي ليس له من دون الله دافع، وهذه الراجفة التي ليس لها من دون الله كاشفة، وهي مسابقة الصغار للكبار في مسائل قد يختار فيها الكبار، وتتساقط فيها عمامة الأبحار، فتجد صغار طلاب العلم يبدعون فلاناً من الناس قبل أن يبدعه العلماء الكبار!، ويأمرون بهجره قبل أن يأمر بهجره العلماء الكبار!، بل قد يحكم الطالب الصغير على شيخه بالبدعة!، كل ذلك بالجهل والهوى.

والحكم على الأشخاص من المسائل الاجتهادية التي يجب ردها إلى العلماء؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]^(١).

فهذه المسألة قد راجت وماجت وشرقت وغربت ومزقت الدعوة وسببت لها الصداق المزمّن، فأصبح يتكلم في مسألة الجرح والتعديل الكبار والصغار، والرجال والنساء، والعلماء والجهال، على كل المقاسات^(٢) وعلى جميع المستويات،

(١) هناك صوتية للشيخ سليمان الرحيلي - حفظه الله - بعنوان «الصغار يحكمون على المشايخ الكبار» فاسمها غير مأمور.

(٢) للشيخ عبد العزيز البرعي - حفظه الله - كلامٌ نفيسٌ في هذا الموضوع اسمعه غير مأمور (مقطع صوتي)، حيث قال - حفظه الله -: «أصبح الجرح والتعديل في هذا الزمن على جميع المقاسات، رجالي، ونسائي، وولادي!».

مع أن علماء الجرح والتعديل على مر العصور عددهم محصورٌ في مقابل العلماء الذين لم يشتغلوا بالجرح والتعديل، فهم أعدادٌ لا يحصيهم إلا الله، ولما كان حصر علماء الجرح والتعديل ميسورًا؛ فقد جمعهم الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ^(١)، وأوصلهم إلى (٧١٥)، وهذا العدد من علماء الجرح والتعديل -على مر سبعة قرون من الزمن على اختلاف عصورهم وأمكنثهم- عدد قليل بالنسبة لتلك العصور المزدهرة بالرواية، والتي كانت فيها شدة الحاجة للجرح والتعديل، أما اليوم فهذا العدد من المجرحين والمعدلين قد يوجد في بلدٍ واحد وفي زمنٍ واحد!



(١) «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» مطبوع ضمن كتاب «أربع رسائل في علوم الحديث» للإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ.

(٥٤) عدم اعتبار تفاوت المجرحين والمعدلين في مسائل الجرح والتعديل

علماء الجرح والتعديل ليسوا على مستوى واحد في العلم والعقل والدين، وكذلك في المنهج، فمناهج المحدثين على سبيل المثال متفاوتة. فمنهم: المتشدد، ومنهم: المتوسط، ومنهم: المتساهل نسبياً^(١)، ولم يشنع علماء كل طبقة على الطبقة الأخرى ويخطئها. وهكذا في عصرنا نرى كبار علمائنا الأجلاء. منهم: من يشد على أهل البدع والأهواء والأحزاب الضالة، ويتخصص في الردود عليهم، ويُشكر على ذلك. ومنهم: من لم يكن مثله في الردود على أهل البدع والأهواء وإنما اشتغل بالتأليف والتحقيق والتصحيح والتضعيف، ويُشكر على ذلك. ومنهم: من اشتغل بالتدريس وعلم الفقه والعقيدة والتفسير، ونفع الله به نفعاً عظيماً. ومنهم: من جمع الله له ما تفرق عند غيره، ومع هذا يحب بعضهم بعضاً ويحترم بعضهم بعضاً، ويشيد بعضهم ببعض، ويثني بعضهم على بعض،

(١) مثال المتشددين: شعبة بن الحجاج، ويحيى بن سعيد القطان، ويحيى بن معين، وأبو حاتم الرازي. ومثال المتوسطين: سفيان الثوري، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، والبخاري. ومثال المتساهلين في توثيق المجاهيل: ابن خزيمة، وابن حبان، والعجلي. ينظر: «المقترح في أجوبة بعض أسئلة المصطلح» لشيخنا العلامة المحدث مقل بن هادي الوادعي (ص: ١٨٧)، رحمة الله على الجميع.

وخرجوا من هذه الدنيا، وهم على ذلك.

ولكن بلينا ببعض الشباب المجروحين عند بعض أهل العلم من أهل السنة والجماعة لما فيهم من الطيش والعجلة وقلة العلم وضعف البصيرة وقلة الخبرة والسبر للأحوال، وغير ذلك، قد نصبوا أنفسهم حاكمين ومجرحين ومعدلين وهم ليسوا أهلاً لذلك، ويريدون من الدعاة والعلماء أن يكونوا على نفس طريقتهم ومنهجهم وأسلوبهم في التحذير من أهل البدع رفعاً وخفضاً وإلا رموهم بسهام التميع والتساهل والغفلة^(١).

ومن العجيب الذي نشاهده في هذا العصر: أن بعضهم شديداً على المخالفين بلسانه، وفي واقعه خلاف ذلك، وبعض من يقال عنه: من المتساهلين تجده في الواقع من أبعد الناس عن أهل البدع والأهواء، وإن كان كلامه فيهم قليلاً، فالشدة على المخالف بالقول فقط ليست ميزاناً يحكم به على من خالفها بالتساهل.



(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي - حفظه الله - معلقاً على هذه الفقرة: «وهذه الطريقة غير صحيحة، بل خاطئة، بحيث طغت مادة الخصومة على الجرح والتعديل» اهـ.

(٥٥) التمييز والذوبان مع أهل البدع والأهواء والأحزاب الضالة ، وعدم التمييز عنهم منهم ضال مخالف للقرآن والسنة وما عليه سلف الأمة

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَفْضِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسَتِّيَنَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُؤُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

وقد حذر النبي ﷺ من جليس السوء حيث قال ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١).

وقد أجمع سلفنا الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ على وجوب مجانبة أهل البدع ومخالطتهم^(٢).

فالتمييع وعدم التمييز عن أهل البدع والأهواء فيه مفسد عظيم، منها:

(١) متفق عليه: «البخاري» (٥٢١٤)، «مسلم» (٢٦٢٨) واللفظ له، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد ذكرت هذه المسألة في كتابي: «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دور الحديث السلفية في الديار اليمينية» (ص: ٦٩) تحت فقرة: «التمييز عن بقية الدعوات المخالفة لدعوة أهل السنة والجماعة السلفيين»، وكتابي: «أقوال العلماء المعاصرين في حكم التعاون مع المخالفين».

(٢) لمزيد الفائدة: انظر: «عقيدة السلف» للصابوني، وكتاب «إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء» لخالد بن ضحوي الظفيري.

١- اغترار الناس البسطاء^(١) بأصحاب هذه الفرق والجماعات؛ فيتأثرون بمناهجهم وعقائدهم وسلوكياتهم لا سيما عندما يكون هذا المبتدع داعيةً إلى بدعته ومنهجه وطريقته الفاسدة بطريقة جذابة؛ فيتأثر قليلو المعرفة بما هو عليه.

٢- عدم التميز عن أهل البدع والأهواء فيه اغترار أصحاب هذه المناهج والفرق المبتدعة بأنفسهم؛ فيظنون أنهم على حق، وأنهم يحسنون صنعاً.

٣- عدم التميز عن أهل البدع يوجب الألفة والمحبة مع الوقت والسكوت عن منكراتهم، وهذا فيه تعطيلٌ لمسألة الولاء والبراء، وهذه المسألة أصلٌ من أصول الدين.

٤- إذا لم يكن هناك تميز عن أهل البدع؛ فلن تكون هناك سنة صافية من الكدر، ويصبح الناس في أمرٍ مريبٍ لا يميزون بين السنة والبدعة والحق والباطل.

٥- عدم التميز عن أهل البدع، فيه تقويةٌ لهم، وللباطل الذي عندهم.

٦- كيف لا يميز عن أهل البدع وهم يحملون أفكاراً مسمومةً، تُغذى بها عقول الناشئة من أبناء المسلمين.

فمنهم: من يكفر المسلمين.

ومنهم: من يطعن في العلماء الناصحين.

ومنهم: من يرى الخروج على ولاة أمور المسلمين بالثورات والانقلابات والمظاهرات وغير ذلك^(٢).

ومنهم: من يرى التنظيمات السرية والبيعات والعهود والاختيالات

(١) هذا حسب عُرف الناس في استخدام هذه الكلمة، وإلا فالبسط في اللغة هو: التوسع في الشيء.

(٢) ينظر كتابي: «الكشاف الجلي في بيان أكثر من ١٠٠ مفسدة في ثورات الربيع العربي».

والتفجيرات، ونحن نبرأ إلى الله من كل هذه الأفعال المخالفة للدين، ونحذّر المسلمين من مغبة الوقوع في هذه الانحرافات، أو أن يسلموا عقولهم وعقول آبائهم لمن كان هذا حاله.

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** وهو يبين أنواع المخالطة^(١): «القسم الرابع: من مخالطته الهلك كله، ومخالطته بمنزلة أكل السم؛ فإن اتفق لآكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس لاكثرهم الله، وهم أهل البدع والضلالة الصادون عن سنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الداعون إلى خلافها: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٤٥] اهـ.

وقال شيخنا الوداعي **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(٢): «ونصح أهل السنة أن يتميزوا وأن يبنوا لهم مساجد، ولو من اللبن أو سعف النخل؛ فإنهم لن يستطيعوا أن ينشروا سنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلا بالتميز، وإلا فالمبتدعة لن يتركوهم ينشرون السنة». وقال **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(٣): «لا تقوم السنة ولا تقوم لها قائمة إلا إذا حصل تميز، وتميز أهل السنة من أهل البدعة» اهـ.

هذه بعض مفاصد التميع وعدم التميز عن أهل البدع والأهواء، وهناك مفاصد أخرى تركناها للاختصار^(٤).

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٢٧٥).

(٢) «تحفة المجيب» (٢٠٨).

(٣) «غارة الأشرطة» (٢/ ١٨٨). وقد كان شيخنا الوداعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في مجلس من مجالس الشيخ ربيع **رَحِمَهُ اللَّهُ** فسأل شيخنا **رَحِمَهُ اللَّهُ**: بما انتشرت دعوتكم في اليمن؟ فقال: «بالتميز».

(٤) قال الشيخ عبد العزيز البرعي - حفظه الله - معلقاً على هذه الفقرة: «إن عدم التميز فيه تغيير بالبسطاء وطلبة العلم المبتدئين بأولئك المبتدعة، فيحضر دروسهم ومحاضراتهم، ويملاً جواله =

(٥٦) تلميع بعض أهل البدع بحجة الوسطية والاعتدال

إن مسألة الوسطية والاعتدال شائعة تعلق بها القريب والبعيد والمحق والمبطل.

وكلُّ يدعي وصلاً بليلى ولبلى لا تقر لهم بذلك من ذلك: أنك تجد بعض الدعاة يلّمع بعض رموز أهل البدع والأهواء والأحزاب الضالة، ويستدل بأقوالهم، ويذرُّ الرماد في العيون بقوله: مع التحفظ على بعض أخطائهم، أو على بعض كتبهم، أو على بعض مقالاتهم، وإن كنت أخالفهم في بعض الأمور، إلى غير ذلك من هذه العبارات المطاطة والكلمات الفضفاضة والعبارات الدبلوماسية التي لا يتفطن لها البسطاء من الناس، فإذا نصحته؛ قال: دعك من الغلو، وعليك بالوسطية والاعتدال!.

أقول: **الوسطية**: هي الاعتدال في جميع الأمور، والتوسط بين الإفراط والتفريط^(١) حسب الضوابط الشرعية.

فالإفراط: هو الغلو، ومجاوزة الحد في الشيء.

والتفريط: هو التقصير في الشيء أو تضييعه وتركه.

فليس من الغلو ولا من الهوى ترك ذكر حسنات أهل البدع والأهواء المخالفين للكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة، كما قال الفضيل بن عياض

من كلامهم، ويشتري كتبهم، ويحث على السماع لهم بحجة أنه لم ير من أهل السنة تحذيراً منهم
اهـ.

(١) ينظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (٦/ ٢٦).

رَحْمَةُ اللَّهِ^(١): «من عظم صاحب بدعة؛ فقد أعان على هدم الإسلام» اهـ.

وقال رافع ابن الأشرس رَحْمَةُ اللَّهِ^(٢): «من عقوبة الفاسق المبتدع: ألا تذكر محاسنه» اهـ.

فمدح أهل البدع والأهواء وذكر محاسنهم وتلميعهم يمنع منه بقصد إخماد بدعتهم وإطفاء نارهم، كما قال ابن دقيق العيد رَحْمَةُ اللَّهِ^(٣).

بل قد نبتت نابتة مدسوسة أو محسوبة على الدعوة السلفية لم يستطيعوا النجاح واللمعان والظهور في المدارس السلفية لقوة مناهجها العلمية وقوة تمسك أهلها بالحق، فبقيت أجسادهم في الدعوة السلفية ورحلوا بأهوائهم وقلوبهم إلى أهل البدع والأهواء، فتجددهم يلتمعون أهل البدع بجميع أشكالهم وأصنافهم وألوانهم، ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، ويصفونهم بأساطين العلماء والفقهاء -أي: الفقه المذهبي-، وأنهم من المسندين، وعندهم إجازات وأسانيد عالية إلى غير ذلك، ويذهبون للتلمذ على أيديهم، ودراسة الفقه على طريقة المذاهب^(٤)، مع أن

(١) «شرح السنة» للبرهاري رَحْمَةُ اللَّهِ (ص: ١٣٧).

(٢) «الصمت» لابن أبي الدنيا رَحْمَةُ اللَّهِ (ص: ٢٦٠).

(٣) فيما نقله عنه السخاوي رَحْمَةُ اللَّهِ، في «فتح المغيث» (٢/ ٦٤) بتصرف يسير.

(٤) نحن لا نمانع أن يدرس الطالب الفقه على مذهب بلاده ويتدرج فيه، بشرط:

١ - أن يكون المدرّس من علماء أهل السنة لا من علماء أهل البدع.

٢ - وأن يتجرد الطالب للدليل لا سيما إذا وصل إلى مرحلة الاتباع، وهي المرحلة الثانية.

قال ابن عبد البر والخطيب وغيرهما: «مراحل العلم ثلاثة:

المرحلة الأولى: مرحلة التقليد للمبتدئ.

المرحلة الثانية: مرحلة الاتباع -للمتوسط-

والمرحلة الثالثة: مرحلة الاجتهاد: وهي أعلى المراحل».

هؤلاء الفقهاء ربما يكونون من البسطاء في العلم جداً، ناهيك عن الخلل في المعتقد من تصوفٍ وبدعٍ وشركٍ وخرافاتٍ وبغضٍ لأهل السنة، وهذا المغفل أو المتغافل يرضع من هذه القاذورات ثم يمج ما ارتضعه منهم في وجوه أهل السنة ويتقيأ منهمجهم الخبيث بغضاً لمراكز أهل السنة ومدارسهم ودورهم ودعوتهم، وفي مراكز ومدارس أهل السنة فرسان في كل فن وميدان، وكلُّ الصيد في جوف الفراء، فمنهم: العَقَّ العسل ولا تسَلْ، ولله الحمد والمنة، ولكن كما يقال: المرعى أخضر والعنز مريضة، ومن خفيت علينا بدعته؛ لم تخف علينا ألفته.

قال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ^(١): «التلقي عن المبتدع: احذر «أبا الجهل» المبتدع، الذي مسه زيغ العقيدة، وغشيته سحب الخرافة، يحكم الهوى

= قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «جعل العلماء مراتب العلم ثلاثة:

الاجتهاد: وهو أرقى المراتب، وهو الذي يتمكن من فهم المسألة مباشرةً من الكتاب والسنة.
الاتباع: وهو المرتبة الثانية: وهو الذي يتمكن من فهم كلام المصبيين وأدلّتهم بعد عرضها، والاطلاع عليها، واتباع الدليل الأقوى ممن دونه.
المرتبة الثالثة: **المقلد؛** مثل العامي تماماً، هذا يقول له: حرام، يقول له: آمين، تقول: حلال، يقول: آمين». «دروس للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ» (٦/ ١٤).

٣- وألا يتعصب لهذا المذهب الذي يدرسه ويحقّر من المخالفين له.

تنبيه: نبهنا في هذا الكتاب أنه لا ينبغي للداعية الحكيم أن يخرج عن الأمر المألوف السائد في البلاد إذا كان لا يخالف الكتاب والسنة. ينظر فقرة: «إظهار خلاف الأمر السائد المشهور بين الناس ومخالفة عوائدهم في الأمور التي فيها سعة»، فعلى سبيل المثال: الأمر السائد في بلاد الحرمين السير على المذهب الحنبلي تبعاً للمجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، والأمر السائد في الدعوة السلفية في اليمن السير على طريقة ومدرسة أهل الحديث في الفقه المقارن تبعاً للمجدد مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ؛ فليس من الحكمة إحداث بلبلة داخل هذه المدارس.

(١) «حلية طالب العلم» (ص: ١٦٥-١٧٠).

ويسميه العقل، ويعدل عن النص، وهل العقل إلا في النص؟! ويستمسك بالضعيف ويبعد عن الصحيح، ويقال لهم أيضاً: «أهل الشبهات»، و«أهل الأهواء»، ولذا كان ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ يسمي المبتدعة: «الأصاغر».

وعن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «لا يؤخذ العلم عن أربعة:

(١) سفيه يعلن السفه، وإن كان أروى الناس.

(٢) وصاحب بدعة يدعو إلى هواه.

(٣) ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث.

(٤) وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به» اهـ.

فيا أيها الطالب... لا تأخذ عن مبتدع: رافضي، أو خارجي، أو مرجئ، أو قدري، أو قبوري...، وهكذا؛ فإنك لن تبلغ مبلغ الرجال -صحيح العقد في الدين، متين الاتصال بالله، صحيح النظر، تقفو الأثر- إلا بهجر المبتدعة وبدعهم. وكتب السير والاعتصام بالسنة حافلة بإجهاز أهل السنة على البدعة، ومنازمة المبتدعة، والابتعاد عنهم، كما يتعد السليم عن الأجرب المريض، ولهم قصصٌ وواقعات يطول شرحها، لكن يطيب لي الإشارة إلى رؤوس المقيدات فيها:

فقد كان السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى يحتسبون الاستخفاف بهم، وتحقيرهم ورفض المبتدع وبدعته، ويحذرون من مخالطتهم، ومشاورتهم، ومؤاكلتهم؛ فلا تتوارى نار سني ومبتدع.

وكان من السلف من لا يصلي على جنازة مبتدع، فينصرف، وقد شوهد من العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم (م سنة ١٣٨٩ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، انصرافه عن الصلاة

على مبتدع.

وكان من السلف من ينهى عن الصلاة خلفهم، وينهى عن حكاية بدعهم؛ لأن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة.

وكان سهل بن عبد الله التستري لا يرى إباحة الأكل من الميتة للمبتدع عند الاضطرار؛ لأنه باغ؛ لقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾ الآية [البقرة: ١٧٣]؛ فهو باغٌ بدعته.

وكانوا يطردونهم من مجالسهم، كما في قصة الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ مع من سألته عن كيفية الاستواء، وفيه بعد جوابه المشهور: «أظنك صاحب بدعة»، وأمر به، فأخرج.

وأخبار السلف متكاثرة في النفرة من المبتدعة وهجرهم، حذرًا من شرهم، وتحجيمًا لانتشار بدعهم، وكسرًا لنفوسهم حتى تضعف عن نشر البدع؛ ولأن في معاشرة السني للمبتدع تركية له لدى المبتدئ العامي -والعامي: مشتق من العمى، فهو يبد من يقوده غالبًا-.

ونرى في كتب المصطلح، وآداب الطلب، وأحكام الجرح والتعديل: الأخبار في هذا.

فيا أيها الطالب، كن سلفيًا على الجادة، واحذر المبتدعة أن يفتنوك؛ فإنهم يوظفون للاقتناص والمخاتلة سبلًا، يفتعلون تعبيدها بالكلام المعسول -وهو: (عسل) مقلوب- وهطول الدمعة، وحسن البزة، والإغراء بالخيالات، والإدهاش بالكرامات، ولحس الأيدي، وتقبيل الأكتاف... وما وراء ذلك إلا وحم البدعة، ورهج الفتنة، يغرسها في فؤادك، ويعتملك في شراكه، فو الله لا

يصلح الأعمى لقيادة العميان وإرشادهم.

أما الأخذ عن علماء السنة، فالحق العسل ولا تسل، وفقك الله لرشدك، لتنهل من ميراث النبوة صافياً، وإلا فليكن على الدين من كان باكياً. وما ذكرته لك هو في حالة السعة والاختيار، أما إن كنت في دراسة نظامية لا خيار لك؛ فاحذر منه، مع الاستعاذة من شره، باليقظة من دسائسه على حد قولهم: «اجن الثمار وألق الخشبة في النار»، ولا تتخاذل عن الطلب، فأخشى أن يكون هذا من التولي يوم الزحف، فما عليك إلا أن تبين أمره وتتقي شره وتكشف ستره.

ومن التنف الطريفة: أن أبا عبد الرحمن المقرئ حدث عن مرجئ، فقيل له: لم تحدث عن مرجئ؟! فقال: «أبيعكم اللحم بالعظام!».

فالمقرئ **رَحِمَهُ اللَّهُ** حدث بلا غرر ولا جهالة؛ إذ بين، فقال: «وكان مرجئاً». وما سطرته لك هنا هو من قواعد معتقدك، عقيدة أهل السنة والجماعة، ومنه ما في «العقيدة السلفية» لشيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (م سنة ٤٤٩ هـ)، قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «ويغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون أذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالأذان وقرت في القلوب، ضرت وجرت إليها من الوسائس والخطرات الفاسدة ما جرت وفيه أنزل الله **عَزَّجَلَّ** قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨] اهـ.

والنوي **رَحِمَهُ اللَّهُ** قال في كتاب «الأذكار»: «باب: التبري من أهل البدع

والمعاصي».

وذكر حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ «برئ من الصالحة، والحالقة، والشاقة». متفق عليه.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا براءته من القدرية. رواه مسلم.

والمبتدعة إنما يكثر ويظهرون، إذا قلَّ العلم، وفشا الجهل، وفيهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن هذا الصنف يكثر ويظهرون إذا كثرت الجاهلية وأهلها، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال، ويكشف ما في خلافتها من الإفك والشرك والمحال» اهـ.

فإذا اشتد ساعدك في العلم، فاقمع المبتدع وبدعته بلسان الحجة والبيان، والسلام» اهـ.



(٥٧) التحذير من الساكت في الحكم على بعض الدعاة أو المتوقف فيهم

ليتضح له أخطاؤهم

أقول: إن الدعاة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: إمامٌ في الضلالة متفق على ضلالته عند أهل السنة، فهذا يجب التحذير منه ومن شره قولاً واحداً، كلٌ يحذر بحسب الإمكان قلةً وكثرةً، على جهة العموم والخصوص حسب المصلحة الراجحة.

القسم الثاني: إمامٌ في السنة متفق عليه؛ فهذا من حذر منه يحذر منه ولا كرامة.

القسم الثالث: ليس بإمام في السنة ولا إمام في البدعة، وإنما هو لا يعدو أن يكون طالب علم وداعية، اختلفت فيه أقوال العلماء، فمنهم من يبدعه، ومنهم من يسنّه، فمن بدّعه بعلمٍ؛ فلا يُنكر عليه، ومن لم يبدعه بعلمٍ؛ فلا ينكر عليه، ومن توقف فيه حتى يتبين له أمره، وينظر في أدلة الطرفين، ويعمل بما يترجح عنده؛ فلا ينكر عليه؛ لأنه خلافٌ في شخصٍ، وهو خلافٌ سائغٌ إلا إذا اتفق علماء السنة على ضلاله أو جاء المجرّحون بأدلة واضحة بينة لا تُرد؛ فهنا لا يتوقف فيه.

قال الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «وقد اختلف الأئمة من أهل العلم في تضعيف الرجال كما اختلفوا في سوى ذلك من العلم» اهـ.

(١) «العلل الصغير» (ص: ٧٥٦).

وقال المنذري رَحِمَهُ اللهُ فِي رسالة في الجرح والتعديل^(١): «اختلاف هؤلاء كاختلاف الفقهاء، كل ذلك يقتضيه الاجتهاد» اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «فقد يعتقد أحد المجتهدين ضعف رجلٍ، ويعتقد الآخر ثقته وقوته، وقد يكون الصواب مع المضعف؛ لاطلاعه على سبب خفي على الموثق، وقد يكون الصواب مع الآخر؛ لعلمه بأن ذلك السبب غير قادح في روايته وعدالته...» اهـ.

وقال العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللهُ^(٣): «نحن متفقون على جرح أصحاب البدع والحزبيين، متفقون على هذا، بقي في أناس هم عند شخص من المجروحين، وعند آخر ليسوا من المجروحين، هذا حدث على عهد السلف؛ فرب راوٍ يقول فيه أحمد بن حنبل: ثقة، ويقول فيه يحيى بن معين: كذاب، أو العكس، وهكذا البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم، والمهم لا يقلد بعضهم بعضاً؛ فإذا اختلفنا في توثيق شخصٍ وتجريحه؛ فليس معنى هذا: أننا مختلفون في العقيدة! وليس معنى هذا: أننا مختلفون في الاتجاه» اهـ.

قلت: لله درك، نعم، الأصل أن الاختلاف في الأشخاص المختلف فيهم ليس اختلافاً في الاتجاه والسنة^(٤)، وامتحان الناس إنما يكون بالقرآن الكريم،

(١) «رسالة في الجرح والتعديل» (ص: ٤٧).

(٢) «الصواعق المرسلة» (٢/ ٥٥٦).

(٣) شريط «الدرر في أجوبة عبس وسفر».

(٤) قال الشيخ عبد العزيز البرعي - حفظه الله - معلقاً على هذه الفقرة: «الرجل المختلف فيه إذا كان حياً؛ فهذا الغالب الأغلب فيه الانحراف؛ لأنه لم يرحم الدعوة ولا علماءها، فهو يراهم مختلفين فيه وهو واضح رجلاً على أخرى وكأن الأمر لا يعنيه، وكان يقدر أن يجلو حاله لهم، ويقول لهم: =

والسنة النبوية الصحيحة، والإجماع الصحيح، وعقيدة أهل السنة والجماعة، وفهم الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، وأصول أهل السنة والجماعة، والأئمة الأعلام، كالإمام أحمد، ومالك، والإمام ابن باز، والألباني... ومن كان مثلهم، هذا هو الميزان السلفي، رحمة الله على الجميع.



= دعوتي دعوتكم، وأنا أخوكم وليس عندي سوى ما عندكم، ثم يزورهم ويستزيرهم ويحاضرون عنده ويخطبون ويحاضر عندهم ويخطب وينتهي كل شيء، إذًا: سكوته دال على لوث^١ اهـ.

قلت: السعي في تلمس العذر بعدم قيامه بما يراه منه أرفق به وأدعى لتحسن حالته، والعبرة بالخواتيم، والذين اختلفوا فيه هم أهل السنة، فإذا ذهب إلى هؤلاء من أهل السنة، بدّعه الطرف الثاني من أهل السنة؛ فهو بين أمرين، أحلاهما مر!

(٥٨) إن لم تكن معي؛ فأنت ضدي مطلقاً بغير قواعد علمية أو ضوابط

شرعية!

لا شك أنه يوجد من هو محسوبٌ على أهل السنة والجماعة، وهو يسير على قاعدة: «إن لم تكن معي في اجتهادي، - وفيما أتفرد به من مفاهيم ضيقة وآراء شاذة أو ضعيفة-؛ فأنت ضدي!».

وهذا مبدأ فاسدٌ، لو كان هذا حاصلاً بين أهل الحق من أهل السنة والجماعة.

فقد اختلف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مسائل كثيرة، ولم يُنقل عن واحد منهم أنه قال بلسان حاله أو مقاله: إن لم تكن معي فأنت ضدي!.

واختلف الأئمة الأربعة رَحِمَهُمُ اللَّهُ، أصحاب المذاهب المتبعة، في مسائل كثيرة، ولم يقل واحد منهم: إن لم تكن معي فأنت ضدي!.

واختلف علماء الحديث رَحِمَهُمُ اللَّهُ، كالبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، في مسائل في علم الحديث وفي الجرح والتعديل وغير ذلك، ولم يقل واحد منهم: إن لم تكن معي فأنت ضدي!.

واختلف الألباني، والباز، والعثيمين، والوادعي رَحِمَهُمُ اللَّهُ، في مسائل كثيرة:

• فقد اختلفوا في الحكم على بعض الرجال.

• واختلفوا في مسائل علمية فرعية.

• واختلفوا في مسائل عملية فقهية.

• واختلفوا في التصحيح والتضعيف.

- واختلفوا في تفسير بعض آيات القرآن.
- واختلفوا في فهم بعض الأحاديث، وغير ذلك.
- ولم يقل واحد منهم للآخر: إن لم تكن معي فأنت ضدي.
- وصدق العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ حينما قال عن هذا المبدأ^(١): «ومبدأ (من ليس معي؛ فهو عليّ) مبدأ خبيث!!» اهـ.
- أي: إذا كنت معي؛ فأنت قديس!!، وإذا كنت ضدي؛ فأنت إبليس!!.
- ولسان حالهم يقول: إذا لم تتفق معي في كل تفاصيل حياتي ودعوتي وأحكامي وحبّي وبغضي وأسلوبي وطريقة اجتهادي؛ فأنت ضدي في الهدف والرسالة والمنهج.
- فلم يكن الأمر سجلاً علمياً بين المختلفين يصوبه الدليل، ويزينه الأدب، ويحتويه الحلم والعلم؛ بل هي شهوات وشبهات؛ ﴿ظَلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِرْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].
- وصدق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما قال عندما ذكر عنده الدجال: «لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال...»^(٢).
- وكان شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ يردد ما بين حين وآخر: «أخوف ما أخاف على الدعوة من أهلها».

(١) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٢٦ / ٢٣٩).

(٢) صحيح. رواه «أحمد» (٢٣٣٠٤)، «ابن حبان» (٦٨٠٧) عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٨٢)، وشيخنا الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٣٠٦)، رحمه الله على الجميع.

(٥٩) عدم ضبط وفهم أنواع الخلاف

من المسائل المهمة التي يحتاجها الداعية، ويتشبع بفهمها ودراستها وتحقيقتها:

ضبط وفهم أنواع الخلاف **بأقسامه الثلاثة**: خلاف التنوع، وخلاف الأفهام، وخلاف التضاد.

١- **خلاف تنوع**: وهو الخلاف بسبب ورود الدليل بهذا وهذا، تخييراً وتوسعةً للمسلمين؛ فهو خلافٌ مشروع، والأفضل العمل بهذا أحياناً وبهذا أحياناً، ومن اقتصر على عمل أحدهما؛ فلا بأس.

قال الشيخ ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(١): «والقاعدة: أن العبادات الواردة على وجوه متنوعة، ينبغي للإنسان أن يفعلها على هذه الوجوه، وتنويعها فيه فوائد: **أولاً**: حفظ السنة، ونشر أنواعها بين الناس.

ثانياً: التيسير على المكلف؛ فإن بعضها قد يكون أخف من بعض فيحتاج للعمل.

ثالثاً: حضور القلب، وعدم ملله وسأمته.

رابعاً: العمل بالشرعية على جميع وجوهها» اهـ.

٢- **خلاف أفهام**: وهو الخلاف الذي يكون بسبب الاختلاف في فهم الدليل، أو الاختلاف في ثبوته، أو في نسخه، أو في الجمع بينه وبين غيره من

(١) «الشرح الممتع» (٢/ ٥٦-٥٧).

الأدلة، وهذا النوع من الخلاف جائز، كل واحد يرجح ما يراه بالدليل، ويعمل بالراجح، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر، وللأسف الشديد أكثر خلاف أهل السنة في هذا النوع من أنواع الخلاف.

٣- خلاف تضاد: وهو مخالفة النص الصحيح الصريح بلا تأويلٍ سائغ، وهذا النوع الثالث من أنواع الخلاف هو المذموم والمحرم لما فيه من المشاقة لله ولرسوله ﷺ واتباع لغير سبيل المؤمنين^(١).

قال العلامة عبد المحسن العباد - حفظه الله -^(٢): «الحق لا يتنوع إلا في اختلاف التنوع، أما اختلاف التضاد فلا، كأن يكون الأمر حلالاً وحراماً، أو تبطل به الصلاة، وتصح به الصلاة، أو ينقض الوضوء ولا ينقض الوضوء، فكل هذا من قبيل اختلاف التضاد، والمصيب فيه واحد فقط».

(١) ومن العلماء من قال: الخلاف ينقسم إلى قسمين:

١ - خلاف تنوع.

٢ - خلاف تضاد.

وخلاف التضاد ينقسم إلى قسمين:

١ - خلاف سائغ معتبر، وهو خلاف الأفهام، وهو جائز.

٢ - خلاف غير سائغ ولا معتبر، وهو المذموم المحرم.

فالأول: إنها هو اختلاف في الفهم، لا يصادم نصاً ولا إجماعاً.

والثاني: لا يعتمد على الأدلة الشرعية، وإنما يعتمد في الغالب على الهوى والرأي المجرد، أو الأدلة الضعيفة بعيدة المأخذ.

انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (١٤٩/١ - ١٥٣).

(٢) «شرح سنن أبي داود» (٧٠ / ٣).

(٦٠) إلقاء الدروس والمحاضرات والندوات في مساجد أهل البدع

الأصل في إلقاء المحاضرات والدروس في مساجد أهل البدع هو المنع لما يترتب على ذلك من المفساد، ويكتفى في إقامتها بمساجد أهل السنة ليحصل بذلك التميز عن المبتدعة ومجانبتهم والبعد عنهم، وهذا مقصدٌ من مقاصد الشرع الحنيف؛ قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقد أجمع سلفنا الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ على وجوب مجانبة أهل البدع ومخالطتهم^(١)؛ لأن في مخالطتهم وعدم التميز عنهم مفسد عظيم، منها ما يلي:

- (١) التغرير بالعامّة وإيهامهم صواب ما عليهم أهل البدع.
- (٢) ومنها: اغترار المبتدعة بأنفسهم حيث يظنون أنهم على حق، وأنهم يحسنون صنعا.
- (٣) ومنها: أن ذلك سبب موجب للألفة والمحبة التي يُكسر بها حاجزُ الولاء والبراء الشرعيين مع أهل البدع.
- (٤) ومنها: اختلاط السنة بالبدعة فيصير الناس في أمر مريب فلا يميزون بين سنة وبدعة ولا بين محق ومبطل.
- (٥) ومنها: أن في ذلك تقوية لهم، وللباطل الذي عندهم، وهناك مفسد

(١) لمزيد الفائدة: ينظر: «عقيدة السلف» للصابوني، وكتاب «إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء» لخالد بن صَحْوِي الظفيري.

أخرى ذكرتها في موضع آخر من هذا الكتاب^(١).

إلا أنه يمكن أن يفصل القول في هذه المسألة بالنظر إلى ما يترتب على ذلك من مصالح أو مفسد، وذلك يختلف باختلاف مراتب أهل البدع، واختلاف الأماكن والمساجد التابعة لهم فيقال: إن المساجد التابعة لأهل البدع على قسمين: القسم الأول: مساجد هي مجمع لرؤوس أهل البدع، عُرِفَتْ بهم وعرفوا بها؛ فهذه المساجد لا يُذهب إليها ولا يُحاضر فيها ولا يُخطب ولا يُدرّس فيها؛ لرجحان المفسدة في ذلك، خاصة إذا كان الخطيب السلفي أو المحاضر أو المدرس ممن يشار إليه، وله شأن بين الناس وأثر ظاهر في المجتمع؛ لأنهم قد يستغلون مجيئه لصالحهم من أوجه كثيرة، ويتأكد المنع في ما إذا كان لا يمكنه أن يصدع بما يراه من الحق أو كانوا يريدون أن يملوا عليه ما هم عليه من باطل، فإن كان الأمر كذلك؛ فلا يحاضر عندهم، ولا يغشاهم في مساجدهم كما قرر ذلك جمع من كبار أهل العلم في هذا العصر.

ومن ذهب إليهم من أهل العلم والفضل فأمره لا يخلو من حالين:

الأول: إما أنه لا يعرف حال من نزل فيهم على وجه الحقيقة؛ فحينئذٍ يُنصح له، ويبين له الأمر بأدبٍ وبيّنة، فإن اقتنع فيها ونعمت، وإن لم يقتنع فله اجتهاده الذي يدور فيه بين الأجر والأجرين ويجب أن تحفظ له كرامته ويعرف له فضله ومكانته.

الثاني: وإما أنه يعرف حالهم وحقيقتهم، ولكن ترجحت عنده المصلحة في

(١) تحت عنوان: «التميع والدوبان مع أهل البدع والأهواء والأحزاب الضالة، وعدم التميز عنهم منهجٌ ضالٌ يخالف للقرآن والسنة وما عليه سلف الأمة».

الحضور لمعالجة ما هم عليه من باطل وإصلاح ما هم فيه من خطأ؛ فهذا بمنزلة الطبيب الذي يذهب لمعالجة المريض في بيته، فإن حصل الشفاء كان هو المطلوب وإلا فلا ضرر على الطبيب في ذلك، ولكن هذا ليس إلا لأهل العلم من ذوي الرأي والبصيرة، وأما طلبة العلم وخاصة المبتدئين منهم فليس لهم ذلك، بل عليهم أن ينأوا بأنفسهم، وأن يستعملوا الحجر الصحي لينجوا به من المرض ويسلموا من الداء؛ إذ لا يؤمن عليهم من ذلك، والسلامة لا يعدها شيء.

قال العلامة سليمان الرحيلي - حفظه الله - ^(١): «تعاملنا مع إخواننا الذين يتأولون، وقد يتمسكون بفتاوى لبعض مشايخنا؛ فنحن لا نوافقهم، وإذا لقيناهم نصحبهم وإذا سئلنا أجبنا بما نعتقد، ولكننا لا نقدح في إخواننا، من عُرِفَت سلامته وعرف أنه على الجادة لكنه تأول وذهب إلى مثل هذه المجالس التي وردت في السؤال أو استفتى عالماً من علمائنا فأفتاه، فذهب؛ فإننا نعذره، ولا نحمل عليه، ولا نقول كما يقول بعض إخواننا: ذهب إليهم فألحقه بهم؛ فإنه ما ذهب إليهم مواداً ولا ذهب إليهم موافقاً وإنما ذهب إليهم داعية إلى الحق متاولاً؛ فهذا أمر ينبغي التنبه إليه أيها الإخوة، وأن يكون موقفنا من إخواننا الذين يتأولون في مثل هذا الأمر موقف العدل، نُصح وبيان، مع عدم قدح وإسقاط لمثل هؤلاء الفضلاء.

قلت: وتطبيقاً لهذا فقد كان العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ يَحْضُرُ في بداية الدعوة السلفية في اليمن في مساجد أهل البدع لعدم وجود

(١) «حكم ذهاب بعض المشايخ لإلقاء المحاضرات في التجمعات المخالفة لمنهج السلف» (مقطع صوتي).

مساجد سلفية في تلك المدينة بحكمة بالغة وأسلوب رائع جميل، يؤدي الغرض ولا يدخل الدعوة في مآزق ومرض^(١)، وعندما قويت الدعوة السلفية في اليمن

(١) وأذكر هنا قصة لطيفة حصلت لي مع شيخنا العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله، وذلك حين نزل إلى تهامة زيارة للحديدة؛ فذهبت إليه في سكنه مع شيخنا العلامة محمد بن عبد الوهاب الوصابي رحمه الله وبعض مشايخ الحديدة نطلب منه أن يحاضر في أكبر مقر وتجمع للإخوان المسلمين في الحديدة، ويسمى بمعهد النور العلمي، وذلك في بداية الدعوة وقبل المفاصلة الكاملة مع الإخوان المسلمين؛ فرفض الشيخ مقبل رحمه الله، وقال: «نحاضر في مساجد أهل السنة وكفى»؛ فقلت له: شيخنا - بارك الله فيك - هناك شريط للشيخ الألباني رحمه الله في «سلسلة الهدى والنور» يتكلم فيه عن رحمة أهل السنة بالمخالفين، وأن الدعوة السلفية رحمة للجميع حتى بالكفار؛ فقال لي الشيخ مقبل رحمه الله، وهو يعلم مثل هذا الكلام: خيراً إن شاء الله، ائنتي بالشريط يا أخانا محمد؛ فذهبت إلى مكتبي في مركز السلام العلمي بالحديدة، وكان عندي مكتبة صوتية، فيها أكثر من خمسة آلاف شريط كاسيت كلها شروح لكبار علماء العصر: ابن باز، وابن عثيمين والألباني، والوادعي، والفوزان، والعباد، ومحمد أمان، وصالح آل الشيخ، وغيرهم كثير.

فبحثت عن هذا الشريط وعن الكلمة التي قال فيها الشيخ الألباني: «الدعوة السلفية رحمة بالمخالفين حتى بالكفار»، وتعبت تعباً شديداً، وكنت أتصبب عرقاً خوفاً من أن لا أجد هذا الشريط وأخرج أمام الشيخ، ثم وجدته في آخر المطاف؛ ففرحت فرحاً شديداً والحمد لله، بعد أن كاد المسجل أن يخرب، فانطلقت به إلى الشيخ، فاستمع له، ثم وافق أن يحاضر في صرح من صروح الإخوان المسلمين في الحديدة، وفعلاً أعلنت المحاضرة، وحضرت الجموع الغفيرة من الطرفين في رغبة ورهبة، وفرحة ممزوجة بالخوف والتوتر من الطرفين، وكانت ليلة مهيبة، أتوا بخطيبهم وفصيحهم وبلغهم يقدم لشيخنا الوادعي رحمه الله، فقدّم له مقدمة حافلة رائعة، وأضفى عليه ألقاب الثناء والمدح، ثم قام الشيخ مقبل رحمه الله وحاضر عن موضوع بعيد كل البعد عن الوضع الذي كنا فيه في تلك الليلة، حيث حاضر عن فضائل أهل اليمن وعلماء أهل اليمن، والرحلة إليهم، فأبدع فيها غاية الإبداع، ورفع رؤوس أهل السنة في ذلك المحفل الكبير، ثم ختم هذا اللقاء فضيلة شيخنا العلامة الحكيم محمد بن عبد الوهاب الوصابي رحمه الله ثم عندما =

وكثرَت المساجد الكبيرة الواسعة - والله الحمد - كان لا يشجع على المحاضرات في مساجد أهل البدع والحزبيين، ويضيق في هذا الأمر إلا ما ندر منه **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وكان في المقابل الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب الوصابي **رَحْمَةُ اللَّهِ** يحاضر في مساجد أهل البدع في الحديدة وغيرها، ونفع الله به في ذلك نفعا عظيما، وكان الشيخ مقبل يعلم منه ذلك، ومع ذلك لم يختلفا في هذه المسألة طرفة عين؛ فلنكن جميعا كذلك، وليكن لنا بأهل الفضل والعلم أسوة في سلوكهم وتعاملهم مع بعضهم عند الاختلاف في مثل هذه المسائل.

القسم الثاني من المساجد: مساجد تابعة لهم لكنها عامة، يحاضر فيها كل من هب ودرج، وأئمة هذه المساجد وخطبائها من عوام أهل البدع المغمورين غير المشهورين أو المتعصبين؛ فهذه المساجد لا بأس أن تقصد ويحاضر فيها ويخطب ويدرس لما في ذلك من المصلحة الراجحة، وهذا الذي قرره عامة علمائنا في هذا العصر، قولاً وفعلاً والله أعلم.

فلا بد أن نستغل كل منفذ صحيح لتعليم الناس التوحيد والسنة الصحيحة، فنحذرهم من الشرك والبدع والخرافات بعلم وحكمة ورحمة وأسلوب حسن جذاب، وأن نستدل لكلامنا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية

= عاد شيخنا مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** إلى دماج بعد رحلته الدعوية الماتعة إلى الحديدة قال: ليتني لم أستجب للإخوة في الحديدة بالمحاضرة عند الإخوان المسلمين؛ فابتسمنا وقلنا: قدر الله وما شاء فعل، والله ما أردنا إلا الخير؛ فإن الإخوان المسلمين كانت لهم صولة وجولة ودعوة قوية في الحديدة، وحصل لإخواننا السلفيين من بعضهم الظلم بأشكاله وأنواعه فأردنا التخفيف والتهذئة المؤقتة وأردنا الخير للغير، والله المستعان.

الصحيحة، وأن نستدل بكلام أهل العلم المتفق على جلالتهم وفضلهم بيننا وبين من نخالفهم كأمثال أحمد والشافعي ومالك والبخاري وغيرهم حتى يتحقق النفع وتذهب النفرة التي قد تحول دون حصول الانتفاع بالدرس أو الموعظة.

وإليك هذه القصة الرائعة للعلامة ربيع بن هادي المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ عندما ذهب دعوة إلى الله إلى بلاد السودان، حيث كان يحاضر في مساجد أهل البدع من الصوفية وغيرهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «لما ذهبت إلى السودان، نزلت في بور سودان، فاستقبلني شباب أنصار السنة، وقالوا يا شيخ؛ نلفت نظرك إلى شيء؛ قلت: تفضلوا. قالوا: تكلم بما شئت، قل: قال الله قال رسول الله، واطعن بما شئت في البدع والضلالات؛ من دعاء غير الله، والذبح والنذر، والاستغاثة وهكذا، لكن لا تقل: الطائفة الفلانية، ولا: الشيخ الفلاني! لا تنص على التيجانية من الفرق ولا الباطنية ولا رؤوسهم، لكن؛ اسرد العقائد، وستجد نفسك قد قبل منك الحق؛ قلت لهم: طيب، فسلكت هذا المسلك، فوجدت إقبالاً عظيماً من الناس، ولا تظن - يا طالب العلم - أن من تمام المنهج الحق: أنه لا بد أن تسبب شيوخهم، وتطعن فيهم؛ فإن الله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

تسبب الشيخ أو تقول: ضال أو كذا! أو الطريقة الفلانية!؛ فإنهم عندها ينفرون منك، فتأثم، وتكون قد نفرت الناس، وإنكم إذن منفرون.

(١) «مجموع كتب ومقالات العلامة ربيع رَحِمَهُ اللَّهُ» (١ / ٤٧٧ - ٤٧٨).

والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أرسل معاذًا وأبا موسى إلى - اليمن - قال: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا»^(١).

فهذه من الطرق التي فيها التيسير، وفيها التبشير، وما فيها تنفير؛ ووالله ما دخلت مسجدًا إلا وأرى التهلل في وجوههم، ولا أستطيع الخروج من كثرة المقبلين علي يصافحونني، ويدعونني، ثم رأيت رؤوس الصوفية - الشياطين - خطورة هذا السلوك وهذا المنهج في الدعوة، فاجتمعوا وتآمروا ونسقوا لأنفسهم كلاما يردون به علي، وأعلنوا لي عن محاضرة في ميدان كبير، فاجتمعنا في هذا الميدان، وتكلمت فقام كبيرهم، وعلق على كلامي وبدأ يميز الاستغاثة، ويميز التوسل، ويقول بتعطيل الصفات، ويقول ويقول. ويؤيد كل الأباطيل بتأويلات فاسدة، فلما فرغ - وما عنده من أدلة، وقد أتى بأحاديث ضعيفة موضوعة، وجاء بأقوال الأسقراطيين. قلت: يا جماعة، سمعتم كلامي، وأنا أقول: قال الله قال الرسول، قال علماء الأئمة المعتبرون، وهذا الرجل جاء بأحاديث موضوعة، وما أسعفه القرآن بشيء! هل سمعتم: قال الله كذا في جواز الاستغاثة بغير الله؟! وفي إجازة التوسل؟! هل سمعتم كلام الأئمة الكبار مثل مالك وأمثاله؟!، ما سمعتم، إنما سمعتم أحاديث موضوعة، وأحاديث ضعيفة، وكلامًا الأناس معروفين عندكم أنهم خرافيون؛ فقام الخرافي يسب ويشتم! وأنا أضحك، لا سببته، ولا شتمته، وكنت لا أزيد على قولي بارك الله فيك، جزاك الله خيرا، جزاك الله خيرا، بارك الله فيك، وافترقنا، فوالله الذي لا إله إلا هو أصبحوا في اليوم

(١) متفق عليه: «البخاري» (٤٣٤١)، «مسلم» (١٧٣٣).

الثاني يتحدثون في المساجد والأسواق أن الصوفية هزمت؛ فتعلموا يا إخوان هذه الأساليب الشرعية الصحيحة فالقصد هداية الناس، والقصد إيصال الحق إلى قلوب الناس.

وسئل سماحة المفتي العلامة صالح الفوزان - حفظه الله - ^(١) بالسؤال التالي: «أنا من خارج هذه البلاد وأكثر المساجد عندنا تابعة لأهل البدعة؛ فهل يجوز لطالب العلم أن يلقي الدروس والمحاضرات والخطب في مساجدهم ومؤتمراتهم؟ وهل هناك شروط لجواز ذلك والقيام به؟

فأجاب - حفظه الله -: «نعم، إذا مكنوه من ذلك أن يقول الحق وأن يبين، هذه فرصة له أن يتكلم، وهذا وقت الحاجة، ومكان الحاجة».

وسئل محدث الحجاز العلامة عبد المحسن العباد - حفظه الله ^(٢) - بالسؤال التالي: «ما حكم التدريس أو الدعوة في مساجد أهل البدعة أو مراكزهم؟

فأجاب - حفظه الله -: «الدعوة في مساجد أهل السنة، هذا هو المطلوب وإذا ذهب... لأولئك وألقى فيهم... كلاماً.. في بيان السنة وبين خطر البدعة؛ فإن هذا طيب... ما دام أنه سيمكن من الكلام في بيان السنة، أما إذا كان يتكلم بالشيء الذي يشتهونه... فلا يذهب.

وسئل محدث العصر العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ ^(٣) عن حكم إلقاء المحاضرات

(١) «هل يجوز لطالب العلم إلقاء الدروس والمحاضرات والخطب في المساجد التابعة لأهل البدع؟» (مقطع صوتي).

(٢) «ما حكم التدريس أو الدعوة في مساجد أهل البدع ومراكزهم؟» (مقطع صوتي).

(٣) «سلسلة الهدى والنور» شريط: ٨٩٦.

والندوات في مقر الجماعات المخالفة لمنهج السلف الصالح؟

فأجاب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «... خلاصة الجواب: التجاوب مع هذه الجماعات

- بإلقاء المحاضرات والدروس عندهم بشرط أن تكون كلمتك تؤيد دعوتك ولا تداريهم ولا تماريهم».

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ^(١): «إذا كان حسب أهوائهم ورغباتهم فلا يرضى ولا يحضر، وأما إذا خيره في الكلام؛ فلا مانع، يفرض ولا يفرض عليه».

وسئل مفتي المدينة النبوية العلامة صالح بن سعد السحيمي - حفظه الله^(٢)

- بالسؤال التالي: هل يجوز لطالب العلم السلفي أن يذهب - أي: عند أهل البدع - ليلقي المحاضرات والندوات في دور أهلها بالجملة...؟

فأجاب - حفظه الله -: «نعم، - يجوز - بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن لا يكون ذلك في مناسبة انعقاد مناسبات عندهم كمناسبات الموالد ونحو ذلك، أو مناسبة إحياء ذكرى أحد قادة الحزبيين في هذا العصر.

والشرط الثاني: أن يكون متمكناً بما يريد إلقاءه - أي: أن يكون المتكلم متمكناً قوياً، وأن يتكلم بما يريد هو لا بما يريدون هم.

الشرط الثالث: أن لا يستغلوه في تكثير سوادهم، فإذا غلب على ظنك أنهم يقولون: «والله نحن زارنا الشيخ فلان، وألقى عندنا المحاضر فلان»؛ ففي هذه الحالة ابتعد عنهم ولا تقربنهم، وابحث عن الذين يستفيدون من محاضراتك، هذا

(١) «حكم إلقاء طلبة العلم السلفي محاضرات في مساجد الحزبيين» (مقطع صوتي).

(٢) «حكم المحاضرة في مساجد الحزبيين» (مقطع صوتي).

الذي يظهر لي في الجواب على سؤالك».

وسئل العلامة زيد المدخلي رَحِمَهُ اللهُ^(١) بالسؤال التالي: «إذا طلبني مبتدعة لأذهب إلى مسجدهم لو عظمهم وإلقاء الخطب، هل علي الذهاب أم أرفض؟».

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: «لا، لا ترفض، إذا طلبوا أهل البدع في المسجد أن تخطبهم أو تعظهم أو تقيم ندوة أو محاضرة، ولكن عليك أن تهدف على البدع التي هم واقعون فيها تهدف عليها، وتبين ضررها، وتدل من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ فلعل الله عَزَّوَجَلَّ يهدي بالكلمة والموعظة والخطبة من يهدي من عباده؛ فيكون لك الأجر، والله أعلم».

وسئل العلامة عبيد الجابري رَحِمَهُ اللهُ^(٢) بالسؤال التالي: «ما حكم إلقاء المحاضرات في مساجد أهل البدع؟».

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: «أولاً: الذي أعلمه أن أهل البدع على ضربين: القسم الأول: منصف يقبلون الحق، وإن كان قبولهم ليس تاماً لكن يصغون إليه ولا يعارضون، ويتركون الحضور على ما هم عليه، وهؤلاء هم المسؤولون عن المساجد العامة التي يأتيها هم وغيرهم، فهذه المساجد نجيب الدعوة ليتنفع الحاضرون من أهل السنة، وفيه مؤازرة لهم،... وتقوية لعزمهم وتثبيتهم على السنة».

القسم الثاني: وينقسم إلى قسمين:

قسم: مساجدهم مغلقة، لا يأتيها غيرهم، ولا يتيحون الفرصة لمن ليس

(١) «ما حكم إلقاء المحاضرات في مساجد أهل البدع؟» (مقطع صوتي).

(٢) «حكم إلقاء المحاضرات في مساجد أهل البدع» (مقطع صوتي).

على نهجهم إلا حينما يأتي صاحب سنّة، فاللقاء المحاضرات في مساجدهم وكذلك نواديتهم الخاصة بهم هذا شدّ أزر لهم، وتوهين لعزم أهل السنة، فإجابتهم باطلة خطأ وضرر على أهل السنة.

القسم الآخر: من يتكلمون ويتصدرون بعد إلقاء المحاضرة بتعليق؛ يعني في حين وجود المحاضر أو بعده بتعليقات يلقون فيها الشبه؛ فكذلك لا تحضر هذه المساجد».

قلت: تلخيص شروط جواز إلقاء المحاضرات في مساجد أهل البدع من كلام أهل العلم ما يلي:

الشرط الأول: التمكين من قول الحق دون قيود.

هذا هو الشرط الأساسي الذي قاله العلماء، وهو أن يكون الداعية حرّاً في طرح ما يعتقد من الحق دون أي إملاءات أو شروط من أصحاب المكان. حيث قال الشيخ الفوزان: «نعم، إذا مكنوه من ذلك أن يقول الحق وأن يبين، هذه فرصة له».

وقال الشيخ العباد: «... ما دام أنه سيُمكن من الكلام في بيان السنة، أما إذا كان يتكلم بالشيء الذي يشتهونه...؛ فلا يذهب».

وقال الشيخ الألباني: «بشرط أن تكون كلمتك تؤيد دعوتك ولا تداريهم ولا تماريهم... يفرض ولا يفرض عليه».

وقال الشيخ السحيمي: «أن يتكلم بما يريد هو لا بما يريدون هم».

الشرط الثاني: الأهلية العلمية للداعية.

يجب أن يكون المتحدث متمكناً من مادته العلمية، طبيباً ماهراً قادراً على

تأصيل الحق والرد على الشبهات التي قد تُثار، وإلا فقد يضر أكثر مما ينفع.

قال الشيخ السحيمي: أن يكون المتكلم متمكناً قوياً.

ومفهوم كلام الشيخ عبيد الجابري: عندما حذر من الذهاب إلى من يعلقون على المحاضرة ويلقون الشُّبه، يُفهم منه ضرورة أن يكون المحاضر قادراً على دفع هذه الشبهات.

ومفهوم قصة الشيخ ربيع: قدرته على الرد على كبيرهم بأدلة قوية ومنطق واضح تظهر أهمية التمكن العلمي.

الشرط الثالث: الحكمة في الطرح والأسلوب الحسن.

لا يكفي قول الحق، بل يجب قوله بأسلوبٍ حكيم يضمن قبوله بإذن الله، ويحقق المقصود، وهو هداية الناس، لا مجرد إثبات الذات أو التنفير.

كما نصح الإخوة في السودان الشيخ ربيعاً المدخلي رَحِمَهُ اللهُ وقبوله النصيحة منهم حيث قالوا له: لكن لا تقل: الطائفة الفلانية، ولا: الشيخ الفلاني!... اسرد العقائد، وستجد نفسك قد قُبِلَ منك الحق.

قال الشيخ ربيع المدخلي (وهو أصلٌ في هذا الباب): «فالقصد هداية الناس، والقصد إيصال الحق إلى قلوب الناس»؛ أي: بالحكمة والموعظة الحسنة، وهو مفهوم قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ، وَبَشِّرْ وَلَا تُنْفِرْ»، الذي استشهد به الشيخ ربيع رَحِمَهُ اللهُ.

الشرط الرابع: أمن المفسدة الراجعة ووجود المصلحة الراجعة.

يجب أن يغلب على ظن الداعية أن حضوره لن يُستغل بشكل يضر بالدعوة السلفية أو يسبب فتنة أكبر من مصلحة المحاضرة.

قال الشيخ السحيمي: «أن لا يستغلوه في تكثير سوادهم، فإذا غلب على ظنك أنهم يقولون: «والله نحن زارنا الشيخ فلان»؛ ففي هذه الحالة ابتعد عنهم».

قال الشيخ عبيد الجابري: اعتبر أن إجابة دعوة بعض الفرق شد أزرهم، وتوهين لعزم أهل السنة.

الشرط الخامس: تجنب المشاركة في مناسباتهم البدعية.

لا يجوز أن يكون إلقاء المحاضرة في سياق احتفال أو مناسبة بدعية يقيمونها، حتى لا يكون في حضوره إقراراً لهذه البدعة.

قال الشيخ السحيمي: «أن لا يكون ذلك في مناسبة انعقاد مناسبات عندهم كمناسبات الموالد ونحو ذلك».

قلت: وخلاصة هذه المسألة:

- أنه يجوز للداعية المتمكن علمياً إلقاء الدروس والمحاضرات والندوات في مساجد أهل البدع بدون قيد أو شرط من أهل البدع.
- وأن يكون في ذلك مصلحة راجحة لا وهمية.
- وأن يكون حكيماً في طرحه.
- وأن لا تتضرر الدعوة السلفية بسبب هذه المحاضرات في مساجد أهل البدع في الحال ولا في المآل.
- وأن لا تكون المحاضرات في مناسبات بدعية عندهم.
- وأن لا يعقَّب أحدهم على المحاضرة، ويأتي بشبه فيضطر السلفي للرد عليه وتكون فتنة.
- وأن لا يشترط عليه أهل البدع: إذا أردت أن تحاضر في مسجدنا فنحن

سنحاضر في مسجلك، هذه بهذه.

• وأن لا تُحدث هذه المشاركة في مساجد أهل البدع شقاقاً بين أهل السنة
المعتبرين؛ فدرء المفسد مقدم على جلب المصالح، والحفاظ على رأس المال خير
من البحث عن المكاسب وضياع رأس المال.

تنبيه: هذه المسألة -وهي حكم المحاضرة في مساجد أهل البدع- فيما إذا
كان الإنسان مختاراً، أما إذا كان موظفاً يمثل جهة حكومية كمكاتب الدعوة
والإرشاد والأوقاف التابعة للدولة في بلده؛ فهذا خارج البحث، ولا شيء فيه.



(٦١) الخلاف على تشييع فلان وعدم تشييعه

في بعض الأحيان يحصل بسبب هذه الجزئية اليسيرة خلافٌ بين الدعاة، فمن الدعاة من يقول: فلانٌ شيخٌ، ومن الدعاة من يقول: ليس بشيخٍ، وقد تحصل بين الدعاة فتنةٌ بسبب هذه المسألة.

وضابط هذه المسألة أن يقال، والله أعلم: إنها تقاس على قول العلماء المتقدمين في معرفة الراوي الثقة أو غير الثقة، وأنه يعرف بواحد من اثنين:

الأول: بتنصيب العلماء أنه ثقة أو غير ثقة، فإذا نص العلماء أن الراوي فلاناً ثقة؛ فهو ثقة، وإذا نصوا أنه غير ثقة؛ فهو غير ثقة.

الثاني: بالشهرة والاستفاضة بين الناس، فإذا اشتهر واستفاض بين الناس أن الراوي ثقة؛ فهو ثقة، وإذا اشتهر واستفاض بين الناس أن الراوي فلاناً غير ثقة؛ فهو غير ثقة^(١).

وهذا معلومٌ عند أهل العلم، فنقيس مسألة التشييع على هذه المسألة، فإذا نص العلماء وقالوا: فلانٌ شيخٌ؛ فهو شيخٌ.

أو إذا استفاض بين الناس من أهل السنة استفاضةً كبيرةً واسعةً أنه شيخٌ؛ فهو شيخٌ.

وهناك قياسٌ آخر نقيس عليه هذه المسألة: وهي دراسة الطالب في المدارس

(١) قال في «اختصار علوم الحديث»: (ص: ٩٣): «وتثبت عدالة الراوي: باشتهاره بالخير والثناء الجميل عليه، أو بتعديل الأئمة، أو اثنين منهم له، أو واحد على الصحيح، ولو بروايته عنه في قول».

النظامية؛ فإنه يدرس اثنتي عشرة سنةً للتأسيس والتأصيل، وهي الابتدائي والمتوسط والثانوي، ثم يدرس بعدها دراسات عليا مثلها في الزمن أو أقل منها بقليل، وهي الجامعة والمجستير والدكتوراه، ثم يحصل بعد ذلك على لقب الدكتوراه بدون منازع؛ فلتكن هذه مثل هذه على أقل تقدير مع وجود الفرق الواسع والبون الشاسع بين الدراسة في المدارس والدراسة في المساجد، فالدراسة في المساجد عند التحقيق أكثر نظاماً وأنضج دراسة في السابق واللاحق.

ويقال كذلك: كما أنه يقال للشخص: طالب، وهو في المراحل الأولى من الدراسة بلا نكير، مع أن الطلاب درجات، فهناك طالب علم مبتدئ، وطالب علم متوسط، وطالب علم متقدم قوي، لكن تجمعهم كلمة: «طالب علم»، كذلك يقال مثل هذا في كلمة «شيخ»^(١).

(١) تنبيه: تطلق كلمة (شيخ) على عدة معان:

- ١- شيخ في علم الشريعة، وهو في اصطلاحنا المعاصر: من بلغ مرتبة في العلم والخطابة، يصلح أن يكون قدوةً للناس، وكلّ شيخ بحسبه.
- ٢- شيخ لكبير السن، «وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ» [القصص: ٢٣].
- ٣- شيخ القبيلة.
- ٤- شيخ، وهي في المرتبة الرابعة والأخيرة من مراتب التعديل، ومنهم من جعلها في المرتبة الثالثة. انظر: «تدريب الراوي» (١/ ٤٠٤)، «الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح» (١/ ٢٦٨).
- ٥- يقال للوجيه في قومه شيخ، ولا مشاحة في الاصطلاح ما لم يخالف الكتاب والسنة والعرف الصحيح.

تنبيه آخر: العالم في الاصطلاح هو: المؤهل للفتوى ومنصب التعليم، وقد عقد ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كتابه «إعلام الموقعين» (١/ ٣٧) فصلاً لكلام الأئمة في أدوات الفتيا، وشروطها، ومن ينبغي له أن يفتي، فكان مما قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «قال الشافعي فيما رواه عنه الخطيب في كتاب «الفقيه والمتفقه» =

ولا ننسى كذلك الهجمة الشرسة الممنهجة على حملة الدعوة السلفية في كل مكان، ورميهم بأسوأ الألقاب وأبشع الأوصاف منذ القدم إلى يومنا هذا، حيث اجتمعت عليهم الفرق الضالة، والأحزاب المنحرفة، والتيارات المناوئة، والمذاهب الهدامة، والأفكار المسمومة فرموهم بكل قبيح.

فَلَوْ كَانَ سَهْمًا وَاحِدًا لَاتَّقَيْتُهُ وَلَكِنَّهُ سَهْمٌ وَثَانٍ وَثَالِثٌ فلا نزيد نحن على إخواننا السلفيين الطين بلةً، والمرض علةً، بل نشي على حملة الدعوة ورموزها ونشيد بهم بالحق إذا كان في ذلك مصلحة راجحة.

قال شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللهُ^(١): «... لا بأس بأن يطلق على إخواننا

له: «لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلًا عارفًا بكتاب الله، بناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، ويكون بعد ذلك بصيرًا بحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيرًا باللغة، بصيرًا بالشعر وما يحتاج إليه للسنة والقرآن، ويستعمل هذا مع الإنصاف، ويكون بعد هذا مشرفًا على اختلاف أهل الأمصار، وتكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هكذا؛ فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا؛ فليس له أن يفتي» اهـ.

تنبيه آخر: العالم في الحقيقة الشرعية لا يطلق إلا على العامل بعلمه الذي يخشى الله تعالى؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢١): «وما يدل على هذا المعنى: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] والمعنى: أنه لا يخشاه إلا عالم؛ فقد أخبر الله أن كل من خشي الله؛ فهو عالم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قِنْتُ إِتَاءَ أَيْلٍ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَخْزُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] اهـ.

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ، في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥١٣): «وكم من مُدَّعٍ للمشيخة، وفيه نقص من العلم والإيمان ما لا يعلمه إلا الله تعالى» اهـ.

(١) شريط: «أسئلة السلفيين من أهل صنعاء».

الأفاضل بأنهم مشايخ إغاظةً للمبتدعة، ونذكر ما لديهم من المزايا وكأنك تضر بهم بالسياط إذا أثبتت على إخوانك، هذا يلقيه بأسد السنة^(١)، وهذا يلقيه بأنه حكيمٌ، وهذا يلقيه بكذا وكذا، نعم، نلقبهم بهذا، ونرفع من شأنهم؛ لأن المبتدعة يصفونهم بأوصافٍ لا يتقون الله فيها، فهم إذا جاء الداعي إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من أهل السنة حذروا شبابهم، وحذروا المجتمع، ولو أمكن أن يقفوا على باب المسجد ويمنعوا الناس من الدخول إلى المسجد لفعلوا».



(١) وقد لقب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بعض أصحابه بألقاب:

١ - فلقب عمه حمزة بن عبد المطلب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بأسد الله ورسوله.

٢ - ولقب خالد بن الوليد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بسيف الله المسلول.

٣ - ولقب أبا عبيدة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بأمين هذه الأمة، وغير ذلك.

(٦٢) هل يشترط للتعليم والتدريس تزكية من العلماء؟

إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَظِيفَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَسَبِيلُ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وقال عَزَّوَجَلَّ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال عز وعلا: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۖ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]. وقال جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً...» رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١).

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلِّغُوا»: هذا تكليف، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَنِّي»: هذا تشریف، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَوْ آيَةً»: هذا تخفيف.

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا الْعَصْرِ فَرَضَ

(١) «البخاري» (٣٤٦١).

عين» اهـ^(١).

ومن المؤسف: أنه قد ظهرت ظاهرة سيئة أخشى أن تكون ممنهجة مأكرة تلبس لباس الحق وتدعي الغيرة على المنهج السلفي، تسعى لإسكات أفواه كثير من الدعاة وطلاب العلم والمدرسين والمصلحين الذين يعلمون التوحيد الصحيح، والسنة النبوية الصحيحة، ومكارم الأخلاق في مشارق الأرض ومغاربها، في بلاد العرب والعجم، بحجة «من زكّك من العلماء؟» حتى ولو كان يدرّس أبجديات العلم، وأساسيات العقيدة، وأحكام الطهارة والصلاة، وما يجب على المسلم تعلّمه، وغير ذلك.

وهم يعلمون أن هذا الداعية على المنهج السلفي، وأنه يجب علماء الدعوة السلفية، ويثني عليهم، ويحذّر من البدع وأهلها، ويعلمون كذلك أن عنده الأهلية لما يقوم به، وأنه لا يخرج عن حدود ما يعلم، ويحتهد في تحضير الدروس، وقراءة كتب أهل العلم، والاستماع إلى دروسهم وصوتياتهم، ويسأل العلماء فيما أشكل عليه، ولا يسبب فتناً في الدعوة، ولا يتدخل فيما لا يعنيه، وسيرته حسنة بين الناس، ومع هذا كله يُمنع من التدريس والتعليم والدعوة بسبب أنه ليس عنده تزكية من العلماء، وإن كان قد زكاه علمه وعمله، وهذا يكفي عند العلماء.

لا شك -إخواني في الله- أن هذه الظاهرة زغلٌ عظيم وجهلٌ كبير، وأخشى أن تكون مؤامرةً على إطفاء نور الدعوة السلفية في كل مكان، كلما بزغ نجمٌ في

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لابن باز (١/٣٣٢) حيث قال رَحِمَهُ اللهُ: «فعند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم، تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته».

سَاءَ الدَّعْوَةُ يَظِيءُ لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ، حَاولُوا إِطْفَاءَهُ بِأَفْوَاهِهِمْ، ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ونستبشر ونبشّر الدعاة في كل مكان بقول النبي ﷺ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». متفق عليه عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١).

هذا وقد تصدى لهذه الظاهرة السيئة علماء العصر -رحم الله من مات منهم ومتع بالأحياء- أذكر منهم ما يلي:

١ - العلامة مقبل الوداعي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث كان يشجّع طلاب العلم تشجيعاً لا نظير له -فيما أعلم- ليقوموا بالتدريس والخطب والمحاضرات، فكان يخرج من دار الحديث بدماج في يوم الجمعة مئات الخطباء والمحاضرين هم من طلاب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لكن لا يعرفهم جميعاً لكثرتهم.

وإذا سمع بداعية صغير ظهر في قرية من القرى يعلم الناس الخير؛ فرح رَحِمَهُ اللَّهُ به فرحاً عظيماً، ودعا له وشجعه، وهو لا يعرفه، وعندما خرج الشباب السلفي من بلاد الحرمين إلى اليمن في أزمة الخليج، ورجع كل واحد منهم إلى قريته وبلده، وبدأ يعلم ويدرس ويخطب في قريته؛ فرح الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فرحاً عظيماً بقدمهم، وقال: لقد نصر الله بهم السنة، وهو لا يعرفهم.

وقال لي رَحِمَهُ اللَّهُ مرةً في بيته: من استطاع أن يعلم الناس بما عنده من العلم

(١) «البخاري» (٣٦٤١)، «مسلم» (١٠٣٧).

فليفعل، فنحن معشر أهل السنة في اليمن لم نسد عشر معشار حاجة الناس في اليمن.

٢- العلامة عبد المحسن العباد-حفظه الله- عندما سئل: «هل يشترط لمن أراد أن يدعو إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يكون معه تزكية، ومزكى من أهل العلم؟»^(١).

فأجاب -حفظه الله-: «ما ينبغي للإنسان أن يقدم على الكلام... إلا أن يكون على علم، ولا يلزم أن يكون معه تزكية، لا يلزم أن يكون معه تزكية»^(٢).

٣- العلامة صالح الفوزان -حفظه الله^(٣)- عندما سئل: «ما الشروط والضوابط التي تسمح لطالب العلم أن يقوم بإلقاء الدروس والدورات العلمية في بلده حيث إن البلد الذي نحن فيه لا يوجد فيه علماء؟

فأجاب -حفظه الله-: «بلغ ما تعرف، ما تعرف من العلم انشره وبلغه للناس، وأما الأمور التي لا تعرفها ولم تتوصل إليها فلا، أمسك عنها».

٤- العلامة صالح بن سعد السحيمي -حفظه الله- عندما سئل: «هل يشترط التزكية للتعليم والتدريس؟»^(٤).

فأجاب -حفظه الله-: «هذه أمورٌ أصبح يلوكها الشباب فيما بينهم، وبنوا عليها أحكاماً جائزة بحيث يبدع بعضهم بعضاً، والواجب على طلاب العلم أن يكفوا عن هذه المهاترات، وأن يجمعوا شملهم على هدي الكتاب والسنة، فمن

(١) مقطع صوتي بعنوان: «هل تشترط التزكية للتعليم والتدريس؟».

(٢) «البخاري» (٣٢٧٤) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) مقطع صوتي بعنوان: «هل تشترط التزكية للتعليم والتدريس؟».

(٤) مقطع صوتي بعنوان: «هل تشترط التزكية للتعليم والتدريس؟».

استطاع أن يبلغ شيئاً من الدين فيجب عليه أن يبلغه إذا كان متقناً له؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلِّغُوا عني ولو آية»^(١)؛ ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَصَّرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرِ فِقْهِي، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»^(٢).

٥- العلامة ربيع بن هادي المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣) عندما سئل: «متى يحق لطالب العلم أن يقول: هذا ما ترجح لي أو هذا ما أعتقد؟ ومتى يستحق أن يستقل بحلقة تدريس؛ فكثير من الشباب يتسرعون إلى تصدر المجالس فما نصيحتكم؟» فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤): «نصيحتي للشباب السلفي أن يشمروا على ساعد الجد في تحصيل العلم ويتعلموا، ولكن إذا كان في بلد جهلاء وليس فيها علماء، وفيهم طالب علم يحتاجون إلى ما عنده من علمه القليل؛ فأنا أرى أن يبذل ما عنده من علم، ولا نعقد الأمور على الشباب الذي يرى الدنيا مظلمة بالخرافات والجهل والشرك؛ فنقول له: لا تصدر لتعليم الناس إلا إذا بلغت درجة ابن تيمية وأحمد بن حنبل!، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

الضرورة تبيح المحظورات كما يقال في القاعدة الشرعية؛ يعني: إذا كان في

(١) «البخاري» (٣٢٧٤) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) «مسند أحمد» (٢١٥٩٠)، «سنن ابن ماجه» (٢٣٠) واللفظ له، عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في تحقيق «سنن ابن ماجه» (٢٣٠)، وشعيب في تحقيق «مسند أحمد» (١٦٧٣٨)، رحمه الله على الجميع.

(٣) مقطع صوتي بعنوان: «هل تشترط التزكية للتعليم والتدريس؟».

(٤) مقطع صوتي بعنوان: «هل تشترط التزكية للتعليم والتدريس؟». ويراجع: «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» للشيخ ربيع المدخلي - الشريط ٠٢ الدقيقة ٩ و ١٥ ثانية.

بادية يرى البدع، ويرى ترك الصلاة، وهو يعلم ما هي البدع، وما هي السنن، وما هي كذا، يعلم بعض الشباب شيئاً من العلم، يعلمهم شيئاً من القرآن،...».

٦- العلامة سليمان الرحيلي -حفظه الله- عندما سئل بالسؤال التالي: «عندنا طلبة علم، لا نعلم عنهم إلا خيراً، نفع الله بهم، يعلمون كتباً في الاعتقاد والسنة، فجاءنا بعض الإخوة، ونشّر في الطلبة أن العلم: أولاً: لا يؤخذ إلا من الأكابر.

وثانياً: لا بد من تزكية من العلماء لهذا القائم بهذه الدروس؛ فأدى هذا إلى ترك بعض الدروس التي لا يوجد غيرها في المنطقة عندنا! فما موقفنا من ذلك؟ نرجو التوجيه بارك الله فيكم؟^(١).

فأجاب -حفظه الله-: «لا شك أن العلم إنما يؤخذ عن الأكابر، وأنه لا بد من التزكية، لكن من هم الأكابر؟

الأكابر من كبرهم علمهم، وعرفوا بالعلم ولو صغر سنهم، ولو كانوا شباباً، فهناك أكابر من الصحابة صغار في السن أخذ عنهم العلم، وأثار علمهم الدنيا.

فهذه قضية من الأهمية بمكان، وهي أن الصغير قد يكبره علمه، فيعرف بالعلم المتين النافع، وهذا كثير في السلف بدءاً من الصحابة رضوان الله عليهم إلى ما بعد الأئمة، ولا بد من التزكية، فإن العلم دين؛ فينبغي أن ننظر عمن نأخذ ديننا، لكن كيف تكون التزكية؟

(١) مقطع صوتي بعنوان: «هل تشترط التزكية للتعليم والتدريس؟».

التزكية تكون بثلاثة أمور:

الأمر الأول: نص العلماء المعبرين على تزكيته، أن ينص العلماء أو بعضهم، ولا نحصر التزكية في عالم ولا عالين ولا ثلاثة، بل أن ينص عالم من العلماء المعبرين أو جمع منهم على أن فلانا مزكى، ويصلح لأن يؤخذ عنه العلم.
الأمر الثاني: أن يشتهر بالتعليم من غير أن ينكر عليه من أهل العلم، يعرف بأنه مدرس، ويشتهر هذا عنه، ولا ينكر أهل العلم المعبرون تدريسه؛ فهذه تزكية سكوتية...

والأمر الثالث: وهذا من الأهمية بمكان أن يزكيه علمه، فلا يعلم إلا السنة؛ أعني: ما يكون فيه الحق، ولا يأخذ إلا عن علماء السنة، ويقرر كتب علماء السنة، ولم يؤخذ عليه رد لكلام العلماء المعبرين، ولا مخالفات للسنة؛ فهذا يزكيه علمه.
وليس كل طالب علم نافع يعرفه العلماء، ولكن ينظر في علمه الذي يثبه، هل يعلم السنة؟ هل يحترم آراء علماء السنة؟ هل ينقل كلام علماء السنة؟ فإن كان ذلك كذلك؛ فقد زكاه علمه، ويؤخذ عنه العلم.

والقول بأنه لا يؤخذ العلم إلا عمن زكاه العلماء نصًّا يسدُّ باب الخير.
كثير من البلدان فيها طلاب علم، يعلمون السنة، وشروح أهل السنة، ويعلمون بحسب ما تعلموا، ولكنهم لا يحملون تزكية من عالمٍ معين، لكن لم يعرف عليهم ما يجرحهم في علمهم.

فإذا قلنا: إنه لا يؤخذ العلم عنهم؛ لن يبقى علمٌ في كثير من البلدان، وسيسد باب الخير، ويقوم أهل البدع ويدرسون، وأهل السنة يكفون، ويصبح أهل السنة يتعلمون من أهل البدع أو من الأتترنت أو غيره؛ وهذا لا يصح ولا

يستقيم.

إذا نحن نقول: لا بد من التزكية، ولا يصح أن نتساهل، فنأخذ العلم عن كل أحد، لكن كيف تكون التزكية؟

(١) إما بنص من عالم أو عدد من العلماء المعترين المعروفين بالسنة.

(٢) وإما باستفاضة وشهرة من غير نكير من العلماء.

(٣) وإما بعلم صحيح سليم خال مما يجرح، يعرف به طالب العلم الذي يعلم^(١).

ثم لا شك أن الواجب على كل أحد أن ينتهي إلى ما علم، وأن لا يزيد على ما علم، حيث انتهى علمه يعلم الناس.

كثير من بلدان المسلمين بحاجة إلى من يعلمهم الأصول، فمن عرف هذه الأصول عن أهل السنة وضبطها؛ فإنه يعلم الناس، لكن ما يصبح شيخ الإسلام ابن تيمية!

يعني: بعض طلاب العلم قد يأخذ كتاباً أو كتابين، ثم بعد ذلك يذهب يدرس؛ فيتفخ، ويرد على بعض العلماء الأكابر، ويفتي في كل شيء... لا شك أن هذا ضلال، ولكن المحسن هو الذي ينتهي إلى ما علم، وينشر الخير والسنة. ولا يجوز لنا أن نقف عائقاً في وجه نشر الخير والسنة، وهذا هو الذي أدركنا عليه صنيع العلماء كالشيخ ابن باز رحمهُ اللهُ، والشيخ ابن عثيمين رحمهُ اللهُ في تعاملهم مع طلاب العلم.

(١) وبمثل هذا التفصيل قال العلامة عبيد الجابري رحمهُ اللهُ. في مقطع صوتي بعنوان: «هل التزكية واجبة لطالب العلم حتى يدرس العلم؟».

أما من عُرف بجرح، أو كان في علمه خَلَطٌ، أو كان مجهولاً من كل وجه؛ فمثل هذا لا ينبغي أخذ العلم عنه، والله أعلم».

٧- العلامة زيد بن محمد بن محمد بن هادي المدخلي رَحِمَهُ اللهُ^(١) عندما سئل: «تعرفون واقع المسلمين بالبلاد الكفرية أن أكثر الشباب أعاجم لا يفهمون اللغة العربية، ففي قريننا مثلاً هناك أخٌ قائم بترجمة أقوال العلماء من كتب لإخوانه كتب بسيطة أمثال: شرح الأصول الثلاثة للشيخ العثيمين، وبعض الكتب الأخرى؛ فاعترض عليه؛ فقليل له: إنه يجب عليك أن تكون لك تزكية خاصة من عالم كبير من السعودية مثلاً؛ يعني: من عالم سلفي؛ فما هو قولكم في هذا الشيء؟
فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: «من تعلم شيئاً من علوم الدين الإسلامي والفقه الإسلامي وأتقنه؛ لا حرج عليه، بل له الأجر إذا علّم به، ولا يُشترط أن يأتي بتزكية...».

٨- العلامة عبد العزيز البرعي -حفظه الله- عندما سئل: «هل لا بُدَّ من تزكية لمن قام بتدريس إخوانه، ولو لم يعرفه أحدٌ من أهل العلم، ولكنه معروف في بلدته، ومحمود السيرة، وهل مثل هذا يؤخذ عنه العلم؟^(٢)».

فأجاب -حفظه الله-: «لا يحتاج هذا إلى تزكية؛ لأنه صعب، من يزكيه؟ وأنت تقول: لا يعرفه أهل العلم، نعم، عاش في بلده، طلب العلم، استفاد، ولو بكثرة القراءة ومقتصرٌ على كتب أهل السنة، ومتواصل مع علماء أهل السنة ومع

(١) مقطع صوتي بعنوان: «هل تشترط التزكية للتعليم والتدريس؟».

(٢) مقطع صوتي بعنوان: «هل تشترط التزكية للتعليم والتدريس؟». ويراجع: موقع علماء الدعوة السلفية في اليمن.

طلبة العلم المستفيدين، ولم يُر عليه مسايرة لأهل البدع، ولا أنه يستدل بأقوالهم في دروسه ومحاضراته، ولا يشيد برموزهم؛ فهذا يؤخذ عنه العلم، ويُشجّع، ويحرّك في الدعوة يميناً وشمالاً، محاضرات، وغير ذلك، إذا أمكنه ذلك يعتبر أخاً فاضلاً سلفياً كما تشهد له في سؤالك بأنه محمود السيرة؛ فيؤخذ عنه العلم، ويُستفاد منه، ويخطب ويحاضر، وغير ذلك».



(٦٣) العجلة في التصدر في فتاوى النوازل، وفي الدعوة، والتأليف

تقدم في الفقرة السابقة جواز التدريس والتعليم بدون تزكية لكن بالضوابط المذكورة، وفي هذه الفقرة وهذه المسألة أنبه على المزالق الخطيرة والزلات الشهيرة التي يقع فيها بعض الدعاة وطلاب العلم، من ذلك على سبيل المثال:

التجروء على الفتيا في النوازل الكبار قبل كبار العلماء، أو إقامة دروس فوق مستواه، أو التأليف قبل النضوج في العلم أو الشهادة له من أهل العلم بأنه أهل لذلك؛ وهذا التجروء لا شك أنه مزلق ومهلكة؛ فلا إفراط ولا تفريط.

وفي القاعدة المتفق عليها في الجملة: «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»، ومن منهج أهل السنة والجماعة: «التأهيل قبل التشغيل».

قال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ^(١): «ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك».

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني، هل يراني موضعًا لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك، فقلت: يا أبا عبد الله فلو نهوك؟ قال: كنت أنتهي، لا ينبغي للرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه.

وقال الثوري رَحِمَهُ اللهُ^(٣): «من حدث قبل أن يحتاج إليه ذل».

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٥٠٣).

(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ٥٠٣).

(٣) «الحلية تهذيبه» (٢/ ٣٦٣).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «فصل: فليسمع هذه النصيحة من يخاف على دينه، ويعرض على طلب الرئاسة في غير وقتها، فقد قال الحكماء: من تصدّر وهو صغير؛ فاته علمٌ كثير» اهـ.

وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «كنا إذا رأينا الشاب يتكلم في المجلس أيسنا من خيره».

وقال الصعلوكي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «مَنْ تَصَدَّرَ قَبْلَ أَوَانِهِ؛ فَقَدْ تَصَدَّى لَهُوَانِهِ».

وقال سُحنون رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤): «ما وجدتُ من باع آخرته بدنياه غيره إلا المفتي!».

وقال بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ^(٥): «فكم رأينا نزلاً في حلائب العلم، من رائم للبروز قبل أن ينضج، وتزبّب قبل أن يتحصّر» اهـ.

وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الصنف: «طار ولما يريش بعد»^(٦).



(١) «تعظيم الفتيا» (ص: ١٣٠).

(٢) «موسوعة ابن أبي الدنيا» (٥/ ٢٢٣)، «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٠٨).

(٣) «تهذيب السير» (٣/ ١٣٣٧).

(٤) «تهذيب السير» (٣/ ٩٨٣).

(٥) «التعالم» (ص: ٧).

(٦) «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١١)، وهي مقولة الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ قبل الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، ينظر:

«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣٧٧).

(٦٤) أخذ العلم من الكتب دون المشايخ من غير المتأهل عرضة للزلل

يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ^(١): «الأصل في الطلب أن يكون

(١) «حلية طالب العلم» (ص: ١٥٨).

تنبيه: تعليق بعض العلماء على المقولة المشهورة: «من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه»: فقد سئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ كما في «مجموع فتاوى ابن باز» (٧/ ٢٣٩-٢٤٠): ما رأي فضيلتكم في هذه العبارة التي تتردد على ألسنة كثير من طلبة العلم، وهي: من كان شيخه كتابه ضل عن صوابه؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: «المعروف أن من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه، هذه هي العبارة التي نعرفها، وهذا صحيح: أن من لم يدرس على أهل العلم، ولم يأخذ عنهم، ولا عرف الطرق التي سلكوها في طلب العلم؛ فإنه يخطئ كثيراً، ويلتبس عليه الحق بالباطل، لعدم معرفته بالأدلة الشرعية، والأحوال المرعية التي درج عليها أهل العلم، وحققوها وعملوا بها. أما كون خطئه أكثر فهذا محل نظر، لكن على كل حال أخطاؤه كثيرة، لكونه لم يدرس على أهل العلم، ولم يستفد منهم، ولم يعرف الأصول التي ساروا عليها فهو يخطئ كثيراً، ولا يميز بين الخطأ والصواب في الكتب المخطوطة والمطبوعة.

وقد يقع الخطأ في الكتاب، ولكن ليست عنده الدراية والتميز فيظنه صواباً، فيفتي بتحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، لعدم بصيرته؛ لأنه قد وقع له خطأ في كتاب، مثلاً: لا يجوز كذا وكذا، بينما الصواب أنه يجوز كذا وكذا، فجاءت لا زائدة أو عكسه: يجوز كذا وكذا والصواب: ولا يجوز فسقطت لا في الطبع أو الخط فهذا خطأ عظيم.

وكذلك قد يجد عبارة: ويصح كذا وكذا، والصواب: ولا يصح كذا وكذا، فيختلط الأمر عليه لعدم بصيرته، ولعدم علمه، فلا يعرف الخطأ الذي وقع في الكتاب، وما أشبه ذلك» اهـ.

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في هذه المقولة: «هذا إذا لم يحسن اختيار الكتاب» اهـ «أسئلة أهل العراق» (صوتي).

قلت: هذه المقولة فيها تفصيل:

١ - إذا كان القارئ ذكياً فطناً متأهلاً؛ فهذه المقولة ليست فيه.

بطريق التلقين والتلقي عن الأساتيد، والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب، وقد قيل: من دخل في العلم وحده خرج وحده؛ أي: من دخل في طلب العلم بلا شيخٍ خرج منه بلا علمٍ، إذ العلم صنعة، وكل صنعة تحتاج إلى صانع؛ فلا بد إذاً لتعلمها من معلّمها الحاذق، وهذا يكاد يكون محل إجماع من أهل العلم؛ إلا من شذَّاهـ.

قلت: طلب العلم على أيدي المشايخ والعلماء له فوائد كثيرة، من أهمها:

- ١- أنه يختصر لك العمر باختصار الوقت؛ يعني: أن الشيخ يلخص لك الكتب؛ فإنك إن سألت الشيخ عن مسألة من المسائل التي طال فيها الكلام وألّفت فيها المؤلفات؛ فيعطيك الجواب في كلمات يسيرة، وربما يكون الشيخ الذي سألته بحث هذه المسألة عمرًا طويلاً، وأنت أخذت منه زبدة المسألة.
- ٢- يصحح ويسدد لك الفهم ويبين لك الأخطاء، وكما قيل: «إن العلم

= ٢- إذا كان القارئ مبتدئاً غير مميز وغير فطن، وقرأ في كتب أهل الضلال؛ فهذه المقولة تكون خاصة به.

٣- إذا كان القارئ مبتدئاً وقرأ في كتب أهل السنة والجماعة المحققة، خاصة في كتب الوعظ والإرشاد والآداب، كـ «رياض الصالحين»، و«الترغيب والترهيب» للمنذري، وغيرهما؛ فقد يكون صوابه أكثر من خطئه إن شاء الله، لماذا؟ لأن كتب أهل السنة والجماعة تبين الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، وعقيدتهم صحيحة، ومنهجهم صحيح، والحمد لله، وليس عندهم بدع ولا خرافات، والكلمات الغريبة تكون في الغالب مبينة إما في الشرح أو في الحواشي، وما أشكل عليه يسجله في مفكرة خاصة ثم إذا التقى ببعض أهل العلم يسألهم عما أشكل عليه.

٤- إذا كان القارئ مبتدئاً وقرأ في علوم الآلة، كالنحو، والصرف، والمصطلح، والأصول، وغيرها؛ فهذا لا شك أن خطأه يكون أكثر من صوابه، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

كان في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، وصارت مفاتيحه بأيدي الرجال^(١).
٣- تكتسب منه الآداب والأخلاق، وهذا أفضل ما ينتفع به طالب العلم
 وهو الأدب، أما الذين يقرؤون من الكتب فقط؛ فإن هذه الثمرة العظيمة تفوتهم؛
 فلا يتأدبون بآداب العلماء، إلا من رحم الله.

ثم طالب العلم مع الكتاب والشيخ على ثلاث مراحل:
المرحلة الأولى: بداية الطلب، تكون ملازمة الطالب للشيخ أكثر من
 ملازمته للكتاب.

المرحلة الثانية: عند توسط الطالب في طلب العلم، يساوي بين الكتاب
 والشيخ من حيث الملازمة.

المرحلة الثالثة: طالب العلم المتقدم المتأهل، تكون علاقته بالكتاب أكثر من
 علاقته بالشيخ، ولا غنى له عن العلماء حتى يتوفاه الله **عَزَّجَلَّ**، قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ
 كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، وما قصة موسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** مع الخضر
 عنكم ببعيد.



(١) «الموافقات» للشاطبي رَحِمَهُ اللهُ (١/ ١٤٠).

(٦٥) كثرة الدخول على السلطان

قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ بَدَأَ جَفَاً، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتِنَ، وَمَا أَرْزَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا؛ إِلَّا أَرْزَادٌ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا»^(١).

فالإكثار من الدخول على السلطان لغير مصلحة شرعية راجحة غير صحيح، وجفاء السلطان والبعد عنه وعدم القرب منه مطلقاً غير صحيح، والوسط، وهو خير الأمور: القرب منه أحياناً إذا كان في القرب مصلحة راجحة من نصيحة وغيرها، برفق ولين، والبعد إذا كان في البعد مصلحة راجحة مع حفظ مكانة ولي الأمر وإجلاله في حدود الشرع^(٢).

وكذلك مع حفظ كرامة الدعوة بعدم التنازل عن شيء منها؛ فهي عندنا أغلى من الدنيا وما فيها، وكما أن السلطان رجل دولة يخاف على دولته ومكانته فأنت رجل دعوة تخاف على دعوتك أعظم من خوفه على دولته ومنصبه،

(١) صحيح. رواه «أحمد» (٨٨٣٦) عن أبي هريرة، وابن عباس، والبراء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وصححه الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «السلسلة الصحيحة» (١٢٧٢)، «صحيح الجامع» (٦١٢٤)، وينظر التعليق على هذا الحديث وكلام العلماء عنه في كتابي: «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» الطبعة الثالثة (ص: ٣٠٩-٣١١).

(٢) يقول ابن عبد البر **رَحِمَهُ اللَّهُ** بعد أن أورد الأحاديث والآثار الواردة في النهي عن المجيء إلى السلاطين: «معنى هذا كله: في السلطان الجائر الفاسق، وأما العدل منهم الفاضل فمداخلته وعونه على الصلاح من أفضل أعمال البر، ألا ترى أن عمر بن عبد العزيز إنما كان يصحبه جلّة العلماء» اهـ. «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٦٤١).

ولمزيد الفائدة: انظر كتاب: «ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين» للسيوطي **رَحِمَهُ اللَّهُ**، وغيره من الكتب المؤلفة في هذا الباب.

و«كلکم راعٍ، وکلکم مسئولٌ عن رعیتہ»^(١).



(١) متفق عليه: «البخاري» (٢٥٥٤)، «مسلم» (١٨٢٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦٦) غفلة بعض الدعاة عن أن الدعوة السلفية الآن تمر بمرحلة

الدعوة المكية في الضعف

من المهم جداً: أن يتنبه الدعاة الحذاق الأذكياء النبلاء إلى أن الدعوة السلفية في هذا العصر تمر بمرحلة الدعوة المكية في الضعف؛ فليس من الحكمة أن نستخدم في الرد على المخالف كلمات وعبارات وألفاظ بعض علماء القرون الثلاثة المفضلة^(١) التي كانت السنّة فيها قاهرة ظاهرة، وأهل البدع والأهواء في ذلة وصغار؛ فإن الوضع اليوم عكس ما كان عليه البارحة^(٢).

فمن الحكمة: مراعاة الزمان والمكان والأحوال في اختيار الألفاظ وغيرها: في الطرح، في المحاضرات، والخطب، والمواظ، والرد على المخالف برّد يؤدي الغرض ولا يدخل الدعوة في مرض، ولا يؤلب عليك وعلى دعوتك العامة والرأي العام^(٣).

(١) قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «الآثار السلفية إذا لم تكن متضافرة متواترة؛ فلا ينبغي أن يؤخذ عن فردٍ من أفرادها منهج». «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (٦٦٦).

(٢) لا يفهم من هذا تكفير من حولنا من الحكومات والشعوب، حاشا لله؛ فنحن من أبعد الناس عن هذا، والله الحمد، وإنما القصد: أن القوة والظهور الآن للفرق والدعوات المسلمة المخالفة للكتاب والسنّة.

(٣) وقد ذكرت هذه المسألة في كتابي «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دور الحديث السلفية في الديار اليمينية» (ص: ٦٢) تحت فقرة: «الرّفق واللّين والحكمة في تبليغ العلم والخير للمسلمين وغير المسلمين؛ فإنّ الرّفق في الأمور كالمِسْك في العطور».

وهناك كلامٌ نفيسٌ حول هذه المسألة لشيخ الإسلام ابن تيمية -قدّس الله روحه-، في «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٠٦ و٢١٠ و٢١٢).

الفصل الثالث:

ضعف العقل عند الداعية يسبب زغلاً كثيراً في

الدعوة

الفصل الثالث: ضعف العقل عند الداعية يسبب زغلاً كثيراً في الدعوة

(٦٧) مَنْ كَانَ عِلْمُهُ أَكْبَرَ مِنْ عَقْلِهِ ضُرَّ نَفْسُهُ وَأَضُرَّ بِالْآخِرِينَ

اعلم -رحمني الله وإياك-، أنه إذا منَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على عبدٍ بالعقل؛ فقد أعظم له المنَّة، وعاش مستريحاً في نفسه مريحاً لغيره، سلَّم نفسه، وسلَّم الناس من شره وغوائله، ومن كان خفيف العقل كان بعكس ما تقدم؛ ولذلك قالوا:

العلماء والدعاة إلى الله من حيث العقل والعلم على ثلاث مراتب:

١- عالم أو داعية عقله أكبر من علمه؛ أي: عنده علمٌ قليل، ولكن عنده عقلٌ كبيرٌ وحكمةٌ وبصيرةٌ في توجيه الناس وإرشادهم إلى ما يكون فيه خيرٌ كثيرٌ، وإذا نزلت به النوازل، أو أحاطت به الكروب؛ أحسن إدارتها، وأحسن التخلص منها.

والدعاة- ولا سيما في هذه الأعصار الأخيرة - يحتاجون إلى العقل أكثر من حاجتهم إلى ما يبحثون فيه من مسائل العلم التي لا يحتاجون إليها.

وكان من جميل كلام الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف رَحِمَهُ اللهُ لما طلب منه الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ أن يرشح له من يوليه القضاء والإمامة بعد بدء رجوعه إلى هذه البلاد؛ فكتب الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف رَحِمَهُ اللهُ إلى من يعرفه من أهل العلم في أقطار هذه البلاد: «أن اكتبوا إلي بأسماء من له صاغٌ من العلم

ومكتلٌ من العقل»، والمكتل أعظم من الصاع^(١).

٢- عالم أو داعية علمه أكبر من عقله، عكس الأول.

قال ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «وكان يقال: إذا كان علم الرجل أكثر من عقله؛ كان قَمِينًا -أي: حريًا- أن يضره علمه» اهـ.

أي: إذا كان الرجل عنده علمٌ كثيرٌ، يحفظ ويقرأ، ولكنه لا يحسن وضع الأمور في نصابها؛ فهذا قد يكون ضرره أكثر من نفعه؛ فلا يفرح بكثرة علمه؛ فهو كالمجنون الذي بيده سيف!.

قال يزيد بن هارون رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «من كان علمه أكثر من عقله؛ خشيت عليه، ومن كان عقله أكثر من علمه؛ رجوت له» اهـ.

ويروى أن الخليل بن أحمد لقي ابن المقفع؛ ففاوضه وكلمه، فلما افترقا سئل كل عن كل، فكان الجواب هكذا:

قال ابن المقفع: رأيت رجلاً -يعني: الخليل بن أحمد- عقله أكبر من علمه. وسئل الخليل عن ابن المقفع، فقال: رأيت رجلاً علمه أكبر من عقله، ويوشك ذلك أن يقتله؛ فقتل بعد على الزندقة.

ودواء هذا الصنف: أن يوطن نفسه على استشارة من هو أعقل منه في كل

(١) «قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالمُكْتَلُ: حَمْسَةُ عَشَرَ صَاعًا، وَهُوَ سِتُّونَ مُدًّا». «مختصر المزني» (٨/ ١٥٣)، وينظر الفائدة في: شرح الشيخ العصيمي وفقه الله، لكتاب: «فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن» للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «الآداب الشرعية» (٢/ ٢١١).

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤٣٦٥).

أمرٍ ذي بال، حتى لا يرهق نفسه ويرهق الدعوة معه، ويجب أن نفرق بين الدعوة والداعية، ولا نحمل الدعوة أخطاء الداعية، كما أننا لا نحمل الإسلام أخطاء المسلمين، فأفراد المسلمين ليسوا بمعصومين وإن علا كعبهم في العلم.

٣- عالم أو داعية استوى علمه وعقله؛ أي: علمه كثير وعقله كبير، وهذه مرتبة الكمال^(١).



(١) ينظر: «معالم تربوية لطالبي أسنى الولايات الشرعية».

قلت: ويمكن أن تكون القسمة رباعية بإضافة من يكون عقله صغيراً وعلمه قليلاً.

(٦٨) الشدة في موطن اللين، واللين في موطن الشدة

من الدعاة من لا يحسن وضع الأمور في نصابها؛ فيسيل في موضع الجمود ويجمد في موضع السيلا؛ فالشدة في موضعها حكمة، واللين في موضعه حكمة، ولا ينبغي أن يفهم أن الدعوة إلى الرفق تتعارض مع مواطن الشدة والحزم، بل لكل منهما مكانه وموضعه.

قال سفيان ابن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ لأصحابه^(١): تدرون ما الرفق؟ قالوا: قل؛ قال: أن تضع الأمور مواضعها، الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه.

قال بعض العلماء: وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين، والفظاظة بالرفق.

ووضع الندى في موضع السيف بالعلل مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى فالمحمود: هو الوسط، لكن لما كانت الطباع إلى الجدة والعنف أميل، كانت الحاجة إلى ترغيبهم في الرفق أكثر، والحاجة إلى العنف يقع على ندور^(٢) اهـ.

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «الشرعية الكاملة جاءت باللين في محله والشدة في محلها؛ فلا يجوز للمسلم أن يتجاهل ذلك، ولا يجوز أيضًا أن يوضع

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الغضب» كما في «إتحاف السادة المتقين» للزيدي (٨/ ٤٨).

تنبيه: البعض يعزو هذه المقولة لسفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ وهو خطأ، كما نبه عليه الزيدي رَحِمَهُ اللَّهُ. وينظر كذلك: «فيض القدير» للمناوي رَحِمَهُ اللَّهُ (٤/ ٥٧).

(٢) «مجموع فتاوى ابن باز» (٣/ ٢٠٤-٢٠٥).

اللين في محل الشدة، ولا الشدة في محل اللين، ولا ينبغي أيضاً أن ينسب إلى الشريعة أنها جاءت باللين فقط، ولا أنها جاءت بالشدة فقط، بل هي شريعةٌ حكيمةٌ كاملةٌ صالحةٌ لكل زمان ومكان، ولإصلاح جميع الأمة؛ ولذلك جاءت بالأمرين معاً، واتسمت بالعدل والحكمة والسباحة، فهي شريعةٌ سمحةٌ في أحكامها، وعدم تكليفها ما لا يطاق؛ ولأنها تبدأ في دعوتها باللين والحكمة والرفق؛ فإذا لم يؤثر ذلك وتجاوز الإنسان حده وطغى وبغى؛ أخذته بالقوة والشدة وعاملته بما يردعه ويعرفه سوء عمله، ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين وصحابته المرضيين وأئمة الهدى بعدهم؛ عرف صحة ما ذكرناه...» اهـ.



(٦٩) خوف بعض الكبار من بعض الصغار في إظهار الحق والقول به

يقول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...»^(١).

وقال أبو ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أمرني خليلي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بسبع: - وذكر منها: - وأن أقول بالحق وإن كان مُرًّا...^(٢).

وكان **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يستعيز بالله دُبْر كل صلاة من الجبن؛ فيقول: «... اللهم إني أعوذ بك من الجبن...»^(٣).

وباع الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على أن يقولوا بالحق أينما كانوا، لا يخافون في الله لومة لائم^(٤).

قال بعض العلماء: العالم يحتاج مع علمه إلى شجاعة؛ حتى ينتشر علمه ويؤثر في الناس، وخاصة ونحن نعيش في زمن الظلمات، وأيام الفتن المدهمات؛ لذلك يكون لصوت الحق قيمة، ولصيحة العالم في وجه الباطل أثر، فكم من كلمة حق غيرت مجرى التاريخ، وكم من موقفٍ مشرفٍ لعالم من علماء الأمة قد أزال من طريق الدعوة ركام الباطل، والناس في زمن الفتن والصراعات ينتظرون كلمةً حكيمةً من علمائهم لتكون لهم بمثابة النور الذي ينير لهم الطريق.

(١) رواه «مسلم» (٢٦٦٤) عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) صحيح. رواه «أحمد» (٢١٤١٥)، و**صححه** الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢١٦٦).

(٣) رواه «البخاري» (٢٨٢٢) عن سعد بن أبي وقاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٤) متفق عليه: «البخاري» (٧١٩٩)، «مسلم» (١٧٠٩) عن عبادة بن الصامت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ولكن للأسف فإن إرهاب بعض الصغار أخاف بعض الكبار!؛ فيخاف الكبير من كلمة الحق التي تنفع ولا تضر؛ فيحجم عن الكلام حتى لا يقال عنه: متشددٌ أو مميّعٌ، أو يهجر أو تترك دروسه ومحاضراته، وتذهب الجموع من عنده؛ فهو يخاف من هذه الأمور، ويخاف أيضاً ممن هم دونه من الأتباع حتى لا يشنعوا عليه؛ لأننا في عصر العقوق والجفاء.

١- فالأب يخاف من أبنائه؛ كما جاء في الحديث: «... اللهم إني أعوذ بك من ولدٍ يكون علي ربّاً»^(١)؛ أي: أستعيذ بك أن ترزقني ولداً يكون علي مالكا؛ لعقوقه وعدم بره، وتسلمته علي كأنه هو المالك السيد، وأنا العبد المملوك عنده.

٢- والعالم يخاف من طلابه حتى لا يتكلموا فيه أو يتركوه.

قال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «وما رفع الله شأن أهل العلم إلا لأنهم يقفون أمام الباطل ويقولون للمصيب: أنت مصيبٌ، ولصاحب الباطل: أنت مبطلٌ» اهـ.

وقال العلامة ربيع بن هادي المدخلي رَحِمَهُ اللهُ^(٣): «والله إني لأعلم رجالاً يعلمون أن فلاناً هذا مخطئ، ويتبعونه على أخطائه، ليس بمقلدٍ، وإنما هذا جبان؛ المقلد الذي يظن أن هذا الرجل محق، وأنه أعلم بالكتاب والسنة من غيره، أما الذي يعلم أنك مخطئ ويتبعك على خطأك خشية أن يناله سخطك، وأن يناله جام

(١) جيد. رواه الطبراني في «الدعاء» (١٣٣٩) عن أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ، وجود إسناده الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «السلسلة الصحيحة» (٣١٣٧).

(٢) تحفة المجيب (ص: ٢٧٣).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٣ / ١٧).

غضبك أو غير ذلك؛ هذا حق له وحري به -والله- أن يجلس عند أمه، أو عند زوجته، ولا يرفع رأسه بالدعوة.

الدعوة لا يقوم بها إلا فحول الرجال، ولا يقوم بها إلا من استأنس بالله وبالحق، ومن رأى أن الحق أحب إليه من نفسه ومن كل حبيب اهـ.

٣- والحاكم يخاف من شعبه حتى لا يخرجوا عليه بالمظاهرات والاعتصامات؛ فاللهم سلّم سلّم، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من أَرْضَى الله بسخط الناس؛ كفاه الله، ومن أسخط الله برضا الناس؛ وكله الله إلى الناس»^(١).

فلا بد لكل واحدٍ من هؤلاء وأمثالهم من اتخاذ حلولٍ ووضع وسائلٍ يصار عليها حتى يقدر كل واحدٍ منهم على القيام بالحق الذي عليه مع عدم تسلط هؤلاء عليه.



(١) صحيح. رواه «ابن حبان» (٢٧٧) عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، وصححه الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «التعليقات الحسان» (٢٧٧)، «السلسلة الصحيحة» (٢٣١١).

(٧٠) عدم التثبت في نقل الأخبار

إن التثبت في نقل الأخبار خُلِقَ عَظِيمٌ، أَمَرَ بِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ السَّابِقُونَ وَاللاحِقُونَ؛ لِأَن فِيهِ حِفْظًا لِلْأَرْوَاحِ، وَصِيَانَةً لِلدِّمَاءِ، وَحِمَايَةً لِحُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْرَاضِهِمْ، وَقِطْعًا لِدَابِرِ الْفِتَنِ وَالصَّرَاعَاتِ؛ فَبِالتَّثَبُّتِ يُعْرَفُ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْمَلِيءُ مِنَ الْعَاطِلِ فِيمَا يَرُوجُ مِنْ أَخْبَارٍ وَإِشَاعَاتٍ.

فَالْتَّثَبُّتُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ أَصْحَابِ الْعَقْلِ وَالرِّزَانَةِ، بِخِلَافِ الْعَجَلَةِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ صِفَاتِ أَصْحَابِ الرِّعُونَةِ وَالطَّيْشِ.

وَالْتَّثَبُّتُ دَلِيلٌ عَلَى رِجَاحَةِ الْعَقْلِ وَسَلَامَةِ التَّفَكِيرِ، أَمَّا الْعَجَلَةُ فَدَلِيلٌ عَلَى نَقْصٍ فِي الْعَقْلِ وَخَلَلٍ فِي التَّفَكِيرِ.

وَالْتَّثَبُّتُ فَضِيلَةٌ، وَالنَّقْلُ مِنْ غَيْرِ تَثَبُّتٍ رَذِيلَةٌ.

فَمَا أَحْوجُنَا إِلَى هَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ؛ فِي زَمَنِ تُرْمَى فِيهِ التَّهْمُ جَزَافًا، وَتُنْقَلُ فِيهِ الْإِشَاعَاتُ وَالْأَخْبَارُ عَجَافًا دُونَ تَثَبُّتٍ وَلَا تَبَيُّنٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقُ بَنِي قَبِيلٍ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيْ مَا فَعَلْتُمْ نَدِمْتُمْ ﴿الْحَجَرَات: ٦﴾. وَفِي قِرَاءَةِ صَحِيحَةٍ مُتَوَاتِرَةٍ: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾^(١)، مِنَ التَّثَبُّتِ، وَهُوَ الْأَنَاءَةُ، وَعَدَمُ الْعَجَلَةِ، وَالتَّبَصُّرُ فِي الْأَمْرِ الْوَاقِعِ

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف العاشر. ينظر: «نشر القراءات العشر» لابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ

والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر بالبيانات الواضحات^(١).

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «من الغلط الفاحش الخطر: قبول قول الناس بعضهم في بعض، ثم يبني عليه السامع حبًّا وبغضًا ومدحًا وذمًّا؛ فكم حصل بهذا الغلط أمور صار عاقبتها الندامة، وكم أشاع الناس عن الناس أمورًا لا حقائق لها بالكلية، أو لها بعض الحقيقة فتميت بالكذب والزور، وخصوصًا من عرفوا بعدم المبالاة بالنقل، أو عُرِفَ منهم الهوى!

فالواجب على العاقل الثبوت والتحرز وعدم التسرع، وبهذا يُعرف دين العبد ووزانته وعقله» اهـ.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع»^(٣).

وعلماء الحديث لا يقبلون قول: «حدثنا الثقة»، بل لا بد من تسميته، فقد يكون ثقةً عندك، غير ثقةٍ عند غيرك.

وإذا رمت الإصلاح بين الخصوم؛ فاجمع بين القائل والمقول فيه، هذا توجيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا تقدم إليك خصمان، فلا تسمع كلام الأول، حتى تسمع كلام الآخر؛ فسوف ترى كيف تقضي»، قال: فقال علي: فما زلت بعد ذلك قاضيًا^(٤).

(١) سبب نزول هذه الآية حسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٨٨)؛ فانظره غير مأمور.

(٢) «الرياض الناضرة» (ص: ٢٣٤).

(٣) رواه «مسلم» في المقدمة (٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) حسن. رواه «أحمد» (٦٩٠)، «الترمذي» (١٣٣١) عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٢٦٤٧)، «صحيح الجامع» (٤٣٥)، وصححه أحمد شاكر في تحقيق المسند (٦٩٠)، رحمة الله على الجميع.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ^(١): «التثبت والثبات: ومن أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم: التثبت فيما ينقل من الأخبار، والتثبت فيما يصدر من الأحكام؛ فالأخبار إذا نقلت؛ فلا بد أن تثبت أولاً، هل صحت عمن نقلت إليه أو لا؟ ثم إذا صحت؛ فتثبت في الحكم، ربما يكون الحكم الذي سمعته مبنياً على أصل تجهله أنت، فتحكم أنه خطأ، والواقع أنه ليس بخطأ، ولكن كيف العلاج في هذه الحال؟

العلاج: أن تتصل بمن نسب إليه الخبر، وتقول: نُقل عنك كذا وكذا، فهل هذا صحيح؟ ثم تناقشه، فقد يكون استنكارك ونفور نفسك منه أول وهلة سمعته؛ لأنك لا تدري ما سبب هذا المنقول، ويقال: إذا علم السبب بطل العجب.

فلا بد أولاً: من التثبت في الخبر والحكم، ثم بعد ذلك تتصل بمن نقل عنه، وتساءله: هل صح ذلك أم لا؟ ثم تناقشه: إما أن يكون هو على حق وصواب؛ فترجع إليه، أو يكون الصواب معك؛ فيرجع إليه... اهـ.

وقال شيخنا الوداعي رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «الواجب على المسلم إذا بلغه خبر من الأخبار فيما يختص بالدعاة إلى الله، وفيما يختص بالمصلحين عليه أن يتحرى في هذا

(١) كتاب «العلم» (ص: ٣٩)، «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٢٦/ ٩٣).

(٢) «المصارعة» (ص: ٢٨).

ومن العجائب والغرائب المضحكات المبكيات: ما نُشر في بعض المقاطع المصورة (فيديو): يزعم فيه المذيع أن مفتي المملكة العربية السعودية شيخنا العلامة عبد العزيز آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يبيع للزوج أن يأكل زوجته أو بعضها إذا خاف على نفسه الجوع والهلاك، وأن هذا يدل على تضحية المرأة وطاعتها لزوجها ورغبتها في أن يصير جسدها وجسده جسداً واحداً.

الأمر، لا سيما ونحن في مجتمع كثر فيه الكذب، وكثرت فيه الدعايات الخبيثة» اهـ.

وقال والدنا العلامة الوصابي رَحِمَهُ اللهُ في وصيته: «أوصي إخواني أهل السنة جميعاً بالتثبت فيما يشاع عن أهل العلم أو غيرهم من طلبة العلم؛ فإن كثيراً من الناس يشيعون عن العلماء وطلبة العلم إشاعات كثيرة لا أصل لها» اهـ.

وقال الشيخ سليمان الرحيلي -حفظه الله-: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

فالواجب علينا إذا جاءنا خبر يقتضي التثبت -أن نتثبت-، والخبر -الذي- يقتضي التثبت -له- أحوال، منها:

١- أن يكون الناقل له فاسقاً معروفاً بالفسق.

٢- أو يكون مجهولاً.

٣- أو يكون الخبر مخالفاً للحس والواقع حتى لو كان الذي نقله ثقة لكنه مخالفٌ للحس والواقع؛ يعني: جاءنا شخص ثقة، قال: انطلقت اليوم الطائرات الحربية من الإمارات، ونحن في الإمارات ما سمعنا صوت الطائرات ولا رأينا الطائرات في سمائنا، ونحن هنا، حتى لو كان ثقة هذا الخبر يقتضي التثبت.

٤- ومنها: أن يكون هذا الخبر مخالفاً للمعلوم؛ يعني مثلاً يا إخوة أنا لي أخ صديق، يحبني وأحبه، يشني علي وأثنى عليه، بيننا خير عامر، وأنا أعرفه، ثم جاءني شخص ثقة عندي، وقال: يا سليمان إن فلاناً يتكلم فيك في المجالس، ويطعن فيك في المجالس، الناقل ثقة لكن الخبر هو خلاف المعلوم؛ فهذا الرجل أنا أعرفه

من سنين، وأعرف ثناءه علي، وأعرف حبه لي؛ هنا يجب أن أتثبت.

٥- والأمر الخامس: أن يكون الخبر مما يترتب عليه شرٌ عظيم.

فيجب التثبت فيه ولو كان ناقله ثقة؛ لعموم ما جاء في هذه الآية، والمسلم يا إخوة إذا لم يثبت عنده الخبر؛ فإنه يتقرب إلى الله بالذب عن عرض المسلم لينال الثواب العظيم من الله؛ ففي حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

قلت: وقد ألفت كلمة بعنوان: «معركة حامية الوطيس بين مملكة الإشاعات ومملكة التثبت»، قلت فيها: إن كل مملكة مكونة من ثلاثة أشخاص، أو ثلاثة أركان:

الأول: الملك.

الثاني: الجنود.

الثالث: الشعب.

فملك مملكة الإشاعات: هو الذي يخلق الإشاعة ويصطنعها بنفسه، فهو المصدر الأول للإشاعة، والمصدر لها، وهو مصنع الكذب والشر وبثر برهوت^(٢).

فما جزاء هذا الملك الكذاب الأفاك الأشر عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

(١) «مسند أحمد» (٤٥ / ٥٢٨) (٢٧٥٤٣)، «سنن الترمذي» (١٩٣١)، وصححه الألباني في تحقيق

«سنن الترمذي» (١٩٣١)، وحسنه شعيب في تحقيق «مسند أحمد» (٢٧٥٤٣)، رحمه الله على

الجميع.

(٢) **بَرَّهَوْتُ:** بثر ب (حضر موت)، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَشَرُّ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءٌ بِوَادِي

بَرَّهَوْتُ...». صحيح، رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الشيخ

الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٣٣٢٢).

لا شك أنه فاسق، وقد جاء في الحديث أنه يعذب في البرزخ بشرشرة وشق شدقه كما في حديث الرؤيا الذي رواه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١).

وهذا منظرٌ رهيب وعذابٌ أليم، فكما أنه غيّر صورة فلان بالكذب والبهتان؛ فإن الله يغيّر صورته في البرزخ بتمزيق وشق شدقه الذي كذب وافترى به على الأبرياء.

الثاني في مملكة الإشاعات: جنود الملك.

وهم من ينقل أخباره بدون تثبت، فهو يصنع وهم يصدرون في جميع وسائل التواصل الاجتماعي، وفي جميع المجموعات، وربما في القنوات والإذاعات، والمجالس والسمر والاستراحات والقاعات، وفي السفر والحضر، وفي كل مناسبة، بدون حياءٍ، ولا تردد، ولا خجل، ولا خوف من الله.

وهؤلاء الجنود منهم: المقل، ومنهم: المكثر، ومنهم: القائد الكبير، ومنهم: الضابط، ومنهم: العقيد، ومنهم: اللواء في هذا البلاء!

ولولا هؤلاء الجنود الذين ينقلون أخبار الملك وإشاعاته لم يكن لهذا الملك وجودٌ ولا ذكر، لكن هم حققوا له ما يريد، هو يريد الكذبة تبلغ الآفاق، فقد بلغت الآفاق بسبب الجنود.

فما جزاء هؤلاء الجنود الذين ينقلون الإشاعات بدون تثبت؟

الجواب: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَفَى بِالْمُرءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(٢).

(١) «البخاري» (١٣٢٠، ٥٧٤٥، ٦٦٤٠).

(٢) رواه «مسلم» في المقدمة (٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَابُ: النَّهْيُ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ.

وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «بئس مطية الرجل: زعموا»^(١).

فهذا الذي ينقل الأخبار المجهولة ولم يتثبت منها يعدُّ كذاباً بنص الحديث: «كَفَى بِالْمُرءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»؛ أي: كل ما سمعه أو قرأه في وسائل التواصل يقوم بنسخه ولصقه ونقله مباشرة بدون تثبت.

فإن قال قائل: هل تريد مني أن أكون محققاً في كل خير يصل إلي؟!

فالجواب: نعم، نتثبت إذا جاءنا الخبر من مجاهيل أو غير ثقات أو ممن عُرف بالاستعجال وعدم الاتزان...، هذا هو الأصل؛ قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، فإن لم ترد التحقق؛ فلا تصدق ولا تنشر، هذا أقل ما يجب عليك، ويجب عليك رد هذا إلى أهل العلم؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

الثالث في مملكة الإشاعات: الشعب.

وهم الذين يستقبلون الإشاعات والكذب والأخبار المجهولة ويصدقونها مباشرة، وإن لم يقوموا بنشرها، فهم الزبائن الذين يشترون البضاعة المزجاة من سوق البطالين وعن طريق الدالين الفاسدين المفسدين في الأرض، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

فهؤلاء الثلاثة هم أركان مملكة الإشاعات.

(١) «مسند أحمد» (٢٣٤٠٣)، «سنن أبي داود» (٤٩٧٢) عن حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وصححه الشيخ الألباني في تحقيق «سنن أبي داود» (٤٩٧٢)، رحمة الله على الجميع.

المَلِكُ يصنع الإشاعة، والجنود ينشرونها له، والشعب يصدق هذه الإشاعات، ﴿ظَلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رِهَا﴾ [النور: ٤٠].

القسم الثاني: المحارب والمكافح لمملكة الإشاعات، وهي مملكة التثبيت، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وهذه المملكة لها ثلاثة أركان كذلك:

الركن الأول: المَلِكُ: وهو الذي إذا سمع بالإشاعة اتخذ تجاه هذه الإشاعة ثلاثة إجراءات:

- ١- الإجراء الأول: التثبيت من الإشاعات والأخبار.
- ٢- الإجراء الثاني: الرد على هذه الإشاعات بالأدلة والبراهين والحجج الباهرة القاهرة.

٣- الإجراء الثالث: البحث عن مصدر الإشاعة الأصلي إذا كان فيه مصلحة، والرد على صاحبها، وكسره وفضحه بين الناس بسيف العدل والحق، وقد يصل به الأمر إلى إبلاغ الجهات المعنية التي تقوم برده وتأييده وتعزيزه إذا رأى في ذلك مصلحة خالصة أو راجحة.

الثاني في مملكة التثبيت: الجنود.

وهم الذين إذا سمعوا بالإشاعة تثبتوا منها تبعاً للملكهم، ولم ينشروها، فإن صحت؛ نشروها بعد إذن الملك لهم بنشرها، وإن لم تصح؛ لم ينشروها.

الثالث في مملكة التثبيت: الشعب.

وهم أهل الوعي والثقافة والعلم والأمانة والدين، إذا وصلت الإشاعة إليهم وعلموا أنها كذب؛ لم يلقوا لها بالاً، وحفروا لها قبراً ودفنوها، وبهذا تموت

الإشاعة، ويرتاح الناس من شرها، ويعيشون في أمنٍ وأمان.

فيكون عمل الملك في مملكة التثبث ثلاثة أمور:

١- التثبث.

٢- الرد على الإشاعة.

٣- مهاجمة صانع الإشاعة وملك الإشاعة إذا رأى في ذلك مصلحة.

أما جنود مملكة التثبث، فمهمتهم:

التثبث والتأني وعدم الاستعجال في نقل الأخبار؛ فإذا سمعوا بالإشاعة؛ تثبتوا منها تبعاً لملكهم المتثبت المتأني العاقل الحكيم، فهم لا يصدرن إلا عن أمره، فإن صحت؛ نشروها بعد إذن الملك لهم بنشرها، وإن لم تصح؛ لم ينسروها؛ فهم جنودٌ عقلاء حكماء.

أما الشعب:

فهم كما قيل: «الناس على دين ملوكهم»^(١)؛ فاكثفوا بعدم التصديق للأخبار المجهولة، ودفنوا الإشاعة -إذا وصلت إليهم- في قبرها، وقالوا: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

فإذا وصلنا إلى هذا المستوى من الوعي؛ فإن الإشاعة ستموت في مهدها.

□ **ومقصدي من ذكر هذه الأمثلة:** هو أن الدعوة إلى الله تعالى أعظم من

كل ملك ومملكة، وعلمائها ومشايخها ودعاتها الصادقون أعظم من كل ملك، وأرفع من كل مسؤول، هذا هو الأصل، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا

(١) ينظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ (٧/ ١٥١)، «الفوائد المجموعة» للشوكاني

رَحِمَهُ اللهُ (ص: ٢١٠).

مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

❑ فإذا تثبت العالم والشيخ والداعية الذي هو بمثابة الملك في قيادة الدعوة

لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كلكم راعٍ، وكلكم مسئولٌ عن رعيته...»^(١)، كما تثبت ملك مملكة التثبيت، وذلك بالقيام بثلاثة أمور:

١- التثبيت من الإشاعات والأخبار، وهذا أمرٌ مطلوبٌ بالكتاب والسنة والإجماع.

٢- الرد على هذه الإشاعات بالأدلة والبراهين والحجج الباهرة القاهرة.

٣- البحث عن مصدر الإشاعة الأصلي إذا كان في ذلك مصلحة راجحة، والرد على صاحبها، وكسره وفضحه بين الناس بسيف العدل والحق.

وصدق الشاعر حين قال:

من الدين كشف الستر عن كل كاذب وعن كل بدعي أتى بالعجائب
فلولا رجالٌ مؤمنون لهدمت صوامع دين الله من كل جانب
فإذا عمل العالم والشيخ والداعية بهذه الأمور الثلاثة؛ فإن الدعوة ستستقر وتنجح نجاحًا كبيرًا بإذن الله.

وأما الجنود في مملكة التثبيت: فهم طلاب العلم، وسفراء العلماء، والركيزة الثانية في مملكة الدعوة المباركة.

ودورهم يكمن في أنهم إذا سمعوا الإشاعة تثبتوا منها تبعًا لشيخهم وعالمهم ومدرسهم، فإن صحت؛ نشروها إن كان في نشرها مصلحة، وإن لم تصح؛ نشرها بين الناس وبينوا أنها كذبٌ بعلمٍ وأدبٍ إذا كانوا أهلًا لذلك، بعد

(١) متفق عليه: «البخاري» (٨٩٣)، «مسلم» (١٨٢٩) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

مشاورة من هو أعلم منهم.

الثالث في مملكة الثبوت: العامة من أهل السنة والمحبون للدعوة وأهلها.

وهم أهل الوعي والحكمة والرزانة والهدوء والأمانة والدين، كما رباهم على ذلك الملك وجنوده، وهم هنا العلماء وطلاب العلم المستفيدون. فإذا وصلت الإشاعة إليهم وعلموا أنها كذب؛ من علمائهم؛ لم يلقوا لها بالاً، وحفروا لها قبراً ودفنوها؛ وبهذا تموت الإشاعة، ويرتاح الناس من شرها، ويعيشون في أمنٍ وأمان، وراحة بالٍ واطمئنان، وينتشر التوحيد والسنة والخير في أنحاء المعمورة.



(٧١) عدم تغافل بعض الدعاة عن بعض عثرات إخوانهم الدعاة أصحاب

المنهج الواحد

اعلم -رحمني الله وإياك-، أن التغافل^(١) من أحسن الأخلاق والآداب، وهو من أدب السادة وأخلاق القادة.

قال أيوب السخيتاني رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «لا يسود العبد حتى يكون فيه خصلتان: اليأس مما في أيدي الناس، والتغافل عما يكون منهم» اهـ.

فعلى الإنسان إذا أراد أن يعيش سعيداً مسروراً محبوباً معدوداً في جملة الكبار أن يتحلى بهذا الخلق الكريم؛ فبهذا الخلق تبقى -بإذن الله- العلاقات قوية، وتنمو المحبة، وتزدهر الدعوة، وتقوى أواصر الأخوة.

أما السوق؛ فلا يعرفون مثل هذه الآداب؛ ولذلك تراهم لدنو همتهم وخسة طباعهم يحصون على أهل العلم والخير والصلاح الصغيرة قبل الكبيرة، ويجعلون من الخيط جبلاً، ومن الحبة قبةً، ومن القبة مزاراً.

قال بعض العلماء: «ما يزال التغافل عن الزلات من أرقى شيم الكرام؛ فإن الناس مجبولون على الزلات والأخطاء؛ فإن اهتم المرء بكل زلةٍ وخطيئةٍ تعب

(١) التغافل هو: تكلف الغفلة مع العلم والإدراك لما يتغافل عنه تكرماً وترفعاً عن سفاسف الأمور. فالتغافل يعلم عن هذا الخطأ ويستطيع معاقبة المخطئ، ولكنه يتغافل عن ذلك ليبقي حبل المودة، ويعالج الأمور بالتي هي أحسن للتي هي أقوم في الوقت المناسب، والمكان المناسب، والحال المناسب.

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ٥).

وأُتعب غيره، والعاقل الذكي من لا يدقق في كل صغيرة وكبيرة مع أهله وأحبابه وأصحابه وجيرانه» اهـ.

وروى البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ^(١) عن عثمان بن زائدة، قال: العافية عشرة أجزاء: تسعة منها في التغافل. قال محمد بن عبد الله الخزاعي - الراوي للأثر عن عثمان -: فحدثت به أحمد بن حنبل، فقال: العافية عشرة أجزاء، كلها في التغافل. وكانت العرب تردد هذا البيت كثيراً:

ليس الغبي بسيدٍ في قومه لكن سيد قومه المتغابي^(٢)
وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: جلست إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً، وقالت إحداهن: زوجي إذا دخل فهد، وإذا خرج أسد، ولا يسأل عما عهد^(٣).

وهي بهذا تمدح زوجها بالتغافل؛ لأن من أبرز صفات الفهد التغافل. قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤): «ومن له عِلْمٌ بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قَدَمٌ صالح، وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذورٌ بل ومأجورٌ لاجتهاده؛ فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين» اهـ.

(١) حسن. أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٢٨).

(٢) «ديوان أبي تمام» (ص: ٢٨).

(٣) متفق عليه: «البخاري» (٥١٨٩)، «مسلم» (٢٤٤٨).

(٤) «إعلام الموقعين» (٣/ ٢٢٠).

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريره للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضلله ونظره ونسب محاسنه، نعم، ولا نفتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك» اهـ.

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «ولو أننا كلّمنا أخطأ إمامًا في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفورًا له قُمنّا عليه وبدّعناه وهجرناه، لما سلّم معنا لا ابن نصر، ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين؛ فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة».

وقال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله، كما أنه من غلب عليه نقصانه ذهب فضله».

وقال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤): «فلا بد من النظر في أمورٍ تنبني على هذا الأصل، منها:

أن زلة العالم لا يصح اعتمادها من جهة، ولا الأخذ بها تقليدًا له؛ وذلك لأنها موضوعة على المخالفة للشرع؛ ولذلك عدت زلة، وإلا فلو كانت معتدًا بها؛ لم يجعل لها هذه الرتبة، ولا نسب إلى صاحبها الزلل فيها، كما أنه لا ينبغي أن

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥ / ٢٧١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤ / ٤٠).

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (٢ / ٨٢١).

(٤) «الموافقات» (٥ / ١٣٦-١٣٧).

ينسب صاحبها إلى التقصير، ولا أن يشنع عليه بها، ولا ينتقص من أجلها، أو يعتقد فيه الإقدام على المخالفة بحثًا؛ فإن هذا كله خلاف ما تقتضي رتبته في الدين» اهـ.

وقال العلامة العباد - حفظه الله -^(١): «ليست العصمة لأحد بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلا يسلم عالمٌ من خطأ، ومن أخطأ لا يُتَابَع على خطئه، ولا يُتخذ ذلك الخطأ ذريعةً إلى عيبه والتحذير منه، بل يُعْتَفَر خطؤه القليل في صوابه الكثير، ومن كان من هؤلاء العلماء قد مضى فيستفاد من علمه مع الحذر من متابعتة على الخطأ، ويدعى له ويُترحم عليه، ومن كان حيًّا سواء كان عالمًا أو طالب علم يُنبّه على خطئه برفقٍ ولينٍ ومحبةٍ لسلامته من الخطأ ورجوعه إلى الصواب».

وأذكر هنا لطيفتين:

اللطيفة الأولى: دفاع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ناقته القصواء وهي بهيمة.

فقد أخرج البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصحيح أن ناقه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بركت في الحديدية، وأبت الدخول إلى الحرم؛ فقال الناس: خلأت القصواء، -أي: استعصت-؛ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا خَلَأَتِ الْقَصَوَاءُ»^(٢)، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ،

(١) «رفقًا أهل السنة بأهل السنة» (ص: ٣١).

(٢) الْقَصَوَاء: اسم ناقه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي التي لم تكن تُسَبَق؛ والمعنى: أن الناقة قد استعصت ولم تعد تمشي؛ أي: أنها ثبتت في مكانها وبركت، وأبت المشي والحركة رغم حثها على السير، فتكلم الناس عليها، وقالوا: خَلَأَتِ الْقَصَوَاءُ؛ أي: استعصت؛ فدافع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها، وقال: «مَا خَلَأَتِ الْقَصَوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»؛ أي: وليس ذلك من عادتها، ولكن منعها من دخول مكة، ما منع دخول الفيل الذي جاءوا به لهدم الكعبة.

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٤ / ٧): «لما رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ =

وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»^(١).

قال الحافظ ابن حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ**^(٢) في فقه هذا الحديث: «قال ابن بطال وغيره في هذا الفصل: ... جواز الحكم على الشيء بما عرف من عاداته، وإن جاز أن يطرأ عليه غيره، فإذا وقع من شخص هفوة لا يعهد منه مثلها؛ لا ينسب إليها، ويرد على من نسبها إليها، ومعدرة من نسبها إليها ممن لا يعرف صورة حاله...» انتهى.

وقال الشيخ بكر أبو زيد **رَحْمَةُ اللَّهِ**^(٣): «فقد أعذر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** غير المكلف من الدواب باستصحاب الأصل، ومن قياس الأولى: إذا رأينا عالماً أو داعيةً، عُرف بالتوحيد والسنة والدعوة إليهما ثم وقعت منه هنة أو هفوة؛ فهو أولى بالإعذار والتغافل، وعدم نسبته إليها والتشنيع عليه بها - استصحاباً للأصل، وغمر ما بدر منه في بحر علمه وفضله...».

اللطيفة الثانية في هذا الموضوع:

قال في «التحرير والتنوير»^(٤): «الكلب أو الجارح، إذا أشلاه القناص

قعود الناقة وبروكها؛ علم أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** أراد صرفهم عن القتال **﴿لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾** [الأنفال: ٤٤]».

(١) «البخاري» (٢٧٣١).

(٢) «فتح الباري» (٥ / ٣٣٥).

(٣) «تصنيف الناس» (ص: ٨٠ - ٨١) بتصرف يسير.

تنبيه: هذا الكتاب لأهل العلم الكبار ملاحظات عليه؛ **فتنبه!**

(٤) «تفسير التحرير والتنوير» لابن عاشور (٦ / ١١٧).

تنبيه: نقلت هذه الفائدة من «تفسير التحرير والتنوير» لابن عاشور لأهميتها، وإلا فتفسيره **رَحْمَةُ اللَّهِ** عليه ملاحظات خطيرة.

قال فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عمر بازمول حفظه الله: «تفسير «التحرير والتنوير» لابن عاشور =

فانشلى، وجاء بالصيد إلى ربه، فهو قد أمسكه عليه، وإن كان قد أكل منه؛ فقد يأكل لفرط جوع أو نسيان، ونحا بعضهم في هذا إلى تحقيق أن أكل الجارح من الصيد هل يقدح في تعليمه؟ والصواب: أن ذلك لا يقدح في تعليمه، إذا كانت

خطير جداً من عدة وجوه:

الأول: أنه قرر فيه أن الحكمة من وجود الإنسان هي عمارة الأرض والقيام بالدينا، وأن هذه العبادات كلها من أجل إعمار الدنيا، وهذا مخالف لقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الثاني: أنه يتجلد رَحْمَةُ اللَّهِ في الكلام على أهل السنة والطعن فيهم كتجلد الزمخشري في الطعن في أهل السنة.

من أجل هذا يشيد أهل البدع والأهواء بهذا التفسير.

المرجع: صوتية بعنوان: «بيان حال كتاب الكشف وكتاب التحرير والتنوير» لفضيلة الشيخ ا. د محمد بن عمر بازمول - حفظه الله تعالى.

وقال ابن عاشور أيضاً في كتاب «أصول النظام الاجتماعي» (ص: ١٧٢): «وفيما عدا ما هو معلوم من الدين بالضرورة من الاعتقادات فالمسلم مخير في اعتقاد ما شاء منه إلا أنه في مراتب الصواب والخطأ.

فللمسلم أن يكون سلفياً، أو أشعرياً أو ماتريدياً، وأن يكون معتزلياً أو خارجياً أو زيدياً أو إمامياً...».

قلت: وهذا خطأ واضح؛ فالحق واحد لا يتعدد، والطائفة المنصورة الناجية واحدة كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَتَفْتَرُقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». رواه الترمذي (٢٦٤١) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه أبو داود برقم (٤٥٩٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِينَا فَقَالَ: «... وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»، وحسنه الشيخ الألباني في تحقيق «سنن الترمذي» (٢٦٤١)، وشعب في تحقيق «سنن أبي داود» (٤٥٩٧)، رحمة الله على الجميع.

أفعاله جارية على وفق أفعال الصيد، وإنما هذا من الفلته أو من التهور -أي: من النادر الذي لا حكم له-.

فإذا كان الشرع عذر البهائم والحيوانات إذا حصل منها خطأ على غير العادة؛ فمن باب أولى أن نعذر ونتغافل عن زلات وهنات الدعاة الصادقين الذين يسرون على المنهج القويم والصراط المستقيم.

والكيّس العاقل هو الفطن المتغافل عن الزلات، وسقطات اللسان وغيرها، إذا لم يترتب على ذلك مفسد أكبر منها، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم»^(١).

وختامًا: تذكر أيها الداعي إلى الله ما مرّ بك من مواقف في حياتك مع أهلك، أو أصدقائك، أو طلابك، أو معلميك، أو عامة الناس، هل تعاملت معهم بالتغافل عن أخطائهم؟ أم حاسبتهم عليها حساب الشريك لشريكه؟

إذا كان الثاني: فتأكد أنه لن يبقى لك صاحب ولا صديق ولا داعية على الطريق؛ لأن العصمة انقطعت يوم دفن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و«كل ابن آدم خطاء...»^(٢)، ولكل جواد كبوة، ولكل سيف نبوة، ولكل داعية هفوة، والماء إذا بلغ القلتين؛ لم يحمل الخبث، والعدل: من كثر خيرُه على شره.

(١) صحيح. رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٦٥)، «أحمد» (٢٥٤٧٤)، «أبو داود» (٤٣٧٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦٣٨)، «صحيح الجامع» (١١٨٥)، رحمة الله على الجميع.

(٢) حسن. رواه «الترمذي» وغيره (٢٤٩٩) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في تحقيق «سنن الترمذي» (٢٤٩٩)، «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩)، رحمة الله على الجميع.

وقد أحسن من قال:

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

وقال آخر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

وإذا أردتم أنه لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، ولا يدعو إلى الله إلا

من لا يخطئ؛ فمعناه: إغلاق باب الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

ولن يدعو على وجه الأرض أحد.



(٧٢) خلط بعض الدعاة بين المداراة والمداهنة أدى إلى ترك المداراة

حاجة الناس عامة وأتباع الرسل خاصة إلى المداراة لا تدانيها حاجة؛ فهي من أخلاق المؤمنين الصالحين، ومن أقوى أسباب الألفة بين المسلمين، وأنجح وسيلة لدفع شر أعداء الدعوة عن الدعوة.

فالدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وظيفه الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، والدعاة إلى الله هم أتباع الأنبياء والرسل؛ لذا لا بد لأتباع الرسل من سلوك سبيلهم، واقتفاء نهجهم في الدعوة، فإذا احتاج الرسل والأنبياء إلى سلوك سبيل المداراة مع أعداء دعوتهم؛ فمن باب أولى أتباع الرسل في هذا الزمن، فهم بحاجة إلى مداراة خصوم الدعوة، بل وإلى مداراة إخوانهم الدعاة الذين معهم في الصف الواحد؛ ليستقيم الصف ويكون كالبنيان المرصوص.

فإذا كان الداعية حريصاً على نجاح دعوته، دارى المدَّعُوِّينَ وعاملهم بما يحبون، حتى لو كان مضطراً إلى قسر نفسه على ذلك ما دام يظن أن عاقبة الأمر إلى خير، والداعية الذي لم يدار المدَّعُوِّينَ سوف يملأونه، وينفضُّون من حوله، ويخسر كثيراً في حياته الدعوية.

وقد خلط بعض الدعاة بين المداراة والمداهنة، فترك المداراة خوفاً من الوقوع في المداهنة، والفرق واضح بين المداهنة والمداراة^(١)؛ فليس في المداراة تنازل عن

(١) قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: «المداراة: من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة، وترك الإغلاظ في القول؛ وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة؛ فغلط؛ لأن المداراة مندوبٌ إليها، والمداهنة محرمة، والفرق: أن المداهنة من الدهان، وهو الذي =

شيء من الدين، ولا غض الطرف عن محرم، بعكس المداهنة؛ قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

فالحد الذي لا يتجاوزه الداعية في مراعاته للمدعوين هو معاصي الله، وما يكرهه تعالى، فيبذل للمدعو من الرفق والمعاملة الحسنة ما يجلبه إلى الهداية، ويميل قلبه إلى الحق دون الوقوع في مداهنته.

إذا فالمداراة معناها: إظهار الحسن في مقابلة القبيح؛ لاستدعاء الحسن مع سلامة الدين.

وقد ثبت في الصحيحين^(١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: استأذن رجلٌ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «أُتِدُّنَا لَهُ، بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ أَوْ ابْنُ الْعَشِيرَةِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ»؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْكَلَامَ؟! قال: «أَيُّ عَائِشَةَ، إِنْ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ أَوْ وَدَّعَهُ النَّاسُ اتَّقَاءَ فُحْشِهِ».

ومن أمثلة مداراة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك:

يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشره الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكارٍ عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، لا سيما إذا احتيج إلى تألفه، ونحو ذلك» اهـ. ينظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٣٠٥-٣٠٦)، «فتح الباري» (١٠/ ٥٢٨).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الروح» (ص: ٣١٩): «المداراة: صفة مدح، والمداهنة: صفة ذم، والفرق بينهما: أن المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يردّه عن الباطل، والمداهن: يتلطف به ليقرّه على باطله، ويتركه على هواه، فالمداراة لأهل الإيثار، والمداهنة لأهل النفاق» اهـ.

(١) «البخاري» (٦٠٥٤)، «مسلم» (٢٥٩١).

مداراته لأهل مكة، حين تلتطف بهم في خطابه، وعفوه عنهم بلا منة، رغم ما لقيه منهم، وتلطفه بالمنافقين في المدينة، وغير ذلك كثير.

وعلى منهاج الأنبياء سار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والسلف الصالح؛ فدفعوا بالمدارة كثيرًا من الشرور، ونالوا مقصودهم بأقل مجهود، وكفوا مؤونة أعدائهم، واتقوا مكرهم، وتخلصوا من لجاجهم.

فهذا أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «إنا لنكشر -أي: نبتسم- في وجوه أقوام، وإن قلوبنا لتلعنهم»^(١).

قال ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢): «وقول أبي الدرداء هذا ليس فيه موافقة على محرم ولا مدهانة في كلام، وإنما طلاقة وجه خاصة للمصلحة» اهـ.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «التودد إلى الناس نصف العقل»^(٣).

ويروى عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال^(٤):

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ	أُرْحَتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعِدَاوَاتِ
إِنِّي أَحْيَيْ عَدُوِّي عِنْدَ رَوْيْتِهِ	لَأُدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
وَأُظْهِرُ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ	كَأَنَّهُ قَدْ حَشَا قَلْبِي مَحَبَّاتِ
وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ	فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَاتِ؟
الْإِنْسَانُ دَاءٌ وَدَاءُ الْإِنْسَانِ قُرْبُهُمْ	وَفِي اعْتِزَالِهِمْ قَطْعُ الْمَوَدَاتِ

(١) صحيح. رواه «البخاري» معلقًا، ينظر: «السلسلة الضعيفة» (٢١٦).

(٢) «الأدب الشرعية» (١/ ٥٠).

(٣) «مدارة الناس» لابن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللَّهُ (ص: ٥٠)، وجاء هذا الأثر أيضًا عن ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) «الديوان المنسوب للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ» (ص: ٢١)، «التنوير شرح الجامع الصغير» للصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ (٦/ ٢٠٤).

فجاملِ الناسَ وأجملِ ما استطعتَ وكن
أصمَّ أبكمَ أعمى ذا تقيّات
وقال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ^(١):

مَا دُمْتَ حَيًّا فَدَارِ النَّاسَ كُلَّهُمْ
فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي دَارِ الْمُدَارَاتِ
مَنْ يَدْرٍ دَارِي وَمَنْ لَمْ يَدْرٍ سَوْفَ يُرَى
عَمَّا قَلِيلٍ نَدِيمًا لِلنَّدَامَاتِ
وقال زهير بن أبي سلمى^(٢):

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
يُضَرَّسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسِمِ



(١) «الأدب الشرعية» لابن مفلح رَحِمَهُ اللهُ (١ / ٥٤)، «البداية والنهاية» (١٥ / ٤٧٩).

(٢) «الأدب الشرعية» (١ / ٥٤)، «الأمثال والحكم» للهاوردي رَحِمَهُ اللهُ (ص: ٢٢٦).

(٧٣) الغفلة عن المدسوسين والمنافقين في الدعوة من جهاتٍ مختلفة

لا يخفى على الدعاة أن الدعوة لم تسلم من هؤلاء في زمن التنزيل فكيف
بزماننا؟!

وقد ذكر الله تعالى لنا في كتابه:

✓ عداوة الشيطان.

✓ وعداوة اليهود.

✓ وعداوة النصارى.

✓ وعداوة المشركين.

✓ وعداوة المنافقين.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آٰمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْحَقُّ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمِينَ﴾ [يس: ٦٠].

وقال سبحانه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ﴾ [المائدة: ٨٢].

لكنه قال في عداوة المنافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]؛ لأن
المنافقين هم أشد أعداء الأمة الإسلامية، وأخطرهم عليها على الإطلاق، فهم
يتلونون تلون الحرباء، حسب البيئة، يظهرون بمظهر الأخ المشفق الحبيب الذي
يحترق على الإسلام وعلى الدعوة وعلى السنة، بينما هم ذئابٌ عليهم ثياب،
يحسبهم الظمان ماءً، يظنهم المؤمن عوناً له، وهم عونٌ عليه، يحسبهم له ناصحين،
وهم هلاكه ودماره، ساعون في الأرض بالفساد، قلما يخلو منهم مجتمعٌ أو نادٍ،

يعملون من وراء الكواليس، ومن خلف الصفوف، ظاهرهم فيه الرحمة وباطنهم من قبله العذاب، خطورتهم أفتح من أن توصف، وأكبر من أن تتسع لها الصفحات وبطون الكتب، يكفيك قول ذي الجلال والإكرام: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وَقْعًا خَلَلَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧]، فاحذروهم يا معشر الدعاة؛ فإن الله قال: ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾.

ولم يكن هناك مجال للنفاق والمنافقين في مكة؛ لقلة المسلمين، فإذا دخل فيهم من ليس منهم انكشف أمره، فكانوا كالنهر قليل الماء تراه صافياً له لمعان لم يخالطه شيء، فلما قويت الدعوة في المدينة؛ دخل فيها المنافقون فأصبحت الدعوة كبيرة كالسيل العظيم الذي يأخذ كل ما كان على جنبتي الطريق من شجرٍ أو حجرٍ أو خرقٍ، وغير ذلك.

وهكذا في عصرنا هذا؛ فقد اتسعت الدعوة -والله الحمد- اتساعاً عظيماً؛ لذلك دخل فيها من المنافقين أضعاف أضعاف من دخل فيها في زمن النبي ﷺ، بقصد الفساد والإفساد فيها، وليسوا من جهة واحدة، بل من جهاتٍ مختلفة، ومكروا في الدعوة مكراً كَبَّاراً، مكر الليل والنهار، ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

فيا حملة الرسالة، اتقوا الله في هذه الدعوة، وحافظوا عليها كما تحافظون على حدقات أعينكم، ف «كلكم راعٍ، وكلكم مسئولٌ عن رعيته»^(١).

(١) متفق عليه: «البخاري» (٢٥٥٤)، «مسلم» (١٨٢٩) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللهُ^(١): «إياكم والمتسلفين المتكلفين السلفية ليستخدموها كوسيلة مؤقتة لغاية معينة».

وقال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «يحذر أهل السنة من اندساس المنافقين في صفوفهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَوْخَرُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧]، وكيف يمكنهم معرفتهم؟ يمكن معرفتهم بأن يسند الأمر إلى أهل العلم الذين أنار الله بصيرتهم، وهم الذين يضعون الأشياء في مواضعها؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] اهـ.

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ^(٣): «أعداء الإسلام لا يخافون من مدافعنا ولا من طياراتنا ولا من رشاشاتنا، ولكن يخافون من الدعوة إلى الله، ومن ثمَّ يحرصون على الفرقة، فأعداء الإسلام حريصون على تفرقة كلمة الدعاة إلى الله؛ فإياكم أن تغتروا بمن يريد أن يفرِّق جمعكم، وأن يفرِّق كلمتكم ولو بلغت لحيته إلى ركبته؛ فتنبهوا تنبهوا!! الأمر خطير».

قلت: فالهجمة الشرسة على الدعوة السلفية قديمة، وليست وليدة العصر؛ بسبب أنها دعوة الحق، ودعوة التوحيد، ودعوة الأنبياء والمرسلين، تدعو إلى التوحيد وتُحذِّر من الشرك، وتدعو إلى السنة وتُحذِّر من البدعة، وتدعو إلى الطاعة وتُحذِّر من المعصية، وتدعو إلى الاجتماع وتُحذِّر من الفرقة، وتدعو إلى طاعة ولاية

(١) «المفهوم الصحيح للسلفية ضمن مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٤١».

(٢) «غارة الأشرطة» (١/ ١٣).

(٣) «غارة الأشرطة» (١/ ٢٠٤).

الأمر بالمعروف ونُحذّر من الخروج عليهم؛ فهي دعوة الحق بحق، ودعوة الحق محاربة من أهل الباطل على مر العصور والدهور، بدليل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١].

فالدعوة السلفية تُحارب من أربع جهات:

الجهة الأولى: الكفار بجميع أصنافهم؛ من يهود، ونصارى، وبوذيين، وملحدين، والكفر ملة واحدة؛ فهم يكيدون للإسلام على وجه العموم، وللدعوة السلفية على وجه الخصوص في الليل والنهار؛ قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ آلُ يَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وينفقون أموالاً باهظة لمحاربة الإسلام والسنة، وصدق الله القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأَنْفَال: ٣٦].

الجهة الثانية: بعض الجهات المغرّ بها في بعض الدول الإسلامية، يجاربون الوهابية المزعومة المتمثلة في (الدعوة السلفية)، ولو عرفوا بأن الدعوة السلفية الصافية النقية هي الإسلام الصافي والمعين العذب الشافي الكافي، وأنها رحمة للحاكم والمحكوم والراعي والرعية، وأنها دعوة أمن وأمان وسلم وسلام للبلاد والعباد لوقفوا معها وساندوها وما حاربوها طرفة عين؛ فيا ليت قومي يعلمون.

الجهة الثالثة: الجماعات والأحزاب المعاصرة، والفرق الإسلامية الضالة، وعدد هذه الفرق الإسلامية الضالة: ثنتان وسبعون فرقة، كما في الحديث الصحيح^(١)، كلهم حربٌ على الدعوة السلفية والفرقة الناجية، ولا يوجد لهم

(١) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، =

عدو من المسلمين إلا من حذر منهم ونفّر عنهم، وهم أهل السنة السلفيون الذين يجذّرون من الباطل وأهله في كل زمان ومكان بعلمٍ وحلمٍ ورحمةٍ وحكمة.

الجهة الرابعة: بعض المتتبعين للدعوة السلفية يفسدون فيها فسادًا عظيمًا

ربما لم تفسده الجهات الثلاث المتقدمة سواء كانوا مدسوسين في الدعوة من إحدى الجهات الثلاثة المتقدمة أو كانوا من سدّج وحمقى السلفيين ممن نقص عقله أو دينه أو علمه؛ فإنهم يفسدون في الدعوة أشد من غيرهم؛ وصدق النبي ﷺ حينما قال عندما ذكر عنده الدجال: «لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَخَوْفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ...»^(١)، وكان شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ يردد ما بين حين وآخر: «أخوف ما أخاف على الدعوة من أهلها».

فتنبهوا يا علماء الدعوة السلفية ويا عقلاء الدعوة السلفية ورموزها وكبارها في كل مكان؛ فالحملة شرسة على الإسلام أولاً، وعلى الدعوة السلفية على وجه الخصوص ثانياً، فكلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فالحاكم يحافظ على

قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». رواه الترمذي (٢٦٤١) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ورواه أبو داود برقم (٤٥٩٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِينَا فَقَالَ: «... وَإِنَّ هَذِهِ الْمَلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»، وحسنه الشيخ الألباني في تحقيق «سنن الترمذي» (٢٦٤١)، وشعيب في تحقيق «سنن أبي داود» (٤٥٩٧)، رحمه الله على الجميع.

(١) صحيح. رواه «أحمد» (٢٣٣٠٤)، «ابن حبان» (٦٨٠٧) عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٨٢)، وشيخنا الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٣٠٦)، رحمه الله على الجميع.

دولته، وأنت أيها الداعي السلفي تحافظ على دعوتك ودولتك، فإن كان ثمة رباط على جبل الرماة اليوم، وعلى ثغور الإسلام؛ فإنكم أنتم من المرابطين^(١)؛ فأنتم حراس العقيدة الصحيحة، وحراس السنة النبوية، والمنهج السني المستقيم، وأنتم العيون الساهرة تراقبون غزاة الدعوة السلفية والمتربصين بها من الداخل والخارج؛ فاتقوا الله واثبتوا، ولا تبرحوا أماكنكم، ولا تغيروا ولا تبدلوا. وجددوا واجتهدوا في نشر التوحيد والسنة، وترتيب الصف السلفي،

(١) قال صلى الله عليه وسلم: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ، جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأَجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَانُ». رواه مسلم (١٩١٣)، عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي رواية: «مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ كَأَلْفِ لَيْلَةٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا». رواه ابن ماجه (٢٧٦٦) عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٢٤). وفي رواية: «مَنْ مَاتَ مُرَابِطاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَجْرَى عَلَيْهِ أَجْرَ عَمَلِهِ الصَّالِحِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ مِنَ الْفَتَانِ، وَبَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِناً مِنَ الْفَرَجِ». رواه ابن ماجه (٢٧٦٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «سنن ابن ماجه» (٢٧٦٧).

هذا أجر المرباط على الثغور. ومن أعظم الأحاديث في باب الترغيب هو أجر المرابطين على الثغور لحماية البلاد والعباد من الكفار والمفسدين، وهو عمل عظيم بلا شك؛ لذلك رُتّب عليه هذا الأجر العظيم. فما بالك بالعلماء والدعاة المرابطين على ثغور الإسلام لحماية الدين من الكفار والمفسدين والدفاع عن العقيدة الصحيحة والسنة النبوية، ورد الشبه ونشر الفضيلة وفتح قلوب العباد للإسلام والسنة والعقيدة الصحيحة والمنهج السوي.

فهؤلاء أيضاً من أعظم المرابطين، فإذا مات الداعي إلى التوحيد والسنة؛ فإنه يجري عليه عمله -إن شاء الله- إلى يوم القيامة، وينال نفس أجور المرابطين على الثغور التي ذكرت في الأحاديث الصحيحة إذا صحت النية؛ فاستبشروا يا دعاة التوحيد والسنة، وربطوا على ثغور الدعوة السلفية الصحيحة، ودافعوا عنها بالحكمة والموعظة والحسنة.

وسدوا الخلل والفُرج، وإياكم والانزهاص النفسي، وأبشروا ثم أبشروا وبشروا؛ فإن الإسلام قادمٌ بقوة، والله الحمد، ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره المنافقون؛ فإن الإسلام إن حاربوه اشتد، وإن تركوه امتد، والدعوة السلفية كذلك محفوظة بحفظ الله تعالى؛ فهي كالسيل الجرار إن وضعوا له سدوداً تجمع، وإن تركوه تدفق على الحداثق والأشجار ف ﴿أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». متفق عليه ^(١).
وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيُكَلِّغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ» ^(٢).



(١) «البخاري» (٣٦٤١)، «مسلم» (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) صحيح، رواه «أحمد» (١٦٩٥٧)، وغيره عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ينظر: «الصحيح» (٣٢/١).

ولمزيد شحذ الهمم في هذا الموضوع ينظر كتابي: «الحل الوحيد الصحيح للقضية الفلسطينية في ضوء الكتاب والسنة» عند فقرة: (المستقبل للإسلام) (ص: ٥٥-٦٢).

(٧٤) «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْفَرِينَ»

ورد ذم التنفير في الشرع الحكيم بعبارات كثيرة ومتنوعة؛ وذلك للأضرار التي تترتب على اتصاف الداعية بهذه الآفة الخطيرة، وقد حفلت السنة النبوية الصحيحة الصريحة بالنهي عن التنفير، وذلك في أحاديث كثيرة، من أبرزها: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ وأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين بعثهما إلى اليمن دعاة إلى الله: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا»^(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْفَرِينَ»^(٢).

وحض الشارع الحكيم على دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن؛ كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فتنفير الناس عن الدين الحق والدعوة الصافية النقية بسبب سوء الأخلاق، أو سوء التصرف، أو عدم السداد في الخطاب الدعوي أو غير ذلك؛ خطأ فادح، يجب على الداعية أن يتعلم أسلوب الدعوة قبل أن يدخل هذا الميدان، فدعوة أهل السنة مبنية على التأهيل قبل التشغيل، فكل عمل وكل وظيفة وكل صنعة لا يعمل فيها إلا من أتقنها، إلا الدعوة؛ فإننا نرى أنه يدخل فيها من يحسن ومن لا يحسن، وكثير منهم دخل فيها وما أدخل فيها، بل أخرج منها!

(١) متفق عليه: «البخاري» (٤٣٤١)، «مسلم» (١٧٣٣).

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٧١٥٩)، «مسلم» (٤٦٦) عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وحتى أقرب لك هذا المعنى؛ فإن تجار الدنيا لا يحبون مشاركة من لا يحسن التجارة وينفر الزبائن^(١)؛ ففي مشاركته خسارة له.

فكيف ببعض أهل الدين والعلم والتقى يشاركون من طبعه وطريقته وسلوكه التنفير عن الدين وعن الصراط المستقيم، علم أو لم يعلم، فكل مجال له رجاله وفرسانه، فلا يكن أرباب الدنيا خيراً منا في هذا الباب؛ فإنهم يزينون بضائعهم للزبائن بأحسن العبارات، وأرقى الكلمات، مع التبسط والتبسم للزبائن، وإظهار الصدق المزيّف إلا من رحم الله، ويصفون بضائعهم المزجاة كأنها نزلت من السماء!، وأنت الخاسر إذا لم تشتري!، وأن هذه فرصة!، والحياة فرص!، كل ذلك ترويح لسلعهم وبضائعهم.

فأنتم أيها الدعاة أحق وأولى بحسن الأخلاق في الدعوة مع مراعاة الضوابط الشرعية، لا سيما وقد أمركم الله بهذا في كتابه؛ فقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

وقال: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وأمر النبي ﷺ بالإحسان في كل شيء؛ فقال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ...»^(٢)، وأنت صاحب حق، والفطر مجبولة على قبول هذا الحق، وأعظم حق تدعو إليه وبه: القرآن والسنة، ومع هذا قال ﷺ:

(١) الزبون: المشتري من تاجر. ينظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٣٨٩).

(٢) رواه «مسلم» (١٩٥٥) عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«زينوا القرآن بأصواتكم»^(١).

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «... أكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهال أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدي والإدلاء»^(٣)، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء؛ فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، وتعذر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها».

وقال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ^(٤): «من الأخلاق التي ينبغي لك أن تكون عليها أيها الداعية، أن تكون حليماً في دعوتك، رفيقاً فيها، متحملاً صبوراً، كما فعل الرسل عليهم الصلاة والسلام، إياك والعجلة، إياك والعنف والشدة، عليك بالصبر، عليك بالحلم، عليك بالرفق في دعوتك، وقد سبق لك بعض الدليل على ذلك؛ كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

(١) صحيح. رواه «أحمد» (١٨٤٩٤)، «أبو داود» (١٤٦٨) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في تحقيق «سنن أبي داود» (١٣٢٠)، «المشكاة» (٢١٩٩)، وشيخنا الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١٣٠)، رحمه الله على الجميع.

تنبيه: قال الشيخ عبد العزيز البرعي -حفظه الله- معلقاً على هذه الفقرة: «لكن هؤلاء المنفرين لا نخسرهم إذا صحت نياتهم، بل ننصحهم ونعلمهم ونصارحهم بما لديهم، ومن نظر إلى الشباب المتبدئين الغيورين على الدعوة يجدهم منفرين!، ومع الأيام أصبحوا علماء ودعاة عقلاء؛ فأهم شيء إصلاح النية، والاستعداد لقبول النصيحة والتوجيه» اهـ.

(٢) «الموافقات» (٢٨٩ / ٥)، «الاعتصام» للشاطبي رَحِمَهُ اللهُ، ت: الهلالي (٧٣٢ / ٢).

(٣) من قولهم: «أدلى فلان في فلان»؛ أي: قال قبيحاً، وليس المراد الإدلاء بالحجة؛ لأنه لا يناسب ما قبله وما بعده. ينظر: «الموافقات» (٢٨٩ / ٥) تحقيق: مشهور.

(٤) «مجموع فتاوى ابن باز» (٣٤٦ / ١).

وَجَدَلَهُمْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿[النحل: ١٢٥]﴾، وقوله سبحانه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ ﴿[آل عمران: ١٥٩]﴾ الآية، وقوله جَلَّ وَعَلَا في قصة موسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَنَّا لَعَلَّهُ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿[طه: ٤٤]﴾، وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ؛ فَاشَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَّقَ بِهِمْ؛ فَارْفُقْ بِهِ». خرجه مسلم في الصحيح ^(١).

فعليك يا عبد الله، أن ترفق في دعوتك، ولا تشق على الناس، ولا تنفرهم من الدين، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك، ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار، عليك أن تكون حليماً صبوراً، سلس القياد، لين الكلام، طيب الكلام حتى تؤثر في قلب أخيك، وحتى تؤثر في قلب المدعو، وحتى يأنس لدعوتك، ويلين لها، ويتأثر بها، ويشني عليك بها، ويشكرك عليها، أما العنف؛ فهو منفر لا مقرب، ومفرق لا جامع اهـ.

وقال العلامة ربيع المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٢): «... الداعي إلى الله، وطالب العلم والموجه، يحتاج الجميع إلى أن يتأسوا برسول الله ﷺ في: عقيدته، ومنهجه، وأخلاقه.

فإذا تكاملت هذه الأمور في الداعية إلى الله أو قارب فيها الكمال؛ نجحت دعوته - إن شاء الله - وقدمها للناس في أجمل صورها وأفضلها.

وإذا خلت هذه الأمور من الأخلاق التي منها:

(١) رواه «مسلم» (١٨٢٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) نصيحة من الشيخ ربيع بن هادي المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ إلى السلفيين في الجزائر، بعنوان: «الحث على المودة والائتلاف، والتحذير من الفرقة والاختلاف». موقع الشيخ الرسمي، بتصرف يسير.

الصبر، ومنها: الحكمة، ومنها: الرفق، ومنها: اللين، ومنها: أمورٌ ضرورية تتطلبها دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فلا بد أن نستكملها، وقد يغفل عنها كثيرٌ من الناس، وذلك يضر بالدعوة السلفية، ويضر بأهلها إذا أغفلها، وقدم إلى الناس ما يكرهونه ويستبشعونه ويستفزعونه من الشدة والغلظة والطيش؛ فإن هذه أمور مبعوضة في أمور الدنيا فضلاً عن أمور الدين؛ فلا بد للداعي إلى الله أن يتحلى بالأخلاق الكريمة العالية، ومنها: رفقته في دعوته الناس إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**.

أناسٌ يوفقون للعقيدة والمنهج، لكن في سلوكهم يضيعون العقيدة ويضيعون المنهج، يكون معهم الحق، ولكن سلوكهم وأسلوبهم في الدعوة يؤثر عليها ويضرها! فاحذروا من مخالفة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في عقيدته، وفي منهجه، وأخلاقه، وفي حكمته، في دعوته.

اعقلوا كيف كان يدعو الناس **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، واستلهموا هذه التوجيهات النبوية إلى الحكمة، إلى الصبر، إلى الحلم، إلى الصفح، إلى العفو، إلى اللين، إلى الرفق، إلى أمور أخرى، إلى جانب هذه استوعبوها - يا إخواني - واعلموا أنها لا بد منها في دعوتنا للناس، لا تأخذ جانباً من الإسلام وتهمل الجوانب الأخرى، أو جانباً من جوانب طريق الدعوة إلى الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وتهمل جوانب أخرى؛ فإن ذلك يضر بدين الله **عَزَّوَجَلَّ**، ويضر بالدعوة وأهلها.

والله ما انتشرت الدعوة السلفية في هذا العصر القريب وفي غيره إلا على أيدي أناسٍ علماء حكماء حلماء يتمسكون بمنهج الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**،

ويطبقونه قدر الاستطاعة؛ فنفع الله بهم، وانتشرت الدعوة السلفية في أقطار الدنيا بأخلاقهم وعلمهم وحكمتهم، وفي هذه الأيام نرى أن الدعوة السلفية تتراجع وتتقلص؛ لأنها فقدت حكمة هؤلاء، وحكمة الرسول ﷺ قبل كل شيء، وحلمه، ورحمته، وأخلاقه، ورفقه، ولينه ﷺ.

ففي الصحيحين^(١) من حديث عروة بن الزبير أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زوج النبي ﷺ، قالت: «دخل رهطٌ من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليكم؛ قالت عائشة: ففهمتها؛ فقلت: وعليكم السام واللعنة؛ قالت؛ فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة؛ إن الله يحب الرفق في الأمر كله»، فقلت: يا رسول الله، ولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: قد قلت: وعليكم».

هذا الحديث إذا ذكره عالم يوجه الشباب إلى المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله؛ يقولون: هذا تميع - هذا تمييع، إذا ذكرت الحكمة والرفق واللين والحلم والصفح، التي هي من ضروريات الدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومن العوامل التي تجذب الناس إلى الدعوة الصحيحة؛ فيدخل الناس في دين الله أفواجاً، يستخدمون التنفير - رغم أن رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفِرِينَ»^(٢)، «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا»^(٣) يا أخوان هؤلاء لا يدركون.

(١) «البخاري» (٥٦٧٨)، «مسلم» (٢١٦٥).

(٢) «البخاري» (٦٧٤٠)، «مسلم» (٤٦٦) عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «البخاري» (٦٩) واللفظ له، «مسلم» (١٧٣٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظ «مسلم»: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا، وَلَا تُنْفِرُوا».

وإلا فوالله يلزمهم أن يصموا الرسول ﷺ بأنه مبيع، والصحابة وعلماء الأمة بأنهم مبيعون، يلزمهم على هذا التشدد العنيف المهلك الذي أهلك الدعوة السلفية - يلزمهم أن يكون الرسول ﷺ نفسه الذي يدعو إلى الرفق والحكمة واللين يكون هو مبيع - نستغفر الله - والله - لا يريدون هذا ولا يقصدونه، ولكن لا يدركون؛ فعليهم من الآن أن يدركوا ماذا يترتب على هذه الأحكام.

نحن والله نجاهد ونناظر ونكتب وننصح بالحكمة، ندعو الناس بذلك إلى الله عز وجل، وبعض الناس لا يريد أن نقول: حكمة، ولين، ورفق - لما رأينا أن الشدة أهلكت الدعوة السلفية ومزقت أهلها - فماذا نصنع؟!

هل عندما نرى النيران تشتعل نأتي ونصب عليها البنزين لنزيدها اشتعالاً؟! أو نأتي بالأسباب الواقية التي تطفى هذه الحرائق والفتن؟

فهذا واجب الجميع اليوم - وأقولها من قبل اليوم -: لما رأيت الدمار، لما رأيت هذا البلاء؛ أقول: عليكم بالرفق - بارك الله فيكم -، عليكم باللين، عليكم بالتأخي، عليكم بالتراحم.

الآن هذه الشدة توجهت إلى أهل السنة أنفسهم! تركوا أهل البدع والضلال، واتجهوا إلى أهل السنة بهذه الشدة المهلكة! وتخللها ظلمٌ وأحكامٌ باطلةٌ ظالمةٌ!

فإياكم ثم إياكم أن تسلكوا هذا المسلك الذي يهلككم ويهلك الدعوة السلفية ويهلك أهلها.

ادعُ إلى الله - عز شأنه - بكل ما تستطيع، بالحجة والبرهان في كل مكان: قال

الله تعالى، قال رسول الله ﷺ، واستعن بعد ذلك وقبله بالله ثم بكلام أئمة الهدى الذين يسلم بإمامتهم ومنزلتهم في الإسلام أهل السنة وأهل البدع! خذوا هذا، وأنا أوصي نفسي وإخواني في الجزائر وغيرها بتقوى الله تعالى والتمسك بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ ثم بالدعوة إلى الله ب: قال الله تعالى، قال رسول الله ﷺ، قال فلان من الأئمة الذين يحترمهم المدعوون والذين لهم منزلتهم عندهم، ولهم مكانتهم، وما يستطيعون الطعن فيهم ولا في كلامهم.

ففي الجزائر وغيرها من بلاد إفريقيا؛ تقول: قال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ، قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ، قال الإمام ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ اللهُ، وغيرهم... يسمعون ويسلمون لك.

فأهل العقائد الفاسدة لما تأتاهم بكتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ وتأتي بكلام العلماء الذين لهم منزلة في نفوسهم يمشون معك وينقادون لك، فإذا ذكرت العلماء المحترمين - عندهم - قبلوا منك الحق واحترموه؛ فهذه من الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

أقول: هذا نوع من التنبيه إلى سلوك طريق الحكمة في دعوة الناس إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ومنها - كذلك - ألا تسب جماعتهم ورؤوسهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فليس من الحكمة - ابتداءً - في دعوتك الناس أن تطعن في شيوخهم! ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ فإذا سببت

الشيخ الفلاني أو قلت عنه بأنه ضال -وهم متعلقون به!- نفروا من دعوتك، وتأثم؛ لأنك قد نفرت الناس عن الحق!

والنبي ﷺ لما أرسل معاذًا وأبا موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى اليمن؛ قال لهما: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا»^(١).

فهذه من الطُرُق التي فيها التيسير وفيها التبشير، وليس فيها تنفير ولا تعسير.

فتعلموا يا إخواني هذه الطُرُق؛ فإن القصد هداية الناس، والقصد إيصال الحق إلى قلوب الناس.

استخدم كل ما تستطيع من وسيلة شرعية، المهم أن تصل إلى الغاية بالوسيلة الشريفة خلافاً لأهل البدع الذين يستعملون الكذب واللف والدوران والمناورات، هذه ليست من المنهج السلفي.

نحن أهل صدق، وأهل حق، ونعرض في أي مدى الصور التي يقبل فيها الناس الحق، وتؤثر في نفوسهم، بارك الله فيكم.

فاستخدموا -يا إخواني- العلم النافع، والحجة القاطعة، والحكمة النافعة في دعوتكم، وعليكم بكل الأخلاق الجميلة النبيلة التي حث عليها كتاب ربنا الكريم، وحث عليها رسول الهدى ﷺ؛ فإنها عوامل نصر، وعوامل نجاح، والصحابة رضوان الله عليهم ما نشروا الإسلام ودخل في القلوب إلا بحكمتهم وعلمهم أكثر من السيوف، والذي يدخل في الإسلام تحت السيف قد

(١) «البخاري» (٤٠٨٦)، «مسلم» (١٧٣٣) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي رواية عند «مسلم» (٢٠٠١): «ادْعُوا النَّاسَ، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا، وَيَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا».

لا يثبت! والذي يدخل الإسلام - يدخله عن طريق العلم والحجة والبرهان - هذا الذي يثبت إيمانه؛ فعليكم بهذه الطُّرُق الطيبة، وعليكم بالجد في العلم وعليكم بالجد في الدعوة إلى الله.

ثم **أنبهكم** - يا إخواني ويا أبنائي - إلى التآخي بين أهل السنة السلفيين جميعاً، بُثُوا فيما بينكم روح المودة والأخوة، وحققوا ما نبهنا إليه رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، بأن المؤمنين كالبنيان يشد بعضه بعضاً، والمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

كونوا هكذا يا إخواني، وابتعدوا عن عوامل الفرقة؛ فإنها والله شرٌّ خطيرٌ وداءٌ وبيلٌ، واجتنبوا الأسباب التي تؤدي إلى الإحن والبغضاء والفرقة والتنافر، ابتعدوا عن هذه الأشياء.

فاحرصوا - بارك الله فيكم - على الأخوة، وإذا حصل بينكم شيءٌ من النفرة فتناسوا الماضي، وأخرجوا صفحات بيضاء جديدة الآن، وأنا أقول لإخواني السلفيين جميعاً: الذي يقصر ما نسقطه ونهلكه! بل الذي يخطئ منا نعالجه باللطف والحكمة، ونوجه له المحبة والمودة حتى يؤوب، وإن بقي فيه ضعفٌ ما نستعجل عليه، وإلا - والله - ما يبقى أحد!

وأنا أعلم أنكم لستم بمعصومين، وليس العلماء بمعصومين أيضاً، فقد يخطئون، اللهم إلا إذا دخل في رفضٍ أو في اعتزالٍ، أو في تجهُّمٍ، أو في قَدَرٍ أو في إرجاءٍ أو في تحزُّبٍ من الحزبيات الموجودة - عياداً بالله من ذلك كله -.

وأما السلفي الذي يوالي السلفيين، ويحب المنهج السلفي، ويكره التحزب ويكره البدع وأهلها، ثم قد يضعف في بعض النقاط فمثل هذا نترفق به ما نتركه،

بل ننصحه وننصحه ونتشله ونصبر عليه ونعالجه -بارك الله فيكم-.

أما من أخطأ فنسرع إلى إهلاكه! بهذا الأسلوب لا يبقى معنا أحد!

فأنا أوصيكم -يا أخواني- وأركز عليكم: اتركوا الفرقة، عليكم بالتآخي، عليكم بالتناصر على الحق، عليكم بنشر هذه الدعوة على وجهها الصحيح، وصورتها الجميلة، لا على الصور المشوهة.

قدّموا الدعوة السلفية المباركة كما قلت لكم ب: قال الله تعالى، قال رسول الله ﷺ، قال الشافعي، قال أحمد، قال البخاري، قال مسلم، قال أئمة الإسلام، وستجدون أكثر الناس يقبلون على دعوتكم، استخدموا هذه الطرق، التي تجذب الناس إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة رسول الله ﷺ وإلى منهج السلف الصالح، والعقائد الصحيحة والمنهج الصحيح.

وختاماً: أرجو من الجميع أن يأخذوا بهذه النصيحة القائمة على التوجيهات الربانية والنبوية؛ قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

وأطلب منهم: التآخي والتعاون على البر والتقوى، وألا يفسحوا المجال للشيطان ليفسد ما بينهم ويفرق كلمتهم». انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ.



(٧٥) من الخطأ وقوع بعض الدعاة في مماحكات مع إخوانه كالمماحكات

السياسية

إن مما يؤسف له تشابه المماحكات الدعوية بالمماحكات السياسية أحياناً في بعض الأمور، كالمزاحمة في المحاضرات والدروس والكلمات، فإذا علمنا أن المخالف لنا عنده محاضرة أو كلمة أو درس... في مسجد كذا، وحيّ كذا؛ نعلن محاضرةً بجواره في نفس التوقيت من باب الضرار والإضرار، وتفريق الناس عنه والتشويش عليه، ولو كان على معتقدنا وخالفنا في مسألة أو مسألتين يسوغ فيها الخلاف! ^(١).

وهكذا المُلَاسَنَةُ والردود بالصوتيات، فإذا تكلم فلانٌ بصوتيةٍ؛ رددنا عليه بصوتيات!، وإذا كَتَبَ ملزماً (مذكراً)؛ رددنا عليه بملازم، وربما تصل هذه المماحكات والمشاجرات والمهاترات إلى المحاكم والقضاء!، ويشمت بدعوتنا الخصوم والأعداء، والقاصي والداني، والقريب والبعيد، «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ بِمَا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ بِمَا صَنَعَ هَؤُلَاءِ» ^(٢).

(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي -حفظه الله-، معلقاً على هذه الفقرة: «وبعض طلبة العلم مثل علبة البيسي إذا رجّها أحد فارت وخرج ما فيها، وهكذا إذا تحرك الحزبيون بمحاضرات أو دروسٍ تحرك مثلهم، وإذا وقفوا وقف!، وهذا خطأ، بل نسير بدعوتنا وكأن الخط لنا ليس فيه غيرنا، مع معرفة جميع ما يدور حولنا وأخذ الحذر» اهـ.

(٢) رواه «البخاري» (٢٨٠٥) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ له، «مسلم» (١٩٠٣).

قال العلامة ربيع المدخلي رَحِمَهُ اللهُ^(١): «املؤوا الدنيا علماً؛ الناس بحاجة إلى هذا العلم، هذه المهاترات تشوه المنهج السلفي، وتنفر الناس منه، واتركوا المهاترات سواء على الإنترنت، أو في أي مجال من المجالات، في أي بلد من البلدان، قدّموا للناس العلم النافع، والجدال لا تدخلوا فيه مع الناس ولا مع أنفسكم».



(١) «الذريعة» (٣/ ٢١٥).

**(٧٦) بعض الدعاة يشعل الفتن قولاً وفعلًا ، ويوجه بإشعالها ، ثم يوجه
- بلسان مقالهِ لا حالهِ - الطلاب بالإقبال على العلم وترك الفتن!**

إن بعض الدعاة والمشايخ ممن قد يختلف مع أخيه في مسألة أو مسألتين يسوغ فيها الخلاف يشعلون الفتن في أوساط الدعوة، في دروسهم، ومحاضراتهم، ومجالسهم، وكتاباتهم، ثم يقولون بلسان مقالهم لا بلسان حالهم: يا طلبة العلم لا تشتغلوا بالفتن، وأقبلوا على العلم والدعوة!، وهو الزارع لها وهم الحاصدون، وربما هو الذي يطالبهم بتحديد المواقف!، وهجر من لم يوافق، وربما تبديعه والتحذير منه، وهذا يذكرنا بالبيت المشهور:

أَلْقَاهُ فِي أَيْمٍ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ: إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلُ بِأَمَاءٍ
فَإِنْ هَذَا - وَاللَّهِ - مِمَّا يَحْزِنُ الْقَلْبَ وَيَدْمِي الْفُؤَادَ أَنْ تَرَى فِتْنًا مِنَ الْآبَاءِ
وَالْمُرِينَ وَالْكِبَارِ وَالْقَدَوَاتِ، صَارُوا لَا يَتَوَرَّعُونَ أَنْ يَقُولُوا مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَلَا
يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَنْهَوْا عَمَّا فِيهِ يَقْعُونَ، وَصَارَ الصِّغَارُ يَرُونَ التَّنَاقُضَ الْوَاضِحَ الْفَاضِحَ
عَلَى الْكِبَارِ، مِمَّا أَوْقَعَهُمْ فِي حَيْرَةٍ وَاضْطِرَابٍ، وَجَعَلَهُمْ لَا يَسْتَقِرُّونَ عَلَى حَالٍ،
وَصَارَ أَحَدُهُمْ يَسْأَلُ نَفْسَهُ: مَاذَا أَفْعَلُ وَهَذَا أَبِي؟! وَكَيْفَ أَتَصَرَّفُ وَذَاكَ مُعَلِّمِي،
أَأَصْدُقُ حُسْنَ أَقْوَالِهِمَا أَمْ أَقْتَدِي بِسَيِّئِ فِعَالِهِمَا؟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا^(١).



(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي - حفظه الله - معلقًا على هذه الفقرة: «وقد أحسن من قال: من الذي غرَّ الأغمار وتبرأ من الشمار؟».

(٧٧) إن وسائل التواصل الاجتماعي في باب الفتن دمرت وما عمرت،

وأوصلت خلاف الدعوة إلى جميع القارات

اعلم -رحمني الله وإياك-، أننا نعيش في عصرٍ سهَّلَ الله لنا فيه الصعاب وقَرَّبَ البعيد، إنه عصر التواصل والتقنية، وتسهيل القريب وتذليل البعيد، عصرٌ أصبح العالم كقريةٍ واحدةٍ؛ لو عطس من في بلاد المغرب؛ لشمَّته من في العالم والقارات الست؛ فاللهم أوزعنا شكر نعمك: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وإن المصيبة كل المصيبة أن نحول هذه النعم إلى نِقَم؛ فوسائل التواصل الاجتماعي أصبحت عند البعض وسائل تفاصل وليست وسائل تواصل، وحلقة فصل وليست حلقة وصل، ودمرت وما عمرت، وهدمت وما ردمت، وأوجدت التشاحن، والتباغض، والتدابير، والتهاجر، وشتت الصف، وأصبحت منبعا للفتن والمحن.

إنها أجهزةٌ ذكية مع عقول غبية -إلا من شاء الله-؛ فعلينا أن نعلن حالة الاستنفار، وأن ندق جرس الإنذار وناقوس الخطر من هذه الوسائل، ونحذر كل الحذر من شرها، فالدين وأحكامه أيها العقلاء النبلاء يؤخذان من العلماء الربانيين، من علماء الأمة وبقية السلف، وليس من سفهاء النت وشبكات التواصل الاجتماعي التي صارت مرتعا للفتن؛ فقد سببت هذه الوسائل كثرة الفتن والمحن، سقط في خضم هذه الوسائل الأفاضل، وارتفع الأراذل، وتعملق الأقزام، وتقزم العمالقة.

لقد جعلت هذه الوسائل من الحبة قبة، ومن القبة حبة، ومن العالم جاهلاً، ومن الجاهل عالماً، ومن الاجتماع فرقةً، ومن الألفة عداوةً، ومن الصلة انقطاعاً، ومن القوة ضعفاً.

ففي سابق العهد لم تكن تنتشر الفتن بهذه السرعة؛ لأن العالم قد يقول كلمةً ويخطئ فيها، وتبقى الكلمة في محيطه وبين طلابه، وقد تصل إلى أهل المسجد، أو إلى الحي، أو إلى قريته، أو مدينته، أو إلى بلده بعد فترةٍ طويلةٍ من الزمن، وما تخرج إلى البلدان الأخرى إلا بعد زمنٍ طويل، هذا إذا لم تمت الفتنة في مهدها، أما اليوم فإذا أخطأ الشيخ بكلمةٍ أثناء درسه فما ينتهي الشيخ من درسه إلا وقد وصلت هذه الكلمة إلى العالم، وقد بدأ الناس بالردود عليه؛ فاتسع الخرق على الراقع، وأصبحت الدنيا بلاقع^(١).



(١) بلاقع: جمع بلقع، وهي الأرض القفراء التي لا شيء فيها، وفي الحديث: «... واليمين الفاجرة تدعُ الدَّيَّارَ بِلَاقِعٍ». أخرجه السيهقي في «السنن الكبرى» (١٩٨٧٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٩٧٨)، وينظر: «السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير» (٢/ ٨٤٤).

(٧٨) الزارعون والحاصدون: فالزارعون للخير هم الدعاة الصادقون،

وبعض الحاصدين لبعض هذا الخير هم العابثون في الدعوة

قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ»^(١).

ومن غرسهم الله **عَزَّ وَجَلَّ** في هذا الدين: الدعاة والعلماء الحكماء الرحماء، الذين يجتهدون في نشر التوحيد والسنة والعلم والفضيلة بين الناس، برفقٍ ولينٍ وحكمةٍ، وصبرٍ وجدٍّ واجتهادٍ، ويبدلون في ذلك الغالي والنفيس، ليلهم ونهارهم، سرهم وجهارهم، ويسافرون من بلدٍ إلى بلدٍ، ومن قريةٍ إلى قريةٍ، ومن مدينةٍ إلى مدينةٍ، ومن دولةٍ إلى دولةٍ، من أجل هذه الغاية النبيلة، حتى إذا استوى الزرع على سوقه، جاء الحاصدون العابثون في الدعوة فحصدوا هذا الخير وهذه الثمرة ورموها لكل ساقطةٍ ولاقطَةٍ، ولكل من هب ودرج، وفرقوا شبابنا وجهدنا على بقية الجماعات فرضاً وتعصياً، وورث شبابنا وأبناءنا من ليس بوارثٍ وبدون تعبٍ ولا كدٍّ، وإنما بفعل هذا الحاصد العاقل المتكئ على أريكته، يهدم هذا الخير بالفيسبوك والتويتر والواتساب ووسائل التواصل الاجتماعي، فلان ميع، وفلان متشدد، وفلان أشم منه رائحة البدعة، وفلان تركوه، وفلان اهجره...، فقسَّم التركة على غير الوارثين الشرعيين، وتراه في الخير نائماً، وفي

(١) حسن. رواه «أحمد» (١٧٧٨٧)، «ابن ماجه» (٨) واللفظ له، عن أبي عنبه الخولاني **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**،

وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٤٢)، رحمه الله على الجميع.

الفتنة قائماً وهائماً، لا تسمع له ذِكْراً إلا إذا هبت رياح الفتن لمع فيها نجمه، وتردد في المجالس اسمه، كالمرشحين في الانتخابات، لا تسمع لهم همساً، فإذا جاءت الانتخابات فكأنها نشطوا من عقال!، فتسمع لهم ضجيجاً وجلبةً!، وترى لهم صولةً وجولةً!، ثم سرعان ما تذهب وتتلاشى كفقاعات الصابون! ^(١).

ومع هذا لا نياس، ولا نقول كما قال بعضهم:

مَتَى يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ ^(٢)
بل نقول:

بلى يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَعِزُّكَ صَارَ



(١) مثل فضيلة الشيخ عبد العزيز البرعي - حفظه الله - هؤلاء بعلبة البيسي التي تثور برجّها، فإذا

خرج ما فيها انتهت وأصبحت فارغة لا قيمة لها!

(٢) ينظر: «جامع بيان العلم وفضله» (١ / ٤٤٧).

(٧٩) تهمة من له سابقة في الدعوة وقدم صدق فيها

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَكْثَرَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

هذه الآية تدلنا على أصل عظيم من أصول الأخلاق، وتؤدبنا بأدب رفيع، ألا وهو احترام السابقين في الخير، كمن أفنى عمره في طاعة الله تعالى، وأفنى عمره في الدعوة إلى التوحيد، والدعوة إلى السنة، والدعوة إلى العلم، والدعوة إلى الفضيلة، فخطب يوم لم يكن هناك خطيب، وحاضر يوم لم يكن هناك محاضر، ودرّس يوم لم يكن هناك مدرس إلا ما ندر، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وصبر وصابر، وجاهد في الله جهاداً عظيماً في زمن قل فيه الناصر له والمعين من الناس، فيجب على الناس أن يوقروا من كان هذا حاله، ويقللوا عثرته إذا زلت قدمه، وأن يُشاور في الأمور، وأن يعرف له الدعاة قدره ومكانته، وهو كذلك ينبغي له أن يحتوي من كان دونه من الدعاة، وأن يرفق بهم، وأن يرحمهم، ويشجعهم، ويؤهلهم ليكونوا خلفاء بإذن الله، في حياته وبعد موته، فله التوقير منهم، ولهم الرحمة منه؛ لقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلِّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ»^(١).

وعلى الناس كذلك أن ينزلوا الناس منازلهم، وإن لم يكونوا من أهل العلم،

(١) حسن. رواه «أحمد» (٢٢٧٥٥)، «الحاكم» (٤٢١) عن عبادة بن الصامت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وحسنه

الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٤٣)، «صحيح الترغيب» (١٠١)، رحمة الله على الجميع.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»^(١).

فالرجل الكبير الذي ابيض شعره في خدمة الإسلام والمسلمين، وفي نصرة الحق وأهله، لا ينبغي أن يساوى مع من هم أقل منه سنًا أو قدرًا، أو استقامة؛ فإنزال الناس منازلهم أمرٌ نادى به الشريعة، وحفظته الملة، ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ...»^(٢).



(١) رواه «مسلم» في مقدمة صحيحه (ص: ٦).

(٢) حسن. رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٧)، «أبو داود» (٤٨٤٣) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في تحقيق «الأدب المفرد» (٢٧٤)، وفي تحقيق «سنن أبي داود» (٤٨٤٣)، رحمه الله على الجميع.

(٨٠) الاعتداد بالرأي، وعدم مشاورة أهل المشورة في المسائل التي تحتاج إلى مشورة

الشورى أمر بها القرآن الكريم، وفيه سورة تسمى بسورة الشورى، ونادت بها السنة النبوية الصحيحة، وسار عليها السلف الصالح أولو الأحلام والنهى، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال سبحانه: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

وقال صلى الله عليه وسلم: «المُشْتَارُ مُؤْتَمَنٌ»^(١).

وقال الحسن رحمه الله: «مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ إِلَّا هُدُوا لِأَرْشَدِ أَمْرِهِمْ»^(٢).

والشورى: هي ألا ينفرد الإنسان برأيه في الأمور التي تحتاج إلى عقول أخرى لتشاركه؛ فرأي الجماعة أقرب إلى إدراك الصواب من رأي الفرد، وقد كان صلى الله عليه وسلم يستشير ويستشار.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله^(٣): «ولهذا كان من سداد الرأي وإصابته: أن يكون شورى بين أهله، ولا ينفرد به واحد، وقد مدح الله سبحانه المؤمنين بكون

(١) صحيح. رواه «أبو داود» (٥١٢٨)، «الترمذي» (٢٨٢٢)، «ابن ماجه» (٣٧٤٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» تحت حديث رقم (١٦٤١)، «صحيح الجامع» (٦٧٠٠)، وشيخنا الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١٤٠٤)، رحمة الله على الجميع.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٧٩٥٩). وعزاه ابن تيمية في «الكلم الطيب» (ص: ٥٦) لقتادة رحمه الله.

(٣) «إعلام الموقعين» (١/ ٨٤).

أمرهم شورى بينهم، وكانت النازلة إذا نزلت بأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس عنده فيها نص عن الله ولا عن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم جعلها شورى بينهم» اهـ.

وقد جاء في أمثال العرب: «أول الحزم المشورة»^(١)، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها؛ فالداعية الحازم المسدد الموفق الذي يشاور أهل المشورة في المسائل التي تحتاج إلى مشورة؛ فإن أصحاب الدنيا يشاورون في تجارتهم في الصغيرة والكبيرة، وهذا أمر حسن.

وقد جاء عن الشعبي وقتادة^(٢): «الناس ثلاثة: رجل، ونصف رجل، ولا رجل».

فأما الرجل: فذو الرأي والمشورة -أي: هو صاحب رأي، ومع ذلك يشاور غيره، هذا الرجل الكامل-.

وأما الرجل الذي هو نصف رجل: فالذي له رأي ولا يشاور -أي: يعتمد على رأيه فقط، ولا يشاور الآخرين-.

وأما الذي ليس برجل: فالذي ليس له رأي، ولا يشاور -أي: ليس صاحب رأي، ومع ذلك لا يشاور الآخرين-.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): والذي يشاور لا بد أن تتوفر فيه ثلاثة

(١) «مجمع الأمثال» (١/ ٥٢).

(٢) حسن. رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٣٠٧)، وينظر كذلك: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١٣/ ٢٥)، «تلخيص المتشابه في الرسم» للخطيب (١/ ١٦٤).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (٤/ ١٥٩)، وذكر الشرط الثالث في شروح أخرى غير «رياض الصالحين».

أمور:

- ١- أن يكون صاحب دين؛ حتى يصدقك النصيحة، ولا يخدعك أو يغشك.
- ٢- أن يكون صاحب علم، وخاصة فيما تشاوره فيه؛ قال تعالى: ﴿فَسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

٣- أن يكون صاحب عقل ورأي سديد.

وقد أحسن من قال:

خصائص من تشاوره ثلاثٌ فخذها من لساني بالوثيقه
ودادٌ خالصٌ ووفورٌ عقل ومعرفةٌ بحالك بالحقيقه
فمن تمت له هذي المعاني فتابع رأيه واسلك طريقه
تنبيه: من أبرز فوائد الاستشارة ثلاثة أمور:

أولاً: أنك إذا استشرت؛ رفعت من معنويات المستشارين، وتواضعت لهم، وهذه فائدة عظيمة، حيث يعلمون أن لهم قيمةً وقدرًا عندك، ولولا ذلك ما استشرتهم، وهذه مصلحة عظيمة بين الدعاة إلى الله؛ فالنبي ﷺ كان يشاور أصحابه وهو من هو؛ لأجل هذه المقاصد العظيمة، والله عز وجل يقول له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ثانياً: ربما يكون لديهم رأيٌ خيرٌ من رأيك، فلا تحتقرن من الناس أحداً، فقد يوجد في الأنهار ما لا يوجد في البحار.

ثالثاً: في مشاورة أهل المشورة إقناعهم برأيك إن كان رأيك هو الصواب فيستقرون عليه ويطمئنون إليه، ويقبلون العمل الذي تقوم به أنت وهم بانسراح صدر، ولا تحدث فتنة وانشقاقات في الدعوة.



(٨١) قلة الزيارات والتفقد لأحوال الإخوة والدعاة

إن التزاور بين الإخوة والدعاة من أفضل القربات وأحلى العبادات.
قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث كأني رأيت رجلاً من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١).
وقال محمد بن المنكدر رَحِمَهُ اللَّهُ وقد سئل: ما بقي من لذتك؟ قال: التقاء الإخوان، وإدخال السرور عليهم^(٢).
وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إخواننا أحب إلينا من أهلينا؛ إخواننا يذكرنا بالآخرة، وأهلونا يذكرنا بالدنيا»^(٣).
وقال السبكي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنت أمضي لشيخنا الذهبي مرتين كل يوم-أي: أزوره- وأما المزي فكنت أمضي له مرتين في الأسبوع، وسبب ذلك: أن شيخنا الذهبي كان كثير الملاطفة لي وكنت شاباً فيقع ذلك مني موقعاً عظيماً، أما المزي فكان رجلاً عبوساً مهيباً»^(٤).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ^(٥)، وهو يشرح حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: «يَا جَبْرِيلُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟»^(٦):

(١) صحيح. رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠٩ / ٩).

(٢) حسن. رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٩٧ / ٧).

(٣) «قوت القلوب» (٣٦٧ / ٢).

(٤) «طبقات الشافعية» (٣٩٨ / ١٠).

(٥) «شرح رياض الصالحين» (٢٤٦ / ٣).

(٦) «البخاري» (٣٠٤٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«فيه: طلب زيارة أهل الخير إلى بيتك، فتطلب منهم أن يزوروك من أجل تتنفع بصحبتهم».

وقال شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ^(١): «ولا يستطيع أحد أن يقاوم المجتمع بمفرده، لا بد أن يجمع الصالحين حتى يؤازروه، ولا بد للدعاة إلى الله أن يتعاونوا وأن يتزاوروا؛ فلا يستطيع أحد بمفرده أن يحقق للإسلام شيئاً» اهـ.

وقال رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «كم من قرية بها رجلٌ يحمل سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدعو إلى سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويبقى وحيداً، ويظن أهل قريته أنه أتى بدينٍ جديد! فيحارب! فإذا أتاه الدعاة إلى الله، هذا يأتيه من صعدة، وذاك يأتيه من الحديدة، وذاك يأتيه من تعز، وذاك يأتيه من مأرب، وذاك يأتيه من البيضاء، شعر أهل بلده بأن الرجل ليس وحده!».

هم يظنون أننا أتينا بدينٍ جديد! لكن إذا تعاونوا وأظهرنا لهم سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن أهل الباطل سينكفون وينقمعون» اهـ.

فالتزاور في الله ومن أجل الله بين الدعاة والمصلحين؛ صلةً وقربةً وعبادةً، وله فوائد عظيمة، منها:

١- إن الزيارة في الله تقرب الدعاة بعضهم لبعض، وتجعلهم جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، وتجعلهم صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً، وهذا الذي يحبه الله ويرضاه.

٢- الزيارة في الله تعرّف كل داعية بمشاكل الداعية الآخر وظروفه

(١) «قمع المعاند» (٧٠).

(٢) «المصارعة» (٨٦).

وأحواله وهمومه وأحزانه؛ فلا يكون لقاءنا فقط في المحاضرات والمناسبات العامة كالعامة.

٣- الزيارة في الله تكسب الداعية زيادة العلم والمعرفة والبصيرة عند مذاكرة المسائل والمشاكل الدعوية مع بقية إخوانه الدعاة.

٤- الزيارة في الله إصلاحٌ للأوضاع، وسدٌ للخلل، والتناصح، والتعاون على البر والتقوى.

٥- الزيارة في الله تؤلف القلوب، وتزيل الوحشة، وترفع الأوهام، وتزيد الإيمان، وتفرح النفوس، وتدعم أواصر الأخوة، وتقوي الروح الجماعية في أوساط الدعوة والدعاة، وتوسع مجالاتها، وتمد آثارها، وتقوي المودات، وتزيد من وشائج الصلات.

٦- الزيارة في الله تفوّت على الخصوم والمدسوسين والمنافقين والشيطان الرجيم أسباب الفرقة والاختلاف؛ فمن لم يستطع الزيارة؛ فلا أقل من الاتصال أو الإرسال؛ قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**بُلُُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ**»^(١)، والعلم رحمة بين أهله.

وبالجملة: فالاجتماع واللقاء بإخوانك الدعاة لقاء، إما للنفس الأمانة بالسوء، وإما للقلب والنفس المطمئنة، والنتيجة مستفادة من اللقاء، فمن طاب لقاحه؛ طاب ثماره.

(١) حسن. رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٠٣) عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٧٧٧)، رحمة الله على الجميع.

(٨٢) إظهار خلاف الأمر السائد المشهور بين الناس ومخالفة عوائدهم في

الأمر التي فيها سعة

إن إظهار خلاف الأمر السائد المشهور بين الناس في الأمور التي فيها سعة يسبب خلافاً شديداً بين الناس، كخطبة العيد مثلاً، فيأتي الداعية إلى قرية من القرى، قد استقر عندهم منذ عقود أن خطبة العيد خطبة واحدة؛ فيلقي كلمة أو خطبة أو محاضرة أو يُسأل؛ فيقول: خطبة العيد خطبتان عند الجمهور!، وهو يعلم أن هذه القرية يُخطب فيها خطبة واحدة منذ عقود، ثم يشدد عليهم في هذا وينقسم الناس إلى قسمين: موافق، ومفارق.

وداعية آخر ذهب إلى قرية أخرى فوجدهم يؤذنون للجمعة أذاناً واحداً، فقال لهم: مذهب جمهور العلماء أنه يؤذن للجمعة أذانان: الأذان الأول، والأذان الثاني!، ثم يشدد عليهم في ذلك، ويختلف الناس وينقسمون إلى فريقين.

وداعية آخر يذهب إلى قرية أخرى، فيجدهم يقولون في أذان الفجر الأول: الصلاة خيرٌ من النوم، فيقول: هذا خلاف السنة وما عليه جمهور الأمة، فالصلاة خير من النوم يقال في الأذان الثاني!، وهكذا.

فمثل هذه الأمور تحتاج إلى بصيرة، وإلى تدرج، وإلى تفقيه الناس، وإقناع الداعية الذي يعيش في هذه المنطقة وتسند مثل هذه الأمور إليه.

وعلى الداعية كذلك ألا يصطدم بأعراف الناس وعاداتهم، طالما أن ذلك العرف وتلك العادات لا تصطدم بالشريعة في شيء، ولا تخرج عن قواعدها الكلية؛ فإن العرف معتبرٌ في الشريعة، بل لقد عده بعض الفقهاء من أدلة الأحكام

لكثرة ما بني عليه من أحكام في المعاملات.

وعندما جاء الإسلام كانت للعرب أعراف مختلفة، فأقرهم الإسلام على أعرافهم وعاداتهم إلا ما كان منها مخالفاً لمقاصد الإسلام ومنافياً لروح الشريعة؛ فلا يأتي الداعية بوسائل هي مشروعة في الأصل لكن الدعوة في بلده لم تألف مثل هذه الوسائل الدعوية، فإدخالها في الدعوة قبل إقناع أهل الحل والعقد وهم علماء ودعاة تلك البلاد يسبب زغلاً كبيراً في الدعوة^(١).

(١) ولقد كان النبي ﷺ يمتنع أحياناً عن فعل بعض الأشياء خوفاً من كلام الناس، ولكن كان خوفه ﷺ لصالح الدعوة الإسلامية وصيانتها من كل شائبة، فقد امتنع ﷺ من قتل بعض المنافقين حتى لا يقال: إن محمداً يقتل أصحابه، فتتضرر بذلك الدعوة ويمتنع الناس من الدخول في الإسلام، والحديث في الصحيحين: «البخاري» (٣٥٢٨)، «مسلم» (٢٥٨٤) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ معلقاً على هذا الموقف: «كان في ترك قتلهم في حياة النبي ﷺ مصلحة تتضمن تأليف القلوب على رسول الله ﷺ، وجمع كلمة الناس عليه، وكان في قتلهم تنفير، والإسلام بعد في غربة، ورسول الله ﷺ أحرص شيء على تأليف الناس، وأترك شيء لما ينفرهم عن الدخول في طاعته، وهذا أمرٌ كان يختص بحال حياته ﷺ» اهـ. «زاد المعاد» (٣/ ٤٩٧).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلو قتلهم النبي ﷺ لنفاقهم وما يبدر منهم، وعلمه بها أسروا في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول، ولا رتاب الشارد، وأرجف المعاند، وارتاع من صحبة النبي ﷺ والدخول في الإسلام غير واحد...» اهـ. «الشفاء» (٢/ ٥٠١).

وترك النبي ﷺ هدم الكعبة وبناءها على قواعد إبراهيم، وترك نفقة كثر الكعبة على الفقراء والمساكين، وهذه أمورٌ عظيمة؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ لَا أَنْ قَوْمًا حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ (أَوْ قَالَ بِكُفْرٍ) لَأَنْفَقْتُ كَثْرَ الْكَعْبَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَجَعَلْتُ بَابَهَا بِالْأَرْضِ، وَلَأَدْخَلْتُ فِيهَا مِنَ الْحَجَرِ». رواه مسلم (١٣٣٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع فتاوى» (٦/ ٣٤٥): «فترك ﷺ نقض الكعبة =

وقد ذكرتُ فيما مضى^(١) أن الداعية قد يتعلم العلم الشرعي وأسلوب الدعوة في غير بلده، أو يتأثر بها وهو في بلده؛ فيقوم بنقل ذلك الأسلوب الدعوي وتلك الوسائل الدعوية إلى بلده حباً في الخير، وقد تكون بلاده لا يناسبها هذا الأسلوب مطلقاً، بل هي تسير بأسلوب دعوي آخر ووسائل أخرى لا تخالف الشرع فتبقى على ما هي عليه ما دام أن الله قد وضع لهذا السير القبول عند الناس، وجعل فيه البركة؛ فلكل بلد أسلوبه الدعوي؛ فالواجب عليه أن ينقل الحق الذي تعلمه بالأسلوب المناسب لبلده^(٢).



= وإدخال حجر إسماعيل فيها خشية الفتنة، وهذا يدل على وجوب مراعاة المصالح العامة، وتقديم المصلحة العليا، وهي تأليف القلوب وتثبيتها على الإسلام على المصلحة التي هي أدنى منها، وهي إعادة الكعبة على قواعد إبراهيم).

(١) فقرة: «ضعف الخبرة والبصيرة في الدعوة إلى الله».

(٢) هناك كلامٌ للشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله - يؤيد ما ذكرته، وهي صوتية بعنوان: «طريقة الدعوة إلى الله».

(٨٣) الغلو في المدح والجفاء فيه

المدح والثناء من الأمور التي تسربها النفوس، وتحفزها على زيادة العطاء؛ فيحتاجه الأب في بيته، والداعية مع طلابه، فيثني على من يستحق الثناء، ويشيد بعمله تحفيزاً له على الزيادة والاستمرار فيه، وحثاً لغيره ليحصل التنافس في العلم والتعلم ونشر الخير^(١)، والله يقول: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ أَلْمُتَنَفِّسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]^(٢). ولذلك كان المدح وسيلةً تربويةً فعلها معلّم الخير ﷺ مع أصحابه -رضوان الله عليهم- وهم في خير الزمان والمكان، فكيف بزماننا وغربتنا؟!، وقد اتفقت جميع الملل والفرق والأحزاب وأهل الشر في كل مكان على الخط من دعوتنا وعلماؤنا ودعاتنا، والتغبير عليهم بغبار الشائعات والكذب؛ فنحن بحاجة إلى هذه الوسيلة الشرعية التربوية لنرفع من معنويات أبناء هذه الدعوة، الذين صمدوا في خندق الحق ضد الباطل بغير مقابل، كل ذلك بالحق ولا نتجاوز الحد فيه.

والمدح منه ما هو ممدوح، ومنه ما هو مذموم:

فالممدوح ما توفرت فيه أربعة شروط، كما ذكرها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ

(١) تنبيه: حديث: «إِذَا مُدِّحَ الْمُؤْمِنُ رَبَّ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ -أَي: زاد الإيمان في قلبه- ضَعِيف». قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «لكن معناه صحيح». ينظر: «جامع تراث العلامة الألباني في الفقه» (٨٢ / ١٤).

(٢) لمزيد الفائدة في هذا الموضوع: ينظر كتاب: «المسيرة لداعية جنوب الجزيرة: الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ»، تأليف: بندر بن فهد الأيداء، تجد فيه نماذج رائعة في تشجيع الشيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ، ومدحه لطلابه وللمدعوين.

في «الفتح»^(١)، والنووي رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح مسلم»، وهي:

١- أن يكون المدح صدقاً.

٢- ألا يكون فيه مجازفة وغلو.

٣- أن يؤمن على الممدوح من الإعجاب والفتنة والغرور والكبر.

٤- أن يكون فيه تحفيز وتنشيط للممدوح.

وقد جمع النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي شرحه لمسلم^(٢) بين الأحاديث المانعة للمدح والمبيحة له؛ فقال: «قال العلماء: وطريق الجمع بينها:

أن النهي محمولٌ على المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه، إذا سمع المدح.

وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه، ورسوخ عقله ومعرفته؛ فلا نهى في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطه للخير، والازدياد منه، أو الدوام عليه، أو الاقتداء به، كان مستحباً، والله أعلم اهـ.

قلت: ومن صور مدح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ»؛ فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً^(٣).

(١) «فتح الباري» (١٠/٤٧٨-٤٧٩).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (١٨/١٢٦).

(٣) متفق عليه: «البخاري» (١١٢٢)، «مسلم» (٢٤٧٩) عن حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

ومن صور مدحه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأصحابه كذلك: ما أخرجه الشيخان^(١) عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وقف يوماً بين أصحابه؛ فقال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ؛ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»؛ فقال أبو بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضُرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

قال ابن بطال **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(٢): «يجوز الثناء على الناس بما فيهم على وجه الإعلام بصفاتهم؛ لتعرف لهم سابقتهم وتقدمهم في الفضل؛ فينزلوا منازلهم، ويقدموا على من لا يساويهم، ويُقتدى بهم في الخير، ولو لم يحز وصفهم بالخير والثناء عليهم بأحوالهم لم يعلم أهل الفضل من غيرهم، ألا ترى أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** خص أصحابه بخواص من الفضائل بانوا بها عن سائر الناس، وعرفوا بها إلى يوم القيامة» اهـ.

ومن صور مدح النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأصحابه كذلك: مدحه لعمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في حضوره حيث قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَبَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَبَجًّا غَيْرَ فَبَجِّكَ»^(٣).

(١) «البخاري» (١٨٩٧)، «مسلم» (١٠٢٧).

(٢) «شرح صحيح البخاري» (٢٥٥/٩) بتصرف يسير.

(٣) متفق عليه: «البخاري» (٣٢٩٤)، «مسلم» (٢٣٩٦) عن سعد بن أبي وقاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وأما المدح المذموم فهو الذي خالف الشروط المذكورة أو بعضها، كالمغلاة في المدح ومجاوزة الحقيقة، كأن تقول للداعية أو طالب العلم: العلامة!، والإمام!، وسماحة الشيخ!، وأمير المؤمنين في الحديث!، وما إلى ذلك؛ فهذا كله ليس بصواب.

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك؛ فقال: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(١). ومعنى «لا تطروني»: أي: لا تجاوزوا الحد في مدحي.

ومن صور المدح المذموم كذلك: مدح من يُحشى عليه الفتنة، فيعتقد فضله، وربما تطرق لقلبه الكبر والرياء، وأن له حقاً على الناس وقدراً، وربما ظن أنه فاق غيره من السابقين واللاحقين في الفضل، فاتكل على ذلك، وترك العمل أو قصر فيه، ويحمل عليه حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يُشْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي الْمَدْحَةِ، فَقَالَ: «أَهْلَكْتُمْ، أَوْ: قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ»^(٢).

قال المهلب رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣): «وإنما قال هذا، والله أعلم؛ لئلا يغتر الرجل بكثرة المدح، ويرى أنه عند الناس بتلك المنزلة؛ فيترك الازدياد من الخير، ويمجد الشيطان إليه سبيلاً، ويوهمه في نفسه حتى يضع التواضع لله» اهـ.

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤): «قال ابن بطل: حاصل النهي هنا: أنه إذا أفرط

(١) رواه «البخاري» (٣٤٤٥) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٦٠٦٠)، «مسلم» (٣٠٠١).

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطل رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٨/٨).

(٤) «فتح الباري» (٤٧٧/١٠).

في مدح آخر بما ليس فيه؛ لم يأمن على الممدوح العجب لظنه أنه بتلك المنزلة، فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالا على ما وصف به اهـ.

وهنا ينزل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحُ؛ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ»^(١).



(١) حسن. رواه «ابن ماجه» (٣٧٤٣) عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٢٨٤)، وشيخنا الوادعي في تحقيق «تفسير ابن كثير» (٣٩٩ / ٢)، رحمه الله على الجميع.

(٨٤) الغلو في بعض العلماء

الغلو محرمٌ بالكتاب والسنة وإجماع الأمة. والقصد في كل شيء حسنٌ، وما بولغ في شيءٍ إلا وقع فيه الكذب، وهذه آفةٌ مزمنةٌ تجدها عند غلاة الطوائف، تارةً عن جهلٍ، وتارةً عن هوى! وقد جرّت المبالغة قوماً إلى تعظيم شيوخهم بالكذب؛ لذلك قال المعلمي رَحِمَهُ اللهُ^(١): «من أوسع أودية الباطل: الغلو في الأفاضل» اهـ.

والناس يعانون من مشكلة تقديس الأشخاص قديماً وحديثاً، فهي مشكلةٌ لها أثرٌ وخيمٌ في الأمة الإسلامية، وقد بقيت في الأمة كالجرح في الجسد الذي لا يزال الأطباء (أهل العلم) يسعون في علاجه.

وهذه الظاهرة من أسباب الفرقة، ووجود المذاهب والأحزاب المبتدعة قديماً وحديثاً؛ فأهل البدع إما أنهم ينتسبون إلى بدعة أحدثوها كالقدرية والخوارج والمرجئة، وإما أنهم ينتسبون إلى شخصٍ قلدوه وغلوا فيه كالجهمية والأشاعرة والكلاية؛ فهذه الفرق ناتجةٌ عن تقديس الأشخاص، وتقديم قول أئمتهم على النصوص الشرعية.

والناس في العلماء طرفان ووسط:

فمن الناس: من غلا في حب بعض العلماء وأنزلهم منزلة القديس!
ومنهم: من غلا في ذم بعض العلماء وأنزلهم منزلة إبليس!

(١) «التنكيل» (١/ ١٨٤).

والقصد: هو الاعتدال وإنزال العلماء منازلهم التي أنزلهم الله إياها، من الاحترام والإجلال والتقدير والاقتداء بهم في الخير من غير إفراط ولا تفريط.

فالأوجب علينا القصد في محبة العلماء والمشايخ وعدم الغلو فيهم، وإياكم أن تعلقوا أمر دينكم بعالمٍ من العلماء^(١)، في أي وادٍ ذهب كنتم وراءه؛ فهو ليس

(١) ومن لطائف ما سمعت وقرأت: ما حصل لشاعر يمدح الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ ويربط الصحوة به لا بالكتاب والسنة، فقد جاء في «لقاء الباب المفتوح» رقم (٤٧): «قال الشاعر: فضيلة الشيخ: أستاذكم في قصيدة أتلوها:

يا أمّتي! إن هذا الليل يعقبه فجر وأنواره في الأرض تنتشر
والخير مرتقب، والفتح منتظر والحق رغم جهود الشر منتصر
وبصحة بارك الباري مسيرتها نقيّة ما بها شوب ولا كدر
ما دام فينا ابن صالح شيخ صحتنا بمثله يرتجى التأييد والظفر
هنا قاطعه الشيخ ابن عثيمين، وقال له: أنا لا أوافق على هذا المدح؛ لأنّي لا أريد أن يربط الحق بالأشخاص، كل شخص يأتي ويذهب، فإذا ربطنا الحق بالأشخاص معناه: أن الإنسان إذا مات؛ قد ييأس الناس من بعده، فأقول: إذا كان يمكنك الآن تبديل البيت الأخير بقول:

ما دام منهاجنا نهج الأولى سلفوا بمثلها يرتجى التأييد والظفر
فهذا طيب، أنا أنصحكم ألا تجعلوا الحق مربوطاً بالرجال:

أولاً: لأنهم قد يضلون، فهذا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: «من كان مستنّاً فليستن بمن مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة»، الرجال إذا جعلتم الحق مربوطاً بهم يمكن الإنسان أن يغتر بنفسه والعياذ بالله من ذلك، ويسلك طرقاً غير صحيحة، فالرجل أولاً لا يأمن من الزلل والفتنة، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم.

ثانياً: أنه سيموت، ليس فينا أحد يبقى أبداً: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ثالثاً: أنه ربما يغتر إذا رأى الناس يبجلونه ويكرمونه ويلتفون حوله، وربما ظن أنه معصوم، ويدعي لنفسه العصمة، وأن كل شيء يفعلُه فهو حق، وكل طريق يسلكه فهو مشروع، ولا شك أنه يحصل بذلك هلاكه، ولهذا امتدح رجل رجلاً عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: «ويحك قطعت =

بنبي، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، بل اجعلوا همكم من يوصلكم إلى طريق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ واجعلوا تقليدكم لهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنته، وهدى أصحابه الكرام وسنتهم؛ فإن حب العلماء إنما هو تبعٌ لحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحب دينه وشرعه، وعلى قدر تمسك هؤلاء العلماء بالدين والشرع تكون محبتهم.

وقد ذكر لنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ميزاناً في الحب والبغض؛ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»^(١).

فكم قد رأينا وسمعنا من ذبح من يحب بالمدح، فلما اختلف معه ذبحه بالقدح، ومن لم يعتدل في الرضا لم يعتدل في الغضب والخصومة، فهو يذبح على كل حال في السراء والضراء والغضب والرضا.



عنق صاحبك»، وأنا أشكر الأخ على ما يبديه من الشعور نحوي، وأسأل الله أن يجعلني عند حسن ظنه أو أكثر، ولكن لا أحب المديح.

(١) صحيح. رواه «الترمذي» (١٩٩٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٨)، رحمة الله على الجميع.

فائدة: سئل العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عن فقه هذا الحديث فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقه هذا الحديث: أن الإنسان يجب عليه أن يكون وسطاً في كل شيء، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، و«خير الأمور الوسط، وحب التناهي غلط».

أن يكون وسطاً في الحب وفي البغض، لا ينبغي للمسلم أن يكون حبه مبالغاً فيه خشية أن ينقلب يوماً ما إلى ضده، والعكس بالعكس: ألا يكون بغضه شديداً لاحتimal أن يصير هذا البغض يوماً ما حبيباً». «تفريغ سلسلة فتاوى جده للشيخ الألباني» - الإصدار ٢ (٣٢ / ١٩).

(٨٥) الدخول في السياسة

لا خلاف بين المسلمين أن السياسة الشرعية من الدين، وباب من أبواب العلم والفقه في الدين، وفي قيادة الأمة وتحقيق مصالحها الدينية والدنيوية، جليل القدر، عظيم النفع، أفردته جماعة من العلماء بالتصنيف في القديم والحديث، وانتشرت كثيرٌ من مباحثه ومسائله في بطون كتب التفسير والفقه والتاريخ وشروح الحديث، وهذا الباب خطره عظيمٌ ينتج عن الغلط فيه وعدم الفهم له شر مستطير، والخطأ في التفريط فيه كالخطأ في الإفراط؛ إذ كلاهما يقود إلى نتائج مرذولة غير مقبولة.

وقد عزف من عزف عن السياسة في عصرنا هذا لما اعترأها من الخلط والخطب، والكذب، والزيف، والخداع، ومجانبة السياسة الشرعية إلى السياسة الشيطانية إلا من رحم الله؛ لذلك قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ^(١): «من السياسة الآن ترك السياسة»؛ أي: من السياسة الشرعية ترك السياسة الآن؛ فالسياسة في الجملة الأولى غير السياسة في الجملة الثانية.

وهذه المقولة وهي: «من السياسة الآن ترك السياسة» قالها كذلك شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللهُ.

ويذكر كذلك عن الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ أنه قال عن سياسة العصر: «هذه

(١) «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (٢١٠)، «سؤالات الحلبي رَحِمَهُ اللهُ للألباني رَحِمَهُ اللهُ»

تياسة وليست سياسة» اهـ.

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ صاحب «أضواء البيان»^(١):
«السياسة بنت كلب!»؛ أي: سياسة هذا الزمان.

وقال الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «فالسياسة الشرعية هي من الدين، والذين يحاولون فصل الدين عن السياسة؛ معناه: هدم قدر ثلث الإسلام أو أكثر، فنحن لا نحارب السياسة لذاتها، نحارب السياسة؛ بمعنى: الكذب، والخداع، والخيانة، هذه نحاربها، أما فصل الدين عن السياسة؛ فهذا أمرٌ نحن نحاربه، ونحذّر منه، والله المستعان» اهـ.

وقال رَحِمَهُ اللهُ^(٣): «والذين يريدون أن يفصلوا الدين عن السياسة إنما يحاولون هدم الدين، والتخلي عن الدين، أراح الله المسلمين من شرهم» اهـ.
قلت: صدق العلماء رَحِمَهُمُ اللهُ؛ فالسياسة المتعارف عليها في هذا الزمان فيها ما فيها؛ فينبغي للدعاة إلى الله الابتعاد عنها، وأن يشتغلوا بالعلم والدعوة إلى الله، وأن يدعوا لمن ابتلوا بالسياسة بالتوفيق والهداية^(٤).

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ^(٥): «لا ننصح إخواننا السلفيين في أرض الله

(١) نقلها عنه الشيخ عبيد الجابري رَحِمَهُ اللهُ (مقطع صوتي).

(٢) «إرشاد البرية إلى شرعية الانتساب إلى السلفية» (ص: ١٥٨).

(٣) «غارة الأشرطة» (١/ ٨٣).

(٤) وقد أشرت إلى هذا الموضوع في كتابي: «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دور الحديث السلفية في الديار اليمنية» (ص: ٤٤) تحت فقرة: «تقديم الحلول المناسبة للمشكلات العصرية وفق السياسة الشرعية».

(٥) «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (٢٧٠).

الواسعة في كل بلد إسلامي أن يعملوا عملاً سياسياً، ولو كان هذا العمل نابعاً من أنفسهم، فضلاً عن أن يكونوا فيه أو في هذا العمل تبعاً لغيرهم؛ ما ننصح بهذا أبداً؛ ذلك لأن العمل السياسي يحتاج في الحقيقة إلى مقدمات كثيرة، واتخاذ أسباب جمّة ليتمكن هؤلاء الذين تأسسوا وتربوا على هذا المنهج أن يقوموا بالسياسة الشرعية، وفيما نعلم كل الأجواء في البلاد الإسلامية اليوم لا يوجد فيها جماعة، ولنقلها لفظة قرآنية «أمة» تكتلت وتجمعت على هذا المنهج الإسلامي الصحيح، ولم يبق لديهم ما ينقصهم من القيام بالواجبات الشرعية إلا العمل السياسي، لا نعلم أن طائفة أو جماعة أو أمة توجد اليوم على وجه الأرض أنه لا ينقصها إلا العمل السياسي، العمل السياسي في اعتقادي إنما يأتي بعد زمنٍ واستعداداتٍ جمّة تقوم بها الطائفة المنصورة التي جاء ذكرها في الحديث المشهور المتواتر عن الرسول ﷺ.

ثم قال رحمه الله: لذلك فلاشتغال بالعمل السياسي قبل أن تصل الأمة أو الجماعة إلى مرحلة هذا العمل السياسي ستكون عاقبة أمره أن تنهار الدعوة وأن ترجع القهقري، وربّ أناسٍ لا يقتنعون بهذه النظرية من الناحية العلمية، وحسبهم أن يلقوا نظرة سريعة في بعض البلاد الإسلامية التي وقعت فيها بعض الأعمال السياسية، فكان عاقبة أمرهم لم يكن ذلك رشداً، ولم يكن توفيقاً، بل كان عاقبة أمرهم القهقري، والرجوع إلى الوراء في الدعوة؛ فقد كانوا ماضين في دعوتهم كما يأمر الشرع، وإذا بهم بسبب النهوض المفاجئ بعملٍ سياسي، لتكون عاقبة أمرهم وعاقبة نهضتهم أن رجعوا القهقري» اهـ.



(٨٦) دخول بعض الدعاة وإدخال الأتباع معهم في كل فتنة دعوية

لا شك أن من البلية دخول الداعية في كل فتنة دعوية، وهذا يدل على ضعف العقل والعلم؛ فقد تكون الفتنة في المشرق وهو في المغرب، ليس له فيها ناقة ولا جمل، ثم يلج فيها، وليته يكتفي بذلك، بل يدخل طلابه وأتباعه فيها، وليته وأتباعه يكتفون بذلك، بل يقحمون العامة في فتن الخاصة، ويتابعونهم في كل مكان، حذو القُذَّة بالقُذَّة، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع: ما موقفك من فلان؟!، وماذا تقول في فلان؟!، لا يتركون المزارع في مزرعته، ولا الفلاح في أرضه، ولا الراعي مع غنمه!، ولا المهندس في صنعته، ولا البقال في بقالته، ولا الخباز في مخبزه... كل هؤلاء العامة يريدون منهم تحديد مواقف من فلان وعلان!.

يَا رَبِّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا واجعل معونتك العظمى لنا سنداً وقد كان شيخنا الإمام الوادعي رحمة الله عليه يقول: لا تأتوا بفتنة فلان إلى اليمن، ولا تأتوا بفتنة جنس العمل إلى اليمن، فنحن في سلامة منها.

لله درك من إمام؛ فإن نبينا صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنُ، وَلَمْ يَأْتِ بِفِتْنَةٍ فَوَاهَا»^(١). فتأمل في هذا الحديث الشريف كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم سعادة المرء المسلم في تجنب الفتن لا في دخولها، وأكد ذلك بثلاثة مؤكدات، وهي من أقوى

(١) صحيح. رواه «أبو داود» (٤٢٦٣) عن المقداد رضي الله عنه، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٧٥)، وحسنه شيخنا الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١١٤٠)، رحمه الله على الجميع.

المؤكدات:

أولها: (إنَّ).

وثانيها: اللام الداخلة على الاسم المبهم (لكن).

وثالثها: التكرار ثلاثاً.

فالواجب عليك أيها الداعية أن تفر من الفتن فرارك من المجذوم، أنت ومن معك من الطلاب، لا أن تقحم نفسك وطلابك فيها؛ فاستجب لنيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يحثك على البعد عن الفتن، لا لشيخك الذي يطلب منك مخالفة الهدى النبوي ويزج بك في كل فتنة.

قال بعض العلماء: مراتب الناس في الفتن **سبع**، وهي مستخلصة من مجموع أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفتن:

١- رجل نائم في الفتنة؛ بمعنى أنه معرض عنها لا يسمع عنها ولا يراها، وهذا أفضلهم.

٢- رجل مضطجع في الفتنة؛ أي: ممدد، لا يبالي بها، قد يكون يسمع بها لكنه لا يراها.

٣- رجل قاعد في الفتنة، يراها ويسمعها، وهو بعيد عنها، وهذا أيضاً في خير لكنه دون الأول والثاني.

٤- رجل قائم في الفتنة، هذا يُخشى عليه؛ لأنه متأهب لها، ومن استشرف لها تستشرفه، وهذا وسط بين الثلاثة المتقدمين والثلاثة المتأخرين.

٥- رجل ماشٍ في الفتنة؛ يعني: يمشي إلى الفتنة خطوة خطوة، **وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ** [النور: ٢١].

٦- رَجُلٌ سَاعٍ فِي الْفِتْنَةِ؛ يَعْنِي: يَجْرِي إِلَى الْفِتْنَةِ جَرِيًّا، بِبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلَمِهِ وَمَالِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

٧- رَجُلٌ وَاقِعٌ وَسَاقِطٌ فِي الْفِتْنَةِ، وَهَذَا شَرُّهُمْ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

قال تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩].

- فالأول والثاني والثالث نجوا من الفتنة بمراتب مختلفة.

- والرابع على خطر.

- والخامس والسادس والسابع دخلوا في الفتنة بمراتب مختلفة.

أدلة هذه المراتب:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُونُ فِتْنَةٌ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَسْتَعِذْ». رواه مسلم^(١).

٢- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ سَتَكُونُ فِتْنٌ ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ، الْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي إِلَيْهَا، وَالْمُضْطَّجِعُ خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ فِيهَا...». رواه مسلم، والبخاري، واللفظ له^(٢).

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعِذْ بِهِ». رواه

(١) «مسلم» (٢٨٨٦).

(٢) «مسلم» (٢٨٨٧)، «مسند البخاري» (٩ / ١٢٧).

البخاري ومسلم^(١).

فالداعية الموفق الحكيم هو الذي يجب نفسه وطلابه والناس الفتن، ويقودهم إلى بر الأمان، ويشغل نفسه وطلابه بالعلم والدعوة والخير.

قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «قد رأينا -والله- أقوامًا يسرعون إلى الفتن، وينزعون فيها، وأمسك أقوامٌ عن ذلك هيبَةً لله ومخافةً منه، فلما انكشفت؛ إذ الذين أمسكوا أطيب نفسًا وأثلج صدورًا وأخف ظهورًا من الذين أسرعوا إليها وينزعون فيها، وصارت أعمال أولئك حزازات على قلوبهم كلما ذكروها، وإيم الله لو أن الناس يعرفون من الفتنة إذا أقبلت كما يعرفون منها إذا أدبرت لعقل فيها جيلٌ من الناس كثيرٌ» اهـ.



(١) «البخاري» (٣٤٠٦)، «مسلم» (٢٨٨٦).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٣٦).

**(٨٧) من الأخطاء الشائعة: أنك لن تكون سلفياً على الجادة إلا إذا
بينت وحددت موقفك من آخر المستجدات والأحداث الخفية في الدعوة
السلفية**

ومما وصل إليه بعض الدعاة: أنك لن تكون سلفياً على الجادة إلا إذا بينت موقفك من آخر المستجدات والأحداث الخفية في الدعوة السلفية، فتجد من يلتقي بك، وهو لا يعرف موقفك يبادرك بالسؤال عن آخر فتنة في الدعوة!، ثم يقومك على إثر إجابتك له، ويحكم عليك، وهذا من الأخطاء الشائعة والذائعة في الدعوة.

نعم، إذا كانت الأحداث أحداثاً هامة وخطيرة، وتحتاج إلى بيان مواقف ومناصرة، فنعم، لا بد أن يكون لك موقف واضح منها، كل بحسبه وبما يستطيع إذا كان لك ولموقفك أهمية، لكن الأمر على خلاف ذلك تماماً، وذلك أن الحادثة الجديدة هي خلاف في شخص، وللأسف الشديد أكثر ما أصاب الدعوة في مقتل هو الخلاف في الأشخاص، إننا نتكلم من واقعٍ مريرٍ، ونحذر من أسلوبٍ خطيرٍ، وهو أسلوب وطريقة: «بيّن موقفك من فلان وعلان»^(١)، ويأتي صغار الطلاب، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يمتحنون الدعاة والمصلحين بهذه الحادثة الجديدة في الدعوة، وقد يكون هذا الشخص الذي تطالب بيان موقفك منه في أقصى الأرض، لا تعرفه، ولا تعرف دعوته، وليس له تأثير في بلدك، ولا في

(١) لعلي أذكر في طبعة قادمة - إن شاء الله - «مسألة الامتحان بالأشخاص» ما لها وما عليها.

دعوتك، وتطالب بموقفك منه، وقد تتفق أنت وهم في كل شيء إلا في هذا الرجل، فربما تبدع وتُهَجَّر بسببه؛ فهذه -والله- مراهقةٌ فكرية، وحركاتٌ صبيانية، الدعوة السلفية بريئة من هذه الأمور براءة الذئب من دم يوسف، والله ما رأينا كبار علماء هذه الدعوة يعملون مثل هذا، لا الباز، ولا العثيمين، ولا الوادعي، ولا الألباني، ولا من قبلهم ولا من بعدهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ جميعًا.

ورحم الله الإمام الوادعي الذي كان يقول: لا تأتوا بفتنة فلان إلى اليمن، ولا تأتوا بفتنة جنس العمل إلى اليمن، فنحن في سلامة منها.



(٨٨) خلاف بعض الدعاة في مسألة تعيين المخالف من عدمه

التحذير من المخالفة والمخالف ثابت بالقرآن والسنة وإجماع الأمة، وله ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: التحذير العام من المخالفة، وهذا هو الأكثر، كقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ - وَجُلُوسٌ وَكَانَ مَتَكِّئًا - فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ»، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليتَه سَكَتَ^(١).

المرتبة الثانية: التلميح، وهذا كثيرٌ لكنه دون الأول، وهو المتمثل في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ»؛ مثل حديث الثلاثة: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لِكَيْيَ أَصَلِّيَ وَأَنَامَ، وَأَصُومَ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجَ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢).

المرتبة الثالثة: التصريح والتعيين، وهذا فعله النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لكنه دون الثاني، من ذلك: قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَضُغْلُوكُ لَا مَالَ لَهُ؛ أَنْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ»^(٣).

فإذا كانت المصلحة تقتضي عدم التعيين أو التلميح؛ تعمم في النصيحة، وإذا كانت المصلحة تقتضي التلميح؛ تلمح في النصيحة، وإذا كانت المصلحة تقتضي

(١) متفق عليه: «البخاري» (٢٦٥٤)، «مسلم» (٨٧) عن أبي بكرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٥٠٦٣)، «مسلم» (١٤٠١) عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٣) رواه «مسلم» (١٤٨٠) عن فاطمة بنت قيس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**.

التعيين؛ تعيّن المخالف وتسميه، وبهذا تجتمع الأدلة في هذا الباب ويحل الإشكال عند من جمع الله له بين العلم والعقل والدين.

لكن هناك **تنبيه مهم**: وهو أنه قد تكون المصلحة الراجحة في تعيين المخالف والتحذير منه في بلدٍ دون بلد، أو في زمنٍ دون زمن، أو في حالٍ دون حال؛ فلا ينكر هذا على هذا، ولا هذا على هذا.

قال الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى**^(١): «إن العلماء الفقهاء الناصحين قد يسكتون عن أشخاصٍ وأشياءٍ مراعاة منهم للمصالح والمفاسد؛ فقد يترتب على الكلام في شخصٍ مفسدٍ أعظم بكثيرٍ من مفسدة السكوت عنه، فقد سكّ رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن ذكر أسماء المنافقين، ولم يخبر بأسمائهم أو بعضها إلا حذيفة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** ومتى كان يصعد على المنبر ويقول: فلان منافق، وفلان منافق، كل ذلك مراعاة منه للمصالح والمفاسد، وكان قتلة عثمان في جيش علي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** وما طعن كبار الصحابة الباقيين في علي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ**، ولا أحد من عقلاء التابعين، وما كانوا يركضون لعلي؛ لأنه لو أخرجهم من جيشه أو عاقبهم لترتب على ذلك مفسد عظيمة، منها: الحروب وسفك الدماء، وما يترتب على ذلك من وهن الأمة وضعفها، فهذا العمل منه من باب ارتكاب أدنى المفسدتين لدفع أكبرهما، وهذا ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لماذا لم يبينوا عقيدة النووي وغيره، وأئمة الدعوة لم يبينوا عقيدة النووي وابن حجر والقسطلاني والبيهقي

(١) «المجموع الواضح» (ص: ١٤٣).

والسيوطي، وغيرهم^(١)؛ فلا تظن أن كل تصريح نصيحة، ولا كل سكوت غشاً

(١) هؤلاء العلماء الأجلاء الذين مثل بهم الشيخ ربيع رَحْمَةُ اللَّهِ بدعهم الحدادية (أتباع محمود الحداد المصري - وهو معاصر -).

وأهم معالم هذه الفرقة الضالة المعاصرة ما يلي:

- ١- بغضهم لكبار علماء المنهج السلفي في هذا العصر وتحقيرهم، ثم تجاوزوا ذلك إلى ابن تيمية، وابن القيم، وابن أبي العز شارب الطحاوية، وغيرهم كثير.
- ٢- غلوهم في محمود الحداد وادعاء تفوقه في العلم؛ ليتوصلوا بذلك إلى إسقاط كبار أهل العلم.
- ٣- قولهم بتبديع كل من وقع في بدعة، وابن حجر عندهم أشد وأخطر من سيد قطب.
- ٤- تبديع من لا يبدع من وقع في بدعة وعداوته وحربه، ولا يكفي عندهم أن تقول: عند فلان أشعرية مثلاً، بل لابد أن تقول: مبتدع؛ وإلا فالحرب والهجران والتبديع.
- ٥- تحريم الترحم على أهل البدع بإطلاق، لا فرق بين رافضي وقدري وجهمي وبين عالم وقع في بدعة.

٦- تبديع من يترحم على مثل أبي حنيفة والشوكاني وابن الجوزي وابن حجر والنووي.

٧- امتازوا باللعن والجفاء والإرهاب لدرجة أنهم كانوا يهددون السلفيين بالضرب، بل امتدت أيديهم إلى ضرب بعض السلفيين.

٨- لعن المعين حتى إن بعضهم يلعن أبا حنيفة، وبعضهم يكفره!

٩- الكبر والعناد المؤديان إلى رد الحق، كسائر غلاة أهل البدع.

١٠- لهم علاقات بالحزبيين وبعضهم بالفساق في الوقت الذي يحاربون فيه السلفيين ويحقدون عليهم أشد الحقد.

١١- التقية الشديدة، فالرافضي يعترف لك بأنه جعفري، ويعترف ببعض أصوله وعقائده الفاسدة، وهؤلاء لا يعترفون بأنهم حدادية، ولا يعترفون بشيء من أصولهم وما ينطوون عليه.

١٢- يكتبون تحت أسماء مجهولة مسروقة، فإذا مات أحدهم؛ فلا يُعرف له عين ولا أثر (!)؛ وبهذا العمل فاقوا الروافض؛ فإنهم معروفون، وكتب التاريخ والجرح والتعديل مشحونة بأسمائهم وأحوالهم وإن كانوا يستخدمون التقية والتستر.

١٣- رفضوا أصول أهل السنة في الجرح والتعديل، وتنقصوا أئمة الجرح والتعديل وتنقصوا أصوله.

١٤- رفضوا أصول أهل السنة في مراعاة المصالح والمفاسد.

للإسلام والمسلمين، والعاقل المنصف البصير يدرك متى يجب أو يجوز الكلام، ومتى يجب أو يجوز السكوت» اهـ.

- = ١٥- رفضوا أصول أهل السنة في الأخذ بالرخص في الأصول والواجبات.
- ١٦- تسترهم ببعض علماء السنة مكرًا وكيدًا مع بغضهم لهم ومخالفتهم في أصولهم ومنهجهم ومواقفهم كما يفعل الروافض في تسترهم بأهل البيت!.
- ١٧- الدعوة إلى التقليد كما هو حال الروافض وغلاة الصوفية.
- ١٨- تظاهر بعض المتأخرين منهم بالحماس للإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي والدفاع عنه بعد أن افتعل من العلامة الألباني عدوًّا لدودًا لا نظير له للإمام محمد ودعوته.
- ١٩- التدرج الماكر على طريقة الباطنية، وانظر ما صنعوا بالألباني فقد تظاهروا باحترامه والدفاع عنه ورمي من يصفه بالإرجاء بأنهم خوارج، ثم تحولوا إلى الطعن فيه ورميه بالإرجاء والمخالفة لمنهج السلف.
- ٢٠- مشابهة الروافض في الكذب وتصديق الكذب وتكذيب الصدق!.
- ٢١- التعاون بينهم على الإثم والعدوان والبغي والتناصر على الكذب والفجور والتأصيلات الباطلة.
- ٢٢- الإصرار على الباطل والتمادي فيه، والجرأة العجيبة على قلبب الأمور؛ بجعل الحق باطلاً، والباطل حقًا، والصدق كذبًا، والكذب صدقًا، وجعل الأقزام جبالًا، والجبال أقزامًا.
- ٢٣- الولاء والبراء على أناسٍ من أجهل الناس وأشدّهم عداوةً للمنهج السلفي وعلمائه.
- هذه بعض صفات الحداثيّة ملخصة بتصرف يسير من رسالة: «خطورة الحداثيّة الجديدة وأوجه الشبه بينها وبين الرافضة»، ورسالة: «منهج الحداثيّة» للعلامة ربيع بن هادي المدخلي رَحِمَهُ اللهُ.
- قلت: وأحلف يمينًا من جوار البيت العتيق لا أحنث فيها إن شاء الله، أن بعض الدعاة فيهم شبه كبير بالحداثيّة من عدة وجوه، وإن لم ينتسبوا إليها.
- وقد ردّ على الحداثيّة وحذّر منهم ومن منهجهم الباطل كبار علماء العصر، كابن باز، والعثيمين، والألباني، والوادي، والعبّاد، وربيّع بن هادي المدخلي، وصالح السحيمي، وصالح الفوزان، وصالح اللحيدان، وابن غديان، وأحمد بن يحيى النجمي، وزيد المدخلي، ومحمد بن آدم الإتيوبي، ووحي الله عباس، وجميع السلفيين في مشارق الأرض ومغاربها، رحم الله من مات منهم، ومتّع بالأحياء.

(٨٩) تغليب جانب العلم على الأدب والتربية

إن الدعوة السلفية تقوم على منهج التصفية والتربية. والمراد بالتصفية: تصفية العقائد من الشرك والخرافة والبدع، وتصفية السنة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتصفية الفقه من الأقوال الشاذة والمهجورة، وتصفية المنهج من الانحرافات المذهبية والحزبية... وقد نجحت الدعوة في هذا والله الحمد، نجاحاً كبيراً، لكن الجانب التربوي حصل فيه شيءٌ من القصور، وهو الجانب الروحي، والجانب السلوكي والأخلاقي، ومصادق هذا ما يروى عن الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: «نَجَحْنَا فِي التَّصْفِيَةِ وَلَمْ نَنْجَحْ فِي التَّرْبِيَةِ» اهـ. وقال الألباني أيضاً رَحِمَهُ اللهُ^(١): «قَدْ يَكُونُ الشَّخْصُ سَلْفِيًّا فِي عَقِيدَتِهِ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ سَلْفِيًّا فِي تَرْبِيَّتِهِ وَسُلُوكِهِ» اهـ.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «العلم لا ينفع إذا خلا من الأدب، كثير من الشباب اليوم يطلبون العلم تجد عندهم من الصفات ما لا يليق بطالب العلم، إذا: علمه لا ينفعه؛ يعني: أن طالب العلم وإن كثر علمه إذا لم يكن عنده أدب؛ فإن علمه لا ينفعه، وقليل العلم إذا كان عنده أدب؛ فإن علمه يكون نافعا له، وحينئذٍ: أحثكم أيها الشباب على الحرص على تطبيق الآداب التي علمتموها

(١) «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (٧٨١).

(٢) «فتاوى ودروس المسجد الحرام» (مقطع صوتي).

بِعلمٍ، أما أن تتعلموا العلم وتكون آدابكم وأخلاقكم كآداب سوقة الناس الذين لا يعلمون شيئاً؛ فهذا خطأ» اهـ.

وقال بعض العلماء: «الرجال بالأعمال، والأعمال آثار الصفات والأخلاق، وبذلك يتفاضل الناس لا بالعلوم وشهادات المدارس فقط، لا أريد بهذا أن أغمط قدر العلم وأحط من قدره، وإنما أريد أن أنبه شبابنا الأذكياء إلى أن العلم وحده لا يكفي لجعل الرجل عظيماً في قومه، نافعاً لأُمته ووطنه؛ فإن العلم آلة تديرها الأخلاق، فإذا كانت أخلاق الرجل فاسدةً كان علمه كالسيف في يد المجنون، يضر به ولا ينفع - بل يضر -»^(١).

لذلك فإنه ينبغي للداعية والمعلم أن يركز على هذا الجانب تركيزاً عظيماً، وذلك بتدريس كتب الآداب والأخلاق والزهد والورع، والقراءة في كتب ابن القيم، وابن رجب وغيرهما ممن صفت عقيدته ومنهجه، ويقرأ في كتب التراجم، وفي قصص الصالحين، وقبل ذلك تدبر كتاب الله، فالخير كله فيه.

وأذكر هنا طائفة من أقوال علماء السلف رضوان الله تعالى عليهم، وهم يؤكدون ضرورة تعلم الأدب قبل العلم:

قال الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ^(٢): «طلبت الأدب ثلاثين سنة، وطلبت العلم عشرين سنة، وكانوا يطلبون الأدب قبل العلم».

وقال رَحِمَهُ اللهُ^(٣): «كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين».

(١) «مجلة المنار» (١٤ / ٦٣٣).

(٢) «غاية النهاية في طبقات القراء» (١ / ٤٤٦).

(٣) «صفة الصفوة» (٢ / ٣٣٠).

وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ**^(١): «نحن إلى قليلٍ من الأدب أحوج منا إلى كثيرٍ من العلم». ويقول عبد الله بن وهب **رَحْمَةُ اللَّهِ**^(٢): «ما تعلمنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه».

وقال الحسن البصري **رَحْمَةُ اللَّهِ**^(٣): «كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه، وبصره، ولسانه، ويده، وصلاته، وحديثه، وزهده». وقال أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري **رَحْمَةُ اللَّهِ**^(٤): «كان الرجل لا يطلب الحديث حتى يتعبد قبل ذلك عشرين سنة».

وعن أبي زكريا يحيى بن محمد العنبري **رَحْمَةُ اللَّهِ** قال^(٥): «علمٌ بلا أدبٍ كنارٌ بلا حطبٍ، وأدبٌ بلا علمٍ كجسمٍ بلا روحٍ». وعن عيسى بن حماد بن قتيبة **رَحْمَةُ اللَّهِ** قال^(٦): سمعت الليث يقول وقد أشرف على أصحاب الحديث فرأى منهم شيئاً، فقال: «أنتم إلى يسيرٍ من الأدب أحوج منكم إلى كثيرٍ من العلم».

وقال سفيان بن عيينة **رَحْمَةُ اللَّهِ**^(٧): «جلسنا إلى عبيد الله بن عمر فأحطنا به

(١) صحيح. أخرجه الرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٥٥٩)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» رقم (١١).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» رقم (٨١٧)، «سير أعلام النبلاء» (١١٣/٨).

(٣) صحيح. أخرجه ابن المبارك **رَحْمَةُ اللَّهِ** في «الزهد» (ص: ٢٦).

(٤) «حلية الأولياء» (٣٦١/٦).

(٥) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٨٠/١).

(٦) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٤٠٥/١).

(٧) «العزلة» للخطابي (ص: ٨٣).

فنظر إلينا؛ فقال: شتم العلم وذهبت بنوره، لو أدركني وإياكم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأوجعنا ضرباً».

وروى الخطيب في «الجامع» عن إبراهيم بن حبيب الشهيد، قال ^(١): قال لي أبي: «يا بني، إيت الفقهاء والعلماء وتعلم منهم، وخذ من أدبهم، وأخلاقهم، وهديهم؛ فإن ذاك أحب إلي لك من كثيرٍ من الحديث».

وقال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٢): «كانت أُمِّي تجهز عمامتي وأنا صغيرٌ قبل ذهابي لحلق العلم، فتقول: يا مالك، خذ من شيخك الأدب قبل العلم».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٣): «وأدبُ المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره؛ فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب؛ ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب» اهـ.

وأنبه طلاب العلم والدعاة إلى الله: على أن الأخلاق مرتبطةٌ بالعلم ارتباطاً وثيقاً؛ فلا تنفك الأخلاق عن العلم، ولا العلم عن الأخلاق؛ فهما أخوان شقيقان؛ فلا نفرّق بين الأشقاء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدِّين كله خُلُقٌ، فمن زاد عليك في الخُلُق: زاد عليك في الدِّين» ^(٤).

قلت: لذلك الأخلاق تدخل في جميع أحكام الدين وفي جميع علوم

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٨٠ / ١).

(٢) «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» لابن فرحون المالكي (٩٨ / ١).

(٣) «مدارج السالكين» (٣٦٨ / ٢).

(٤) «مدارج السالكين» (٢٩٤ / ٢).

الشريعة.

فعلى سبيل المثال:

١ - دخول الأخلاق في الإيمان والعقيدة.

والدليل قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً** - أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١).

فإمطة الأذى عن الطريق من الأخلاق.

والحياء من الأخلاق.

والإيمان عقيدة.

إذا: الأخلاق والسلوك من مكملات العقيدة يا داعية التوحيد والعقيدة.

قال العلامة ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(٢) لما سُئِلَ: ما العلاقة بين السلوك والعقيدة، وهل يمكن أن يقال: رجل على عقيدة سليمة؛ على عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة، ولكن عنده خلل في بعض أخلاقه؟ فنرجو الجواب بالتفصيل، وأرجو النصيحة - فضيلة الشيخ - للدعاة في هذه المسألة جزاكم الله خيراً؟

الجواب: «بارك الله فيك، كلما صحت العقيدة صح المنهج وصح السلوك، وكلما اختلت العقيدة اختل المنهج والسلوك؛ ولهذا قال العلماء **رَحِمَهُمُ اللَّهُ**: إن المعاصي تنقص الإيمان، مع أن المعاصي أعمال جوارح إما قول أو فعل أو ترك... فلمهم أن السلوك شيء والعقيدة شيء آخر، وكلما صحت العقيدة صح

(١) متفق عليه: «البخاري» (٩)، «مسلم» (٣٥) واللفظ له، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) «لقاء الباب المفتوح» الشريط (٢١٧٩).

المنهج وصح السلوك...». انتهى.

قلتُ: عندما انحرفت عقيدة الخوارج انحرف منهجهم؛ لأن المنهج والسلوك هو ثمرة العقيدة؛ فما كان فيك يظهر على فيك وجوارحك، فهناك ارتباط وثيق بين العقيدة والسلوك^(١).

٢- دخول الأخلاق في الفقه في الدين:

والدليل قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ، وَلَا فِقْهٌ فِي الدِّينِ»^(٢).

قال في «فيض القدير»^(٣): «إذا اجتمع الظاهر-وهو السَّمْتُ والهيئة الحسنة، والباطن-وهو العلم بالله- انتفى النفاق-؛ لأن المنافق- لا يستوي سره وعلنه».

فهاتان الخصلتان إن كانتا فيك يا طالب العلم ويا أيها الداعية؛ فأبشر؛ فقد صرف الله **عَزَّجَلَّ** عنك النفاق؛ لأن هاتين الخصلتين لا تجتمعان في منافق.

(١) لكن الأخلاق والسلوك مع جلالتهما ومكانتها العظيمة في الإسلام ليست أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة يخرج الرجل بتركها إلى البدعة؛ فتنبه!

قال شيخنا العلامة ربيع بن هادي المدخلي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «البيان لما في نصيحة الدكتور ابراهيم الرحيلي من الخلل والإخلال» (ص: ٢١-٢٢): «أقول: من حقق اعتقاد أهل السنة وسار على منهجهم ولاءً وبراءً، وحصل منه قصورٌ في الأخلاق لا يخرج عن دائرة أهل السنة إلى دائرة البدعة، وما عرفنا عن أهل السنة تبديعٌ من يقصُرُ في الأخلاق، وحتى لو وقع السني في بعض المعاصي لا يخرج بذلك عن دائرة السنة».

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٦٨٤) عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وصححه الشيخ الألباني في تحقيق «سنن الترمذي» (٢٦٨٤)، رحمة الله على الجميع.

(٣) «فيض القدير» (٣/ ٤٤١) بتصرف يسير.

٣- دخول الأخلاق في المنهج.

البعض يظن أن المنهج فقط هو كيفية التعامل مع أهل البدع والأهواء؛ فإن شد وأغلظ عليهم ولو بظلمهم؛ قالوا: هذا شديدٌ على أهل البدع وصلبٌ في السنة والمنهج، وإن تعامل مع أهل البدع والمخالفين والمناوئين بالعدل والإنصاف؛ قالوا: هذا مميّع، وقد يلحقونه بأهل البدع!

الشاهد: أن البعض ربط المنهج فقط بكيفية التعامل مع المخالفين من أهل البدع والأهواء، وهذا إنما هو جزءٌ من المنهج؛ لأن المنهج هو السلوكيات والمعاملات الظاهرة مع جميع الناس:

فما هو المنهج الصحيح في التعامل مع الحكام؟
وما هو المنهج الصحيح في التعامل مع الوالدين؟
وما هو المنهج الصحيح في التعامل مع الأبناء؟
وما هو المنهج الصحيح في تعامل الزوج مع زوجته، والزوجة مع زوجها؟
وما هو المنهج الصحيح في تعامل الشيخ مع الطلاب، والطلاب مع شيخهم؟

وما هو المنهج الصحيح في التعامل مع الجيران؟
وما هو المنهج الصحيح في التعامل مع المخالف؟
وما هو المنهج الصحيح في التعامل مع الكفار بجميع أصنافهم؟
وما هو المنهج الصحيح في التعامل مع جميع الناس؟

فالجواب: أن المنهج الصحيح في التعامل مع هؤلاء جميعاً هو التعامل معهم

بالأخلاق والعدل والإنصاف، كل بحسبه^(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذه أجمع آية في القرآن أمرت بكل خير وحذرت من كل شر^(٢).

هذا هو الأصل في المنهج: التعامل مع الناس بالعدل والإنصاف والأخلاق والرحمة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فكيف يا أيها الداعي إلى الله ترث العلم من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا ترث الرحمة والأخلاق منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!، فلا تفصل الأخلاق عن العلم كما فصل العلمانيون الدين عن الدولة، وحاشاك من ذلك.

نعم، قد تخرج أحياناً عن هذا الأصل إلى الشدة لدليل آخر أو لمصلحة راجحة، وهذا نادر؛ فلا نجعل النادر هو الأصل، والأصل هو النادر، والقرآن والسنة مليئان بالأدلة في هذا الباب.

٤ - دخول الأخلاق في الدعوة إلى الله، بل هذا هو الأصل الأصيل فيها:

قال الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١) وهناك محاضرة قيمة لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله - بعنوان: «الأساليب الشرعية في التعامل مع الناس»، ذكر فيها المنهج الصحيح في كيفية التعامل مع جميع الناس من الحاكم إلى الولد.

(٢) ينظر: «تفسير ابن كثير» (٧ / ١٠٨) بتصرف.

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال عز وجل لموسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

فإن كان مثل فرعون في الكفر والطغيان نقول له قولاً لينا، فما بالنا بالمسلم الموحد؟!

فالدعوة إلى الله الأصل فيها الرفق واللين، كما قال علماؤنا الأكابر: الباز، والعثيمين، والألباني، والوادعي رَحِمَهُمُ اللَّهُ، كما تقدم ذكره.

فاتركوا العنف الدعوي - حفظكم الله - الذي هدم وما ردم، ودمر وما عمر، والواقع خير شاهد بدون مغالطات.

فكثير من الناس في جميع الأرض دخلوا في دين الله أفواجا بالمعاملات الحسنة والأخلاق الكريمة، وقد قيل: «الدِّينُ المعاملة»، ولا يثبت حديثاً ولكن معناه صحيح^(١).

فكما أنك يا طالب العلم تتعلم العلم في المراكز والمدارس والمساجد والجامعات؛ فيجب عليك أن تتعلم الأدب والأخلاق قبل العلم، وقد صدقوا حين قالوا: وزارة التربية والتعليم، فبدؤوا بالتربية قبل التعليم، ومن منهج أهل السنة والجماعة: «التأهيل قبل التشغيل».

فكم من الناس اليوم - يا إخواني في الله - يدعون إلى الله بأقوالهم، وينفرون

(١) ينظر كتابي: «إسعاف الأخيار بما اشتهر ولم يصح من الأحاديث والآثار والقصص والأشعار»

الناس عن دين الله وعن السنة بأفعالهم ومعاملاتهم.

قال العلامة محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ^(١): «والداعية الناجح: هو الذي يهذب الناس بسيرته قبل أن يهذبهم بلسانه، ويدعوهم إلى الله بخُلُقهِ وحُسن سلوكه قبل أن يقول شيئاً بلسانه».

فالله الله معشر الدعاة، لا بد أن نركز على هذا الجانب بقوةٍ، ونسد الخلل، ونسوي الصف، ونجمع الكلمة، ونقيم دورات مكثفة في كيفية الدعوة على منهاج النبوة؛ فأنتم أحق بها وأهلها.



(١) «مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث».

(٩٠) محاولة إسقاط رموز الدعوة في العالم لأتفه الأسباب

لقد آتت جهود الدعاة السلفيين المخلصين الصادقين في مشارق الأرض ومغاربها ثمارها والله الحمد، فكم بذلوا في سبيل تفقيه الأمة والنهوض بها من جهدٍ عظيم، فعلموا الناس التوحيد وحذروهم من الشرك، وعلموا الناس السنة وحذروهم من البدعة، ورغبوا الناس في الطاعات ورهبوهم من المعاصي والذنوب، وعلموا الناس العلم الشرعي وحذروهم من الجهل، ونشروا الفضيلة وحاربوا الرذيلة، وبدأ نور التوحيد والسنة يشعُّ في سماء المعمورة، وفرح الموحدون المخلصون الصادقون في مشارق الأرض ومغاربها بهذه الثمرة المباركة المبذولة من آحاد الدعاة، ولكن هبت رياحٌ مسمومةٌ، وإعصارٌ مدمرٌ لشيطنة هؤلاء الأخيار الأبرار، فرسان التوحيد والسنة وغرباء هذه الأمة، الذين بذلوا الغالي والنفيس من أجل هذه الدعوة السلفية المباركة، ليت هذا التحذير والإسقاط جاء من خصوم الدعوة الذين يكيدون لها بالليل والنهار، ويمكرون بها مكر الفجار، وإنما جاء السعي في الإسقاط من قبل بعض إخواننا وبني جلدتنا، وصدق القائل:

وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً على المرءِ من وقعِ الحسامِ المهنَّدِ^(١)

حقاً إنَّ ظلم ذوي القربى شديدٌ على النفس، وهذا إذا وقع بين الأقارب في النسب، فكيف به إذا وقع بين الأقرباء في العقيدة والسنة والمنهج؟، وكيف به إذا

(١) «ديوان طرفة بن العبد» (ص: ٢٧).

تعدى ظلمُ فردٍ لمثيله وأصبح فاشياً في ظلم مجتمعٍ لمجتمع، أو جماعةٍ لجماعة؟ فهو أشد مرارةً، وأكثر ألماً، وأعمق حزناً، وأقسى من كل مصابٍ تصاب به الدعوة من العدو الخارجي الكافر أو المبتدع الضال؛ لأن المحنة عندما تأتي من إخوةٍ لك في العقيدة والمنهج المستقيم؛ فهذا سيؤدي ولا شك إلى فقدان الثقة عند كثيرٍ من الناس بمن يتصدى للدعوة في تلك البلاد، ويؤدي كذلك إلى أن يفقد بعضهم الأمل من قُرب استئناف حياةٍ إسلاميةٍ صحيحةٍ على منهاج النبوة؛ لأنه يرى أهل هذا المنهج الصافي النقي يتصارعون فيما بينهم، وسيؤدي كذلك إلى الإحباط وإشاعة روح اليأس عند البعض، وسيكون التساؤل قوياً وحاضراً ومُلِحاً: إذا كان هؤلاء يتخاصمون ولا يتفاهمون، ويتباغضون ولا يتراحمون؛ فهل هناك أملٌ في الإصلاح المنشود؟!

فوا عجباه، هل أصيب بعض أهل السنة بأمراض المجتمعات وأوبئتها؟ فصاروا مثل غيرهم من الأحزاب المتناحرة، حيث اشتهرت بعض الأحزاب الضالة بممارسة تصفية زملائهم، سواء بالتصفية الجسدية أو بالإبعاد أو بالسجن. وأخيراً: أقول هؤلاء الذين يتشبثون بأنانيتهم وأغراضهم الخاصة، ويدافعون عنها ولو ضعفت الدعوة وتمزق الصف: اتقوا الله في هذه الدعوة، التي تكالبت عليها الأمم، وتكاثر عليها الأعداء؛ فلا تكونوا عوناً لهم.

إنهم إخوانكم في العقيدة والسنة والمنهج، اتفقوا معكم في كل شيء إلا في مسألةٍ واحدةٍ أو مسألتين يسوغ فيهما الخلاف، يدرسون كتب ابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد الوهاب، والشوكاني، والصنعاني، والألباني، وابن باز، وابن عثيمين، والوادي، وجميع كتب العلماء السلفيين، ويحاربون أهل البدع والأهواء

والأحزاب والطوائف الضالة؛ فأسألكم بالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه، داعية في قارة من القارات، أو في بلد من بلاد الكفار، أو في بلد مسلم هيمنت عليه البدع والمعاصي والفتن، ليس معه في تلك البلاد معين إلا الله، وهو يجاهد ويدعو إلى التوحيد بمفرده في تلك البلاد المظلمة بالشرك والبدعة والمعصية، يُنبذ بُدَّ النواة لأتفه الأسباب!، إن هذا النُبذ -والله-، نقصٌ في الدين، وفي العقل، وفي العلم، لقد بعتم هؤلاء الدعاة ببيع الرقيق بثمنٍ بخسٍ، وبحظوظ نفسٍ زائفةٍ قليلةٍ، وكنتم فيهم من الزاهدين، أليس من الواجب علينا أن نقف مع هذا الداعية الغريب الوحيد في بلده ونشجعه ونعطف عليه ونرحمه، ونواسيه، ونسأل عن أحواله، ونغض الطرف عن عثرته إن كانت هناك عثرة، ونناصحه بالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

واسمعوا لهذا الكلام الكبير من العلماء الراسخين رَحِمَهُمُ اللَّهُ، الذين كبروا في علمهم وعقلهم ودينهم، كيف تعاملوا مع أهل السنة المخالفين لهم في بعض المسائل:

قال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-^(١): «إذا كانت المسألة متعلقة بعالم من أهل العلم في الفتوى في شأنه بأمرٍ من الأمور؛ فإنه هنا يجب النظر فيما يؤول إليه الأمر من المصالح ودفع المفساد؛ لهذا ترى أئمة الدعوة رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى من وقت الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن -أحد الأئمة المشهورين إلى وقت الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُمُ اللَّهُ إذا كان الأمر متعلقاً بإمام، أو بعالم، أو بمن له أثر

(١) في محاضرة له بعنوان: «الفتوى بين مطابقة الشرع ومسايرة الأهواء»، وينظر: «سلسلة المحاضرات العلمية للشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله» (٤ / ٧٠٣-٧٠٥).

في السنة؛ فإنهم يتورعون، ويتعدون عن الدخول في ذلك.

مثاله: الشيخ صديق حسن خان القنوجي الهندي المعروف عند علمائنا، له شأن، ويقدرون كتابه: «الدين الخالص»، مع أنه نقد الدعوة في أكثر من كتاب له؛ لكن يغضون النظر عن ذلك، ولا يصعدون هذا؛ لأجل الانتفاع بأصل الشيء، وهو تحقيق التوحيد، ودرء الشرك؛ (أي: في بلاده بلاد الهند).

المثال الثاني: الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني المعروف، صاحب كتاب: «سبل السلام» وغيره، له كتاب: «تطهير الاعتقاد»، وله جهودٌ كبيرةٌ في رد الناس إلى السنّة، والبعد عن التقليد المذموم والتعصب وعن البدع؛ لكنه زلّ في بعض المسائل، وأما ما ينسب إليه في قصيدته المشهورة لما أثنى على الدعوة، قيل: إنه رجع عن قصيدته تلك بقصيدة أخرى يقول فيها:

رجعت عن القول الذي قلت في النجدي، ويعني به: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويأخذ هذه القصيدة أرباب البدع - وهي تنسب له، وتنسب أيضًا لابنه إبراهيم -؛ وينشرونها على أن الصنعاني كان مؤيدًا للدعوة لكنه رجع.

والشوكاني رَحِمَهُ اللهُ مقامه أيضًا معروف، الشوكاني له اجتهادٌ خاطئ في التوسل، وله اجتهادٌ خاطئ في الصفات، وتفسيره في بعض الآيات فيه تأويل، وله كلام في عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليس بجيد، أيضًا في معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليس بجيد؛ لكن العلماء لا يذكرون ذلك (حتى ينتفع الناس بعلمه في اليمن).

وألف الشيخ سليمان بن سحمان كتابه «تبرئة الشيخين الإمامين...» -يعني بهما: الإمام الصنعاني والإمام الشوكاني-.

لماذا فعلوا ذلك؟ لأن الأصل الذي يبنى عليه هؤلاء العلماء هو السنة.

فهؤلاء ما خالفونا في أصل الاعتقاد، ولا خالفونا في التوحيد، ولا خالفونا في نصره السنة، ولا خالفونا في رد البدع؛ وإنما اجتهدوا فأخطؤوا في مسائل. والعالم لا يتبع بزلته -قلت: ولعله لا يتبع في زلته: أي: يفضح بزلته- كما أنه لا يتبع في زلته -أي: لا يقتدى به فيها - هذه تُترك ويُسكت عنها، وينشر الحق، وينشر من كلامه ما يؤيد به.

وعلماء السنة لما زل ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في مسألة الصورة -كما هو معلوم- ونفى إثبات الصورة لله جَلَّ وَعَلَا رد عليه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بأكثر من مائة صفحة، ومع ذلك علماء السنة يقولون عن ابن خزيمة: إنه إمام الأئمة، ولا يرضون أن أحداً يطعن في ابن خزيمة لأجل أن له كتاب التوحيد الذي ملأه بالدفاع عن توحيد الله رب العالمين، وإثبات أنواع الكمالات له جَلَّ وَعَلَا بأسمائه ونعوت جلاله جَلَّ جَلَالُهُ، وتقدست أسماؤه.

والذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» قال: وزل ابن خزيمة في هذه المسألة.

فإذا هنا: إذا وقع الزلل في مثل هذه المسائل؛ فما الموقف منها؟

الموقف: أنه ينظر إلى موافقته لنا في أصل الدين، موافقته للسنة، نصرته للتوحيد، نشر العلم النافع، ودعوته للهدى... ونحو ذلك من الأصول العامة، وينصح في ذلك، وربما رد عليه؛ لكن لا يقدر فيه قدحاً يلغيه تماماً.

وعلى هذا كان منهج أئمة الدعوة في هذه المسائل كما هو معروف.

وقد حدثني فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان رَحِمَهُ اللَّهُ حينما ذكر قصيدة الصنعاني الأخيرة (رجعت عن القول الذي قلت في النجدي) -التي

يقال: إنه رجع فيها، أو أنه كتبها-، قال: سألت شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ عنها: هل هي له، أم ليست له؟

قال: فقال لي الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: الظاهر أنها له.

والمشايخ -مشايخنا- يرجحون أنها له؛ ولكن لا يريدون أن يقال ذلك؛ لأنه نصر السنة ورد البدعة، مع أنه هجم على الدعوة...

الشوكاني له قصيدة أرسلها للإمام سعود ينهأ فيها عن كثيرٍ من الأفعال من قتال، ومن التوسع في البلاد، ونحو ذلك فيه أشياء.

فإذا الشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها، وهذه القاعدة المتفق عليها لها أثرٌ كبيرٌ؛ بل يجب أن يكون لها أثرٌ كبيرٌ في فتوى المفتي وفي استفتاء المستفتي أيضاً... اهـ.

قلت: وهكذا خالف الإمام الألباني الإمام ابن باز والإمام ابن عثيمين في مسائل كثيرة، وحصل ردودٌ من الطرفين، ومع هذا بقي الجبال جبالات، وبقيت المحبة والمودة والأخوة بينهم لا يزحزحها أحدٌ، ولو تلاطمت بين أيديهم الجبال، وكل واحدٍ منهم يشني على الآخر، ويدعو له بالتوفيق والنجاح، وهكذا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ خالف أئمة الدعوة النجدية السلفية في مسائل كثيرة، وخالفوه هم أيضاً في مسائل كثيرة، ثم لما حصل له المرض؛ شفع له الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ بالدخول إلى أرض الحرمين للعلاج فيها.

ومن هذه المواقف النبيلة بين الكبار: ما حصل بين الإمام ابن باز والإمام الألباني رَحِمَهُمَا اللهُ؛ فإن الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ طبع كتابه: «الذب الأحمد عن مسند

أحمد» بعد وفاة الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ بعشرة أيام، حيث قال رَحِمَهُ اللهُ^(١): «فهذا كتاب «الذب الأحمَد عن مسند أحمد» ألفته قبل عشرين عاماً تنفيذاً لطلب كريم من أخ فاضل كريم، وهو سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ويشاء الله وله الحكمة البالغة ألا يصدر هذا الكتاب إلا بعد وفاة الشيخ، فأسأل الله له المغفرة والرضوان، وأن يلحقه بالصالحين من عباده، وأن يجزيه خير ما يجزي به عالماً عن أمته، وما ذاك الطلب من الشيخ والجواب مني إلا صورة علمية مشرقة تمثل حقيقة تعاون أهل الحديث ودعاة السنة على البر والتقوى وتواصيهم بالحق والصبر، رحم الله جَلَّ وَعَلَا أخانا الفاضل سماحة الشيخ عبد العزيز وأحسن عزاءنا فيه، سائلاً ربي أن يجعل هذا العمل في صحيفة حسناته وابتغاء مرضاته، إنه تعالى سميع قريب» اهـ.

قال الفرزدق:

أُولَئِكَ أَبَائِي، فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ
وقال لبيد:
ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ كَجَلَدِ الْأَجْرَبِ
إلا من رحم الله، وهم كثير، والله الحمد.



(١) مقدمة «الذب الأحمَد» (ص: ٥-٦).

(٩١) الذي في قلبي على لساني (صفة الداعية الأحق)

اشتهرت هذه العبارة على أن من كان هذا حاله؛ فإنه سليم القلب لا يبقي شيئاً في صدره، حتى وصلت هذه المعلومة المغلوطة إلى بعض الدعاة؛ فتجده يتكلم بالحق وبالباطل، وبالصحيح والخطأ، ويخبط خبط عشواء، ويقول بلسانه مفتخراً مادحاً نفسه: أنا لا أصبر، الذي في قلبي على لساني!.

وقد يصدع الدعوة بفتنٍ ليس لها آخر بسبب هذه المقولة المخدولة، وهذا الخلق السيء، والحقيقة أن الذي يقول: الذي في قلبي على لساني، على الإطلاق، ليس بصادقٍ في مقولته هذه؛ فلو أخرج كل إنسانٍ ما في قلبه لتصافح الناس بالسيوف!، وتمزقت الأخوة، وتشرذم المجتمع، إلا ما شاء الله؛ فإن القلب له خطرات وأحوال لا يسلم منها أقرب الناس.

ومن الأدلة التي ترد على هذه المقولة: أن النبي ﷺ سمع رجلاً يطرق الباب؛ فقال: «بئس أخو العشيرة»، ثم فتح له وهشَّ وبشَّ في وجهه^(١)، وكم في قلبه ﷺ من ألمٍ من المنافقين الذين عاشوا معه، يكيّدون لهذا الدين ليلاً ونهاراً، ومع هذا لم يخرج أسماءهم إلا لحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للمصلحة الراجحة.

(١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ، فلما رآه؛ قال: «بئس أخو العشيرة، وبئس ابنُ العشيرة» فلما جلس؛ تطلّق النبي ﷺ في وجهه وانبط إلى، فلما انطلق الرجل؛ قالت له عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلّقت في وجهه وأنبطت إليه؟! فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، متى عهدتني فحاشاً، إنَّ شرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ». رواه «البخاري» (٦٠٣٢)، «مسلم» (٢٥٩١).

قال ابن حبان **رَحِمَهُ اللَّهُ**^(١): «وإنَّ من أعظم أمارات الحمق في الأحمق: لسانه؛ فإنه يكون قلبه في طرف لسانه، ما خطر على قلبه؛ نطق به لسانه، والأحمق يتكلم في ساعةٍ بكلامٍ يعجز عنه سبحانه وائل^(٢)، ويتكلم في الساعة الأخرى بكلامٍ لا يعجز عنه باقل^(٣)».

والعقل يجب عليه مجانبة من هذا نعته، ومخالطة من هذه صفته؛ فإنهم يجترئون على من عاشرهم، ألا ترى الزط^(٤) ليسوا هم بأشجع الناس ولكنهم يجترئون على الأسد لكثرة ما يرونها.

وقال ابن حبان أيضًا **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «ومن شيم الأحمق: العجلة، والخفة، والعجز، والفجور، والجهل، والمقت، والوهن، والمهابة، والتعرض، والتحاسد، والظلم، والخيانة، والغفلة، والسهو، والغبي، والفحش، والفخر، والخيلاء، والعدوان، والبغضاء».

(١) «روضة العقلاء» (ص: ١١٨-١٢٤).

(٢) سبحانه بن زُفَر بن إياس الوائلي، من باهلة: خطيبٌ يضرب به المثل في البيان، يقال: (أخطب من سبحانه) و(أفصح من سبحانه)، اشتهر في الجاهلية، وعاش زمنًا في الإسلام، وكان إذا خطب يسيل عرقًا، ولا يعيد كلمة، ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ، أسلم في زمن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولم يجتمع به، وأقام في دمشق أيام معاوية، وله شعرٌ قليلٌ وأخبار.

انظر: «الإصابة» لابن حجر (٢٠٦/٣)، «الأعلام» للزركلي (٧٩/٣)، «جواهر الأدب» (١٢٠/٢-١٢١).

(٣) في المثل: أعيان باقل، هو رجلٌ من ربيعة، كان اشترى ظبيًا بأحد عشر درهماً، فسئل عن شرائه، ففتح كفيه وأخرج لسانه، يشير بذلك إلى ثمنه، وهو أحد عشر، فانفلت الظبي، فضرب به المثل في العي. انظر: «مختار الصحاح» (ص: ٣٨)، «تاج العروس» (١٠١/٢٨).

(٤) الزط: جنس من السودان والهنود. انظر «النهاية» لابن الأثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** (٣٠٢/٢).

والأحق إذا عرضت عنه؛ اغتم، وإن أقبلت عليه؛ اغتر، وإن حلمت عنه؛ جهل عليك، وإن جهلت عليه؛ حلم عنك، وإن أسأت إليه؛ أحسن إليك، وإن أحسنت إليه؛ أساء إليك، وإذا ظلمته؛ انتصفت منه، ويظلمك؛ إذا أنصفته» اهـ.

قلت: وهذا نموذج الداعية الذي تحمله الدعوة، ولا يحمل الدعوة^(١)؛ فاللهم سلم الدعوة من هؤلاء الحمقى الذين أفسدوا فيها أشد من فساد أعدائها.

وإلا فإن الداعية الموفق المسدد هو الذي جمع الله له بين الدين والعقل والعلم؛ فلا يُخرج الكلمة أو الحكم على الشخص أو على المسألة حتى يمر بهذا الحكم على أربع مراحل:

المرحلة الأولى: العاطفة.

المرحلة الثانية: العقل.

المرحلة الثالثة: العلم.

المرحلة الرابعة: العدل.

✓ فإذا رأى الداعية أمراً مهولاً أو سمع أمراً عظيماً فأول ما تتأثر فيه هي العاطفة فلا يستجب لها مباشرةً، ويصدر الحكم؛ فإن تحكيم العاطفة فقط يدمر ولا يعمر، ويهدم ولا يردم، بل لا بد أن ينقل حكم القضية والمسألة من حكم العاطفة إلى حكم العقل مباشرةً، ويكون بينهما ارتباط وثيق.

✓ فإذا صدر حكم العقل في المسألة؛ فلا بد من عرض هذا الحكم على العلم الشرعي؛ فإن العقل وحده بدون علم لا يكفي؛ فكم من عاقل جاهل.

(١) لمن أراد التزود في بيان هذه المسألة ومعرفتها فيستمع لكلمة لي بعنوان: «هل نحن نحمل الدعوة أم تحملنا الدعوة؟».

✓ فإذا صدر حكم العلم في المسألة؛ فلا بد من:

✓ عرض هذا الحكم على العدل والدين؛ فكم من عالمٍ رقيق الدين ليس عنده عدل ولا إنصاف في الأحكام إلا من رحم الله، فإذا سار الداعية على هذه الخطوات الأربع بهدوءٍ وتؤدٍ؛ سلّمت له الأمور، ويكون مسدداً في كلامه وأحكامه إن شاء الله^(١).



(١) حدثنا بهذه الفائدة مختصرة فضيلة شيخنا العلامة مفتي المدينة النبوية الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي - حفظه الله - في مكتبه مكتب الإفتاء في المدينة النبوية، عندما زرته أنا ومجموعة من المشايخ في ذي القعدة عام (١٤٤٦ هـ)، وعزاها - عافاه الله - للشيخ الدكتور سليمان الرحيلي - حفظه الله -، ثم وقفت على كلام الشيخ سليمان - وفقه الله - في محاضرة له بعنوان: «فقه الفتن» حيث قال: «من فقه الفتن: عدم اتباع العواطف، وتقييد العواطف بالعقل، وتقييد العقل بالشرع».

(٩٢) عدم تحرز بعض الدعاة من مواطن الريبة

الريبة هي الأمر الذي يريب النفوس، ويجعل صاحبها في موضع الريبة والتهمة، فيظن الناس به الظنون السيئة؛ ولهذا قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ»^(١).

وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَذَرُ مِنْهُ»^(٢).

وقال علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «إِيَّاكَ وما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره» اهـ^(٣).

لذلك يجب على الداعية قبل غيره أن يتعد عن الأمور التي قد يفعلها بحسن نية، وطيب قصد، وغفلة منه، ولكنه قد يثير الظنون ويبعث على التهمة ولو بغير حق، فيجب على العاقل الذكي الحصيف أن يحافظ على سمعته، ودعوته، ومكانته الاجتماعية، فيجنب نفسه هذه المواقف وهذه الريب، ولا يستهين بأسبابها اعتماداً على حسن نيته وسلامة قصده، حتى لا يلصق بنفسه تهمة هو منها بريء، ولا يعرض غيره للوقوع في سوء الظن فيه والالتهام له بالباطل،

(١) صحيح. رواه «أحمد» (١٧٢٣) عن الحسن بن علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٧٨)، «المشكاة» (٢٧٧٣)، وشيخنا الوادعي في «الصحيح المسند» (٣٠٨)، رحمه الله على الجميع.

(٢) حسن. رواه الضياء في «المختارة» (٢١٩٩) عن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٥٤)، رحمه الله على الجميع.

(٣) ينظر: «شرح البخاري» للسفيري (٣٤٥ / ٢)، «المرقاة» (١٤٠٠ / ٤)، «فتح القدير» للكمال ابن الهمام (٣٤٥ / ٢).

فيسلم هو، ويسلم الناس من هذا الشر.

والخوف من كلام الناس أيها الدعاة ظاهرة اجتماعية متفشية في المجتمع، تربى عليها الصغير، وشاب عليها الكبير، وأصبحت حاجساً لدى كثير من الناس، ويحسب لها ألف حساب.

وقد اهتم الدين بهذه المسألة وضبطها ضبطاً جيداً، فإذا لم تكن أنت متسبباً في كلام الناس فيك؛ فلا يضر كشيء، وأنت مأجور، وهذه سنة لن تتغير، أما إذا كنت أنت المتسبب في كلام الناس فيك بالوقوع في الشبهات والاقتراب من مواطن الريبة؛ فهذا خطأ واضح.

وقد أمرنا النبي ﷺ بترك الشبهات وأماكن الريبة خوفاً من الوقوع في كلام الناس؛ ولذلك قال ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَيَنْتَهِي مُشْتَبَهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ؛ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ؛ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ....»^(١).

ومعنى: «اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ»: أي: صان عرضه من أن يتكلم الناس فيه. وكان ﷺ ذات يوم معتكفاً في العشر الأواخر من رمضان في مسجده، فزارته ليلاً أم المؤمنين صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثم قام ﷺ معها ليوصلها، حتى إذا بلغت باب المسجد، مرَّ رجلان من الأنصار، فسَلَّمَا على رسول الله ﷺ؛ فقال لهما النبي ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيٍّ»؛ فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكَبَّرَ عَلَيْهِمَا؛ فقال النبي ﷺ: «إِنَّ

(١) متفق عليه: «البخاري» (٥٢)، «مسلم» (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الشَّيْطَانُ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا»^(١).

فالنبي ﷺ دفع عن نفسه الريبة وكلام الناس فيه؛ لذلك من رُوي مع زوجته في خلوة مربية فرآه بعض أصحابه عليه أن يخبره بأنها زوجته؛ لئلا يسيء الظن به؛ فيتكلم الناس في عرضه، فعرض الداعية عرض الدعوة؛ لذلك قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أمر الملك بإخراجه من السجن، قال بلسان حاله ومقاله: لا أخرج من السجن حتى أبرئ ساحتي وعرضي ودعوتي أمام العالم؛ فقال: ﴿فَسَّكُلْ مَا بَالَ النَّسْوَةُ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠].

فينبغي للداعية الفطن الذكي أن يتقي الله ويتعد عن كل مواطن الريبة سواء كانت في الشبهات أو الشهوات.

فالشبهات كمجالسة أهل البدع والأهواء.

والشبهوات كجوانب النساء، أو جوانب المردان الملاح من الصبيان والجلوس معهم، أو جوانب المال، وغير ذلك من مواطن الريب.

ولقد كان النبي ﷺ يمتنع أحياناً عن فعل بعض الأشياء خوفاً من كلام الناس، ولكن كان خوفه ﷺ لصالح الدعوة الإسلامية وصيانتها من كل شائبة، فقد امتنع ﷺ من قتل بعض المنافقين حتى لا يقال: إن محمداً يقتل أصحابه^(٢)، فتتضرر بذلك الدعوة ويمتنع الناس من الدخول في الإسلام.

(١) متفق عليه: «البخاري» (٢٠٣٥)، (٣٢٨١)، «مسلم» (٢١٧٥).

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٣٥٢٨)، «مسلم» (٢٥٨٤) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ معلقاً على هذا الموقف: «كان في ترك قتلهم في حياة النبي ﷺ مصلحة =

وذات يوم جاءت امرأة من قضاة تدعى أم كبشة، فاستأذنت النبي ﷺ أن تغزو معه؛ فقال: «لا»؛ فقالت: يا رسول الله، إني أداوي الجريح، وأقوم على المريض؛ قالت: فقال رسول الله ﷺ: «اجلسي، لا يتحدّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَغْزُو بِامْرَأَةٍ»^(١).

وكان النبي ﷺ حين يأمر الناس بأمرٍ أو ينهاهم عنه، يحرص أن يكون أهل بيته أول من يعمل بذلك؛ ليكون هو وأهل بيته أسوة للجميع، فلا يترك ثغرة للمنافقين كي يتكلموا فيه أو في أهل بيته أو في دعوته.

ونعلم جميعاً بأن النبي الكريم ﷺ كان زاهداً، ويأمر أهله بالزهد، فذات يوم رأى ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لابسةً سلسلةً من ذهبٍ، أهداها لها زوجها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقال لها النبي ﷺ: «يَا فَاطِمَةُ، أَيْسُرُكَ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهَا سِلْسِلَةٌ مِنْ نَارٍ؟» فخرج ولم يقعد، - فعمدت فاطمة إلى السلسلة فباعتها، فاشتريت بها نسمة فأعتقتها، فبلغ النبي ﷺ؛

تتضمن تأليف القلوب على رسول الله ﷺ، وجمع كلمة الناس عليه، وكان في قتلهم تنفير، والإسلام بعد في غربة، ورسول الله ﷺ أحرص شيء على تأليف الناس، وأترك شيء لما ينفرهم عن الدخول في طاعته، وهذا أمرٌ كان يختص بحال حياته ﷺ اهـ. «زاد المعاد» (٣/ ٤٩٧).

وقال القاضي عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فلو قتلهم النبي ﷺ لنفاقهم وما يبدر منهم، وعلمه بها أسروا في أنفسهم لوجد المنقّر ما يقول، ولا رتاب الشارد، وأرجف المعاند، وارتاع من صحبة النبي ﷺ والدخول في الإسلام غير واحد...» اهـ. «الشفاء» (٢/ ٥٠١).

(١) صحيح. رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤٢٧٠)، وصححه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٨٧).

فقال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّى فَاطِمَةَ بِي مِنَ النَّارِ»^(١).



(١) صحيح. رواه «النسائي» (٥١٤٠)، «أبو داود الطيالسي» (١٠٨٣)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «السلسلة الصحيحة» (٤١١) عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الخاتمة

وفي الختام:

كل ما ذكر في هذا الكتاب من المسائل والمشاكل الدعوية يعود سببها إلى ثلاثة أمور كما ذكرت ذلك في مقدمة الكتاب:

ضعفُ في الدين، أو ضعفُ في العلم، أو ضعفُ في العقل؛ فتتج عن ذلك مجموعةٌ من السلوكيات والآفات والمخالفات في الدعوة السلفية المباركة: كتبديع من لم يبدع، وهجر من لم يهجر، ومنهج الإلزام في الأحكام على المخالف، ومسابقة الصغار للعلماء الكبار، وتمكين الصغار، وتهميش الكبار وإسقاطهم، كل ذلك بالهوى، فتقدم من حقه التأخير وتأخر من حقه التقديم، والاقصصار في أخذ العلم والأحكام على المخالف من شيخٍ معين، وإنزال أحكامه وكأنها نصوصٌ من الوحيين، وتقديس بعض العلماء والمشايخ، والغلو المفرط في جرح المخالفين، وجعل مسائل الخلاف الجزئية على أنها من الأصول، وعدم تربية الطلاب على آداب الخلاف، وضعف التركيز على تزكية النفوس، وتركيز بعض السلفيين على مسائل الردود فقط دون غيرها، وإهمال الجوانب الأخرى والمسائل الكبرى، وعدم الموازنة في فقه المفاصد والمصالح وفقه المآلات، وتميع البعض وذوبانهم مع أهل البدع والأهواء والأحزاب الضالة وعدم التمييز عنهم، وعدم ضبط وفهم أنواع الخلاف، وعدم التفطن للمدسوسين في الدعوة السلفية، والعجلة وعدم الثبوت في الأخبار، والتنطع في قبول توبة المخالف ورجوعه إلى الحق، والدخول

في النيات، وعدم الرفق في الدعوة؛ فنجمع على المخالف الثقلين: ثقل الحق وثقل الأسلوب.

كل هذه المشاكل والمسائل:

تحتاج إلى وقفة صادقة صادقة، ومراجعة علمية جادة جادة، من علماء الدعوة السلفية وكبارها وعقلائها ورموزها لإيقاف هذا التفكك المستمر والإعصار المدمر في الدعوة السلفية؛ فهذه المسائل وغيرها جعلت من الدعوة السلفية وكأنها قنبلة عنقودية تتشظى بين الحين والآخر إلى فرقٍ ومسمياتٍ، كل فرقة تسفّه الأخرى؛ فشمت بنا الخصوم، وقد استعاذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام^(١) من شماتة الأعداء؛ وقال هارون عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لموسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يتعوذ من... شماتة الأعداء». كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢).

وصدق القائل:

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى فَتَهُونُ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ
وتزداد مرارة الشماتة عندما يشمت الضعيف بالقوي، والمريض بالصحيح، والجاهل بالعالم، والمفارق بالموافق، والمبطل بالمحق، والوضع بالرفيع، وكما قيل:

(١) يستحب الجمع بين الصلاة والسلام على الأنبياء، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلُّوا عَلَى أَنْبِيَائِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَهُمْ كَمَا بَعَثَنِي». رواه البيهقي في «الشعب» رقم (١٣٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٨٢)، رحمة الله على الجميع.

(٢) «البخاري» (٦٣٤٧)، «مسلم» (٢٧٠٧).

أعظم الذل أن تذلل من الذليل.

ومن الثمار المرة لهذه التصرفات الهوجاء في الدعوة السلفية: تشويهها وتنفير الناس عنها.

وهي الإسلام الخالص، والدعوة الصافية النقية الخالية من كل بلية ورزية، وصدق النبي ﷺ القائل: «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْفَرِينَ»^(١)، ولم يقل ﷺ: كلكم منفرون عن الدين، فكما أنه ليس من العدل والإنصاف أن نحمل الإسلام بعض أخطاء المسلمين؛ فكذلك ليس من العدل والإنصاف أن نحمل الدعوة السلفية بعض أخطاء من ينتسب إليها؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

ولله در القائل:

غَيْرِي جَنَى وَأَنَا الْمُعَاقِبُ فَيَكُفُّمْ فَكَأَنَّنِي سَابَّابَةُ الْمُتَنَدِّمِ
فالدعوة السلفية: هي الجمال، وهي الكمال، وهي الروعة، وهي الرحمة، كيف لا، وهي دعوة الأنبياء والمرسلين، تدعو إلى التوحيد الخالص: توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، وتحارب الشرك بجميع صورته وأشكاله، وتدعو إلى السنة وتحارب البدعة، وتدعو إلى الطاعة وتحذر من المعصية، وتدعو إلى العلم وتحارب الجهل، وتدعو إلى الائتلاف، وتحذر من الاختلاف، وتدعو إلى الجماعة، وتحذر من الفرقة، وتدعو إلى الوسطية والاعتدال حسب الضوابط الشرعية، وتحارب الغلو والتطرف بجميع صورته وأشكاله، وتدعو إلى الحفاظ

(١) متفق عليه: «البخاري» (٧١٥٩)، «مسلم» (٤٦٦) عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

على السكينة العامة والأمن بأنواعه الخمسة:

- ١- الأمن النفسي.
- ٢- والأمن الفكري.
- ٣- والأمن الأسري.
- ٤- والأمن المجتمعي.
- ٥- والأمن العالمي.

إنها دعوة كاملة شاملة في جميع الجوانب، للرجل والمرأة، والصغير والكبير، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، كل ذلك بعلمٍ وحلمٍ ورحمةٍ وحكمةٍ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

إنها دعوة ربانية، آيةٌ وحديثٌ، جسدٌ وروحٌ، شكلٌ ومضمونٌ، روايةٌ ودرايةٌ، قولٌ وعملٌ، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وصلت الدعوة السلفية إلى الناس كما يصل الماء العذب الرقاق الزلال إلى الشفاه الظامئة، وكما يشع ويطل نور الفجر على الآفاق، وكما ينزل الغيث من السماء، فأحيا الله بها الأرض بعد موتها ف ﴿أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]،

وإذا الناس: بها يستبشرون، ولها يحبون، وبها يثقون، وعليها يقبلون، ومن معينها الصافي ينهلون فيرتوون.

لقد قامت قبلها ومعها وبعدها دعواتٌ وحركاتٌ وشعاراتٌ وصرخاتٌ وضجيجٌ، **ولكن ليست النائحة الشكل كالنائحة المستأجرة.**

فانتشرت الدعوة السلفية والله الحمد، وبقيت هذه الدعوات «مكانك

راوح»، كما قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ^(١)، وصدق الله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

فالدعوة السلفية: أصلها ثابت وفرعها في السماء، فهي واضحة المعالم، ثابتة الخطى، متميزة الطرح، بينة الخصائص، قامت على التوحيد: أصل الأصول، ودعوة الأنبياء، ومهمة الرسل، وأول الواجبات، وأعظم الفرائض، فدعت إليه قولاً وعملاً، ونصرها الله بسيف الشرع، وقوة العلم وسلطانه الذي لا يغلب؛ **لأنها:** تجديد لأصالة الدين، وروح الملة، ومعدن الشريعة، ورجوع بالناس إلى رأس الأمر الأول العتيق، وأصل النبع الصافي، وأساس النهر الجاري، وأول المسيرة الدعوية المباركة.

دعوة تعلن مبادئها على المنابر، وتشرح مواعيقها في المحافل والمحاضر أمام العامة والخاصة، يعلمها القاصي والداني، دعوة باطنها كظاها، وظاهرها كباطنها، وآخرها كأولها، ليست دعوة سرية لها رموز وشفرات لا يفكها إلا خاصة الخاصة، وليست غامضة لا يفهم مقاصدها إلا أساطينها، بل هي دعوة بينة بيان الحق، ساطعة سطوع الحقيقة، ظاهرة ظهور الفجر، ليلها كنهها سواء لا يزيغ عنها إلا هالك، يفهم خطابها البدو والأعراب، والمبغضون والأصحاب؛ لهذا: نجحت هذه الدعوة السلفية، وأينعت، وطاب ثمارها وقطافها، واستوت على سوقها؛ **لأن منهجها ودستورها:** القرآن وصحيح سنة المختار، على فهم سلف الأمة الأخيار.

(١) «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (٥٤٣).

فيا أيها العقلاء في العالم:

لقد حصص الحق، و﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

إن الدعوة التي تتقبلها القلوب، وتنشر لها الصدور، وتوافقها الفطر، وتصدقها عقول العقلاء **هي الدعوة الموافقة للفطرة والموافقة للمعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهي دعوة قد عبرت القرون ووصلت إلى جميع القارات، ونفذت من بوابة الدهر إلى كل العالم، **يحمل علمها ورايتها ولواءها: محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** من بعده، وأئمة السنة من بعدهم: كمالك والأوزاعي والثوري والشافعي وأحمد وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والبازي والعثيمين والألباني والوادعي، **رَحِمَهُمُ اللَّهُ**، ومن سار على طريقهم **حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**، كما جاء في السنة الصحيحة^(١).



(١) ينظر كتابي: «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دور الحديث السلفية في الديار اليمنية» (ص:

تنبيه

الزغل عند دعاة أهل السنة والجماعة:

كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود بالنسبة للزغل الموجود عند الجماعات والفرق والأحزاب المخالفة لأهل السنة والجماعة من حيث الكم والوصف.

فهناك زغلٌ كبيرٌ وخطيرٌ في بقية الدعوات في الأصول وغيرها، لو أردنا بسطها؛ فإن ذلك يطول ويحتاج إلى مؤلفاتٍ ومجلدات، ولكن أشير إشارة إلى: بعض زغل الدعوات المخالفة لدعوة أهل السنة والجماعة، **فمن ذلك:**

• عدم الدعوة إلى توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، والدعوة إلى التوحيد الصافي الصحيح أساس دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

• **ومن زغل الجماعات المنحرفة:** محاربة دعاة التوحيد والإنكار عليهم، كقولهم: تركتم شرك القصور وذهبتُم إلى شرك القبور!، وقول بعضهم: لا تذكرُوا أمراض الأمة!.

• **ومن زغل الجماعات كذلك:** إحياء البدع، وإماتة السنن، ومحاربة أهلها.

• **ومن زغل الجماعات كذلك:** عدم التصفية والتربية الصحيحة.

• **ومن الزغل كذلك:** التنفير عن العلماء والأمرء، ثم التكفير، ثم التفجير،

هذه السلسلة الثلاثية المدمرة.

وخصوا بالتنفير العلماء المشاهير الذين لهم قَدَمٌ صَدِيقٌ في الأمة، كابن باز، وابن عثيمين، والألباني، والوادعي، والفوزان، والعبّاد، ومن كان قبلهم أو

بعدهم وكان على طريقتهم.

• **وهكذا من زغل الدعوات:** الخروج على حكام المسلمين بالقول والفعل، كالمظاهرات، والاعتصامات، والثورات، فدمروا البلاد والعباد^(١).

• **ومن زغل الدعوات كذلك:** الحزبية المقيتة التي مزقت الأمة وشرذمتها، وما فيها من البيعة، والسرية، والعهود، والمواثيق، والولاء والبراء الضيق، والانصهار مع جميع المبطلين، وابتكار طرق في العبادات والدعوة إلى الله محدثة مخالفة للكتاب والسنة.

• **وهكذا من زغل بعض الدعوات:** محاربة العلم والتقليل من شأنه، والدعوة على جهل.

ولو عددنا زغل الدعوات؛ فإن ذلك يطول ويطول جداً، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

بهذا القدر أكتفي، وأسأل الله العلي الأعلى أن يكون هذا البحث هادياً للطريق الأمثل في الاتباع، وسبيلاً موصلاً إلى رضوان الله تعالى لكل من آتاه الله ديناً وعلماً وعقلاً.

فهي نصيحة:

✓ ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]،

✓ ﴿وَإِنْ أُريدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

(١) ينظر كتابي: «الكشاف الجلي في بيان أكثر من م (١٠٠) ائة مفسدة في ثورات الربيع العربي».

✓ والرائد لا يكذب أهله، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

وأسأل الله تعالى باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب أن يجعل هذا العمل القليل مباركاً خالصاً لوجهه الكريم، مقرباً لمؤلفه، وقارئه، وطابعه، وناشره، من الفردوس الأعلى من الجنة، وأن ينفعني به في حياتي، وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه؛ فإنه تعالى خير مسؤول وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كان الانتهاء منه في غرة شهر ربيع الأول ١٤٤١هـ، من جوار البيت العتيق بمكة المكرمة شرفها الله، ثم انتهيت من مراجعة الطبعة الثالثة في ٢٧ شوال لعام ١٤٤٤هـ، ثم انتهيت من مراجعة الطبعة الرابعة في ٢٩ جمادى الآخرة لعام ١٤٤٧هـ^(١).



(١) هناك مسائل أخرى مرشحة لإضافتها في هذا الكتاب في طبعات أخرى بإذن الله تعالى.

فهرس المحتويات

٥.....	تقريف فضيلة الشيخ: محمد بن عبد الله الإمام حفظه الله
٧.....	تقريف فضيلة الشيخ: عبد العزيز بن يحيى البرعي حفظه الله
٩.....	تقريف فضيلة الشيخ: عثمان بن عبد الله السالمي حفظه الله
١٠.....	تقريف فضيلة الشيخ: نعمان بن عبد الكريم الوتر حفظه الله
١٣.....	تقريف فضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن سعد السحيمي حفظه الله
١٥.....	تقريف فضيلة الشيخ الدكتور المحدث: وصي الله بن محمد عباس حفظه الله
١٧.....	تقريف فضيلة الشيخ: عبد الله بن محمد بن عثمان القيسي الذماري حفظه الله
١٩.....	تقريف فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن علي الصوملي حفظه الله
٢١.....	كلمات بعض المشايخ الأفاضل في كتاب (زغل الدعوة والدعاة)
٢١.....	كلمة الشيخ: أحمد بن ثابت الوصابي حفظه الله
٢٣.....	كلمة الشيخ: صلاح العدني حفظه الله في كتاب (زغل الدعوة والدعاة)
٢٤.....	كلمة الشيخ: أحمد بن شملان حفظه الله في كتاب (زغل الدعوة والدعاة)
	كلمة الشيخ: وهبان بن مرشد المودعي حفظه الله، في كتاب: (زغل الدعوة والدعاة).....
٢٦.....	كلمة الشيخ: غازي بن سالم أفلح حفظه الله، في كتاب (زغل الدعوة والدعاة)
٢٧.....	كلمة فضيلة الشيخ الدكتور: محمد بن ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله، في كتاب (زغل الدعوة والدعاة).....
٢٨.....	كلمة الشيخ: أبي المعتصم رشاد الورد الحبيشي حفظه الله، في كتاب (زغل الدعوة والدعاة).....
٢٩.....	مقدمة الطبعة الرابعة
٣٢.....	مقدمة الطبعة الثالثة
٣٥.....	مقدمة الطبعة الثانية
٣٧.....	مقدمة الطبعة الأولى
٣٨.....	تمهيد
٤٣.....	

الفصل الأول: ضعف الدين ورقته عند الداعية يسبب زغلاً كثيراً في الدعوة ٤٦

- (١) ضعف الإخلاص ٤٦
- (٢) التعالم وحب الشهرة والظهور يقصم الظهور ٥٢
- (٣) إتقان بعض المسائل العلمية ثم طرحها في المجالس ليقال: عالم ومحرر ومدقق! ٥٦
- (٤) صراع بعض الدعاة على زعامة الدعوة ورئاستها ٦٠
- (٥) تجميع الداعية الناس حوله لا على الحق والدعوة ٦٣
- (٦) التحاسد بين الدعاة ٦٥
- (٧) تصوير الخلافات الشخصية إلى خلافات دينية عقدية منهجية حتى يشر عن خلافه مع خصمه وينتصر عليه ٦٨
- (٨) المسابقة في تبديع من ليس بمبتدع ٧٢
- (٩) إفشاء الأسرار عند حصول الخلاف ٧٤
- (١٠) حب انحراف المشاهير من الدعاة ليتبوأ مكانهم ٧٨
- (١١) دفن بعض الدعاة لحسنات بعضهم ٨٠
- (١٢) العُجب والتطلع لألقاب الثناء والمدح والاعتزاز بها ٨٢
- (١٣) الاعتزاز بالجموع والكثرة ٨٧
- (١٤) بعض الدعاة والمشايخ يجعل نفسه ميزان السنة، من اقترب منه اقترب من السنة!، ومن ابتعد عنه ابتعد عن السنة! ٩٠
- (١٥) احتكار الحق في أفراد عند الحكم بالسنة أو البدعة ٩٢
- (١٦) السكوت عن الموافقين وإن أخطأوا، والقدح في المخالفين وإن أصابوا! ٩٦
- (١٧) سكوت بعض الدعاة والعلماء عن جلسائهم المفسدين في الدعوة! ٩٩
- (١٨) إعطاء بعض الدعاة والعلماء الضوء الأخضر لجلسائهم بالرد والتحذير من بعض الدعاة، ويبقى العالم في صورة الصالح المصلح! ١٠٢

- (١٩) مخالفة بعض أقوال الدعاة لأفعالهم ١٠٣
- (٢٠) الكيل بمكيالين، والوزن بميزانين في الحكم على الأفراد ١٠٥
- (٢١) تتبع العثرات عند الاختلاف، والسكوت عنها عند الائتلاف! ١٠٨
- (٢٢) عند الخلاف يصبح الرجل عالماً ويمسي جاهلاً، ويمسي جاهلاً ويصبح عالماً! ... ١١٢
- (٢٣) عند الخلاف يصبح الرجل سنياً سلفياً، ويمسي مبتدعاً ضالاً، ويمسي مبتدعاً ضالاً،
ويصبح سنياً سلفياً بغير أدلة مرضية أو قواعد علمية! ١١٤
- (٢٤) الانتقام للنفس وتصفية الحسابات في وقت الفتن بلباس الشريعة والغيرة على الدين!
..... ١١٥
- (٢٥) تسجيل مكالمات العلماء الهاتفية بغير إذنهم، ونشرها بين الناس بقصد الفتنة ١١٨
- (٢٦) طرح الأسئلة التي يراد من ورائها إيقاع الفتن بين العلماء والدعاة ١٢١
- (٢٧) طغيان الجرح والتعديل والرد على المخالفين على طلب العلم والدعوة إلى الله منهج
مخالف لمنهج السلف ١٢٥
- (٢٨) زيف بعض الدعاة بسبب الطمع وحب المال ١٣٦
- (٢٩) ضعف القدوة وغيابها أحياناً، خاصة في باب السلوك ومكارم الأخلاق ١٤١
- (٣٠) العنصرية في بعض الدعاة إما بالحسب، أو النسب، أو البلد، أو الغنى ١٤٥
- (٣١) الاهتمام بالمظهر أكثر من المخبر خللٌ في التربية ١٤٨
- (٣٢) الاستدلال بأخطاء العلماء على صحة مذهبه الخاطيء! ١٥٠
- (٣٣) ضعف التحاكم للكتاب والسنة عند الخلاف ١٥٢
- الفصل الثاني: ضعف العلم عند الداعية يسبب زغلاً كثيراً في الدعوة ١٥٩**
- (٣٤) قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: أنصاف المتعلمين هم منشأ الشر والفتن في الدعوة ١٥٩
- (٣٥) عدم توفر بعض شروط الدعوة في الداعية يسبب خللاً في الدعوة ١٦٢
- (٣٦) عدم الحكمة في الدعوة إلى الله ١٦٥

- (٣٧) ضعف الخبرة والبصيرة في الدعوة إلى الله ١٦٨
- (٣٨) عدم التدرج في الدعوة، وعدم تقديم الأولويات ١٧٠
- (٣٩) عدم الاهتمام بقضايا المجتمع الكبرى والاهتمام بقضايا هامشية ١٧٤
- (٤٠) عدم تفريق بعض الدعاة بين جهاد الدعوة وجهاد السيف ١٨٠
- (٤١) عدم تفريق بعض الدعاة بين النصيحة والفضيحة ١٨٢
- (٤٢) تقديم العلم على الرحمة في الرد على المخالف، منهجٌ مخالف لمنهج القرآن الكريم .. ١٨٩
- (٤٣) المجاوزة والمجازفة والظلم، وعدم التزام الأدب وضبط النفس في الرد على المخالف ١٩٤
- (٤٤) عدم ضبط بعض المسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الخلاف مما أدى إلى كثرة الخلاف ١٩٩
- المذموم الذي يؤدي بين الفينة والأخرى إلى تمزيق الدعوة ١٩٩
- (٤٥) الهجر بغير قواعد علمية وضوابط شرعية ومراقبة رب البرية أرهق الدعوة السلفية ٢٠٣
- إرهاقاً عظيماً ٢٠٣
- (٤٦) سلسلة هجر من لم يهجر ٢٠٨
- (٤٧) سلسلة تبديع من لم يدّع ٢١٠
- (٤٨) عدم ضبط وفهم مسألة: متى يخرج الرجل من دائرة أهل السنة والجماعة؟ ٢١٧
- (٤٩) التبديع بالمعاصي ٢٢٥
- (٥٠) الخلاف بسبب الترحم على بعض أهل البدع ٢٢٦
- (٥١) الخلاف في وسائل الدعوة: هل هي توقيفية أم اجتهادية؟ ٢٢٩
- (٥٢) عدم الموازنة في فقه المفاسد والمصالح، وفقه المآلات ٢٣١
- (٥٣) مسابقة بعض الصغار للكبار في التبديع، والتفسيق، والهجر، وغير ذلك من المسائل العظام ٢٣٣

- (٥٤) عدم اعتبار تفاوت المجرحين والمعدلين في مسائل الجرح والتعديل ٢٣٥
- (٥٥) التميع والذوبان مع أهل البدع والأهواء والأحزاب الضالة، وعدم التميز عنهم منهجٌ ضال مخالفٌ للقرآن والسنة وما عليه سلف الأمة ٢٣٧
- (٥٦) تلميع بعض أهل البدع بحجة الوسطية والاعتدال ٢٤٠
- (٥٧) التحذير من الساكت في الحكم على بعض الدعاة أو المتوقف فيهم ليتضح له أخطاؤهم ٢٤٧
- (٥٨) إن لم تكن معي؛ فأنت ضدي مطلقاً بغير قواعد علمية أو ضوابط شرعية! ٢٥٠
- (٥٩) عدم ضبط وفهم أنواع الخلاف ٢٥٢
- (٦٠) إلقاء الدروس والمحاضرات والتدوات في مساجد أهل البدع ٢٥٤
- (٦١) الخلاف على تشيخ فلان وعدم تشيخه ٢٦٨
- (٦٢) هل يشترط للتعليم والتدريس تزكية من العلماء؟ ٢٧٢
- (٦٣) العجلة في التصدر في فتاوى النوازل، وفي الدعوة، والتأليف ٢٨٢
- (٦٤) أخذ العلم من الكتب دون المشايخ من غير المتأهل عرضة للزلل ٢٨٤
- (٦٥) كثرة الدخول على السلطان ٢٨٧
- (٦٦) غفلة بعض الدعاة عن أن الدعوة السلفية الآن تمر بمرحلة الدعوة المكية في الضعف ٢٨٩
- الفصل الثالث: ضعف العقل عند الداعية يسبب زغلاً كثيراً في الدعوة..... ٢٩١**
- (٦٧) مَنْ كان علمه أكبر من عقله ضر نفسه وأضر بالآخرين ٢٩١
- (٦٨) الشدة في موطن اللين، واللين في موطن الشدة ٢٩٤
- (٦٩) خوف بعض الكبار من بعض الصغار في إظهار الحق والقول به ٢٩٦
- (٧٠) عدم الثبوت في نقل الأخبار ٢٩٩

- (٧١) عدم تغافل بعض الدعاة عن بعض عشرات إخوانهم الدعاة أصحاب المنهج الواحد ٣١٠
- (٧٢) خلط بعض الدعاة بين المداراة والمداينة أدى إلى ترك المداراة ٣١٨
- (٧٣) الغفلة عن المدسوسين والمنافقين في الدعوة من جهاتٍ مختلفة ٣٢٢
- (٧٤) «إنَّ منكم منفرين» ٣٢٩
- (٧٥) من الخطأ وقوع بعض الدعاة في محاحكات مع إخوانه كالمباحكات السياسية ٣٤٠
- (٧٦) بعض الدعاة يشعل الفتن قولاً وفعلاً، ويوجه بإشعالها، ثم يوجه -بلسان مقالهِ لا حالهِ- الطلاب بالإقبال على العلم وترك الفتن! ٣٤٢
- (٧٧) إن وسائل التواصل الاجتماعي في باب الفتن دمرت وما عمرت، وأوصلت خلاف الدعوة إلى جميع القارات ٣٤٣
- (٧٨) الزارعون والحاصدون: فالزارعون للخير هم الدعاة الصادقون، وبعض الحاصدين لبعض هذا الخير هم العابثون في الدعوة ٣٤٥
- (٧٩) تهميش من له سابقة في الدعوة وقدم صدقٍ فيها ٣٤٧
- (٨٠) الاعتداد بالرأي، وعدم مشاورة أهل المشورة في المسائل التي تحتاج إلى مشورة ... ٣٤٩
- (٨١) قلة الزيارات والتفقد لأحوال الإخوة والدعاة ٣٥٢
- (٨٢) إظهار خلاف الأمر السائد المشهور بين الناس ومخالفة عوائدهم في الأمور التي فيها سعة ٣٥٥
- (٨٣) الغلو في المدح والجفاء فيه ٣٥٨
- (٨٤) الغلو في بعض العلماء ٣٦٣
- (٨٥) الدخول في السياسة ٣٦٦
- (٨٦) دخول بعض الدعاة وإدخال الأتباع معهم في كل فتنةٍ دعوية ٣٦٩

- (٨٧) من الأخطاء الشائعة: أنك لن تكون سلفياً على الجادة إلا إذا بينت وحددت موقفك من آخر المستجدات والأحداث الخفية في الدعوة السلفية ٣٧٣
- (٨٨) خلاف بعض الدعاة في مسألة تعيين المخالف من عدمه ٣٧٥
- (٨٩) تغليب جانب العلم على الأدب والتربية ٣٧٩
- (٩٠) محاولة إسقاط رموز الدعوة في العالم لأتفه الأسباب ٣٨٩
- (٩١) الذي في قلبي على لساني (صفة الداعية الأحمق) ٣٩٦
- (٩٢) عدم تحرز بعض الدعاة من مواطن الريبة ٤٠٠
- الخاتمة ٤٠٥
- تنبيه ٤١١
- فهرس المحتويات ٤١٤

